

الصفات النبوية

في ضوء الكتاب والسنة

وفهم سلف الأمة

وأقوال مشايخ التبليغ والدعوة

بقلم

الشيخ / محمد علي محمد إمام

قدم له

علماء فضلاء أجلاء

الجزء الرابع

الطبعة الأولى ٢٠١٨ □

الصفة الرابعة

الإكرام وحسن الخلق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُهَيِّدٌ

الحمد لله الذي أظهرَ الجميلَ، وسرَّ القبيحَ، ولم يؤاخذْ بالجريرةِ، ولم يهتكِ
السُّرَّ، عظيمَ العفوِ، كريمَ الصَّفحِ، عظيمَ المنِّ، حسنَ التجاوزِ، واسعَ
المَغْفرةِ، باسطَ اليدينِ بالرحمةِ، مُنتَهَى كُلِّ شَكْوَى، صاحبَ كُلِّ نَجْوَى،
مُبْتَدِئِ النِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا
فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ، أَوْ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلَانِيَةٍ، ونصلي ونسلم على
خير خلقك محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وكرمه، فقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا
بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ
مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (١).

ومن كرامة الإنسان على الله أن خلقه بيده واسجد له ملائكته، بل أخبر
عنه قبل أن يخلقه، كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ
السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ

(١) سورة الإسراء - الآية ٧٠ .

لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ { (١) . وفي سورة ص { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (٢) .

ومن كرامته على الله أن خلق كل المخلوقات من أجله، فقد جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: ابن آدم خلقتك لنفسي، وخلقت كل شيء لك، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقتك له عما خلقتك له " (٣) .

ومن كرامته على الله أن أحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث.

ومن كرامته على الله أن سخر الله له السماوات والأرض والبحار والرياح والحيوان.

ومن كرامته على الله أن سخر له الملائكة من جبريل فما دونه في خدمته، فجبريل ينزل بالوحي على الأنبياء والرسل وذلك لإسعاد الناس، وإسرافيل

(١) سورة الحجر – الآيات من ٢٨ : ٣٣ .

(٢) سورة ص – الآيات من ٧١ : ٧٨ .

(٣) ذكره المناوي في كتاب فيض القدير في شرح في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير – حرف الهمزة – ((إن الله ليغار....)) ص ٣٨١، ذكر ابن القيم في طريق الهجرتين، ولعله مما روي عن أهل الكتاب .

موكل بالصور والنفخ، وميكائيل بالقطر والنبات، وملك الموت بقبض الأرواح، ورضوان خازن الجنة.

وسخر من الملائكة من يمشي بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حفاظة له.. ومنهم من يسجل له كل أعماله (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ) (١).. ومنهم من يدعو له {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (٢).

ومن كرامته على الله أن أعد له دار كرامته (الجنة ونعيمها).

ومن كرامته على الله أن جعل الملائكة خداما في الجنة يدخلون عليه بصحاف من ذهب بها أنواع الطعام، وأكواب من فضة بها أنواع الشراب.

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (٣).

(١) سورة الإنفاطار _ الآيتين ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة غافر _ الآيات من ٧ : ٩ .

(٣) سورة الرعد _ الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

ومن كرامته عليه أن جعله مرفوع القامة.

ومن كرامته عليه أن أعطاه العقل والشهوة ليتمتع بكل النعم والشهوات في الجنة، "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتَهُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبُّ، خَلَقْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَنْكِحُونَ وَيَرْكَبُونَ، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَلَنَا الْآخِرَةُ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا أَجْعَلُ مَنْ خَلَقْتَهُ بِيَدَيَّ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ".

ومن كرامته على الله أن: "النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا" (١).

فما بالناس بالمسلم المؤمن الذي يحبه الله تعالى وأعد له دار كرامته في الآخرة (الجنة ونعيمها) ألا يجب علينا أن نكرمه ونحبه ونجله، ونتجنب إيذاءه ونؤديه حقه.

وهذا هو الجانب الذي أشاد به الشيخ إلياس رحمه الله وجعل المبدأ الرابع من المبادئ التي يتم تدارسها في الخروج في سبيل الله عز وجل. والذي ينظر لهذا المبدأ (إكرام المسلمين وحسن الخلق) يجد أنه يندرج تحته ثلاثة من خمسة، أي أن الدين خمسة أجزاء (الإيمانيات، العبادات، المعاملات، المعاشرات، الأخلاق).

فتجد أن هذا المبدأ يندرج تحته (المعاملات والمعاشرات والأخلاق) وهذا

(١) رواه البخاري في صحيحه: (١٣١٢).

قسم كبير من الدين.. وقد أخذ الفقهاء لتفصيل الثلاثة مساحة شاسعة في كتب الفقه.

وهذا الجزء أيضا نتحدث فيه عن المبدأ الخامس والسادس من الصفات الست (الإخلاص والدعوة).

(والله ولي التوفيق)

الفقيه إلى عفو ربه المنان

محمد بن علي بن محمد بن إمام

كفر ميت العز _ ميت غمر _ دقهلية

جمهورية مصر العربية



الإكرام وحسن الخلق

قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (١).

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (٢).

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٣).

عن جابر بن عبد الله، قال رسول الله (ﷺ): " قَالَ لِي جَبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ هَذَا الدِّينَ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي، وَلَا يُضْلِحُهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ " (٤).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " . رواه أبو داود، والتِّرْمِذِيُّ (١) .

(١) سورة القلم - الآية ٤ .

(٢) سورة الحجرات - الآية ١٠ .

(٣) سورة الحشر - الآية ٩ .

(٤) شعب الإيمان للبيهقي « الرابع والسبعون من شعب الإيمان وهو (١٠١٢٨) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ " (٢).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَنَا رَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ " رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا " الترمذي وقال حديث حسن صحيح (٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ " رواه أبو داود. (٥).

(١) المرجع السابق (٤٩٦٩).

(٢) صحيح مسلم _ باب فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ _ رقم الحديث: (٧٠٢٨).

(٣) سنن أبي داود _ رقم الحديث (٤١٦٩).

(٤) رياض الصالحين _ باب حسن الخلق رقم الحديث (٦٢٨).

(٥) المرجع السابق _ رقم الحديث (٦٢٩). وَالْحَدِيثُ سَكَتَ عَنْهُ الْمُنْذِرِيُّ. وَقَالَ فِي كِتَابِ التَّرْغِيبِ: وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا =

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: " مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ " (١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ " (٢).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ السَّخَاءَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا جَرَّهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْبُخْلُ شَجَرَةٌ فِي

وَلَفْظُهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَاتٍ قَائِمِ اللَّيْلِ وَصَائِمِ النَّهَارِ. وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَيُبْلَغُ الْعَبْدَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ .

(بِحُسْنِ خُلُقِهِ) : بِضَمِّ اللَّامِ وَيَجُوزُ سُكُونُهَا (دَرَجَةُ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) : أَيُّ قَائِمِ اللَّيْلِ فِي الطَّاعَةِ، وَإِنَّمَا أُعْطِيَ صَاحِبُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لِأَنَّ الصَّائِمَ وَالْمُصَلِّيَّ فِي اللَّيْلِ يُجَاهِدَانِ أَنْفُسَهُمَا فِي مُخَالَفَةِ حَظَّهِمَا، وَأَمَّا مَنْ يَحْسُنُ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ مَعَ تَبَاطُئِ طَبَائِعِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ فَكَأَنَّهُ يُجَاهِدُ نَفْسًا كَثِيرَةً فَأَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ الصَّائِمُ الْقَائِمُ فَاسْتَوِيَ فِي الدَّرَجَةِ بَلْ رُبَّمَا زَادَ .

(١) صحيح البخاري « كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ » بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ...
رقم الحديث: (٢٩٣٢) .

(٢) المستدرک علی الصحیحین « کتاب الإیمان » لیس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي، ورواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن مغراء، وثقه أبو زرعة وجماعة، وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح.

النَّارِ وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا جَرَّهُ إِلَى النَّارِ " (١)(٢).

نحن نكرم المسلم ونحترمه من أجل إسلامه، لأن المسلم أغلى من السموات والأرض حيث أنه إذا لم يوجد مسلم في هذه الدنيا تقوم الساعة الله سبحانه وتعالى لا يدمر الدنيا مادام فيها رجل يقول لا إله إلا الله .

لذلك نحن نحترم المسلم ونؤدي حقه - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَلَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ (٣).
معنى الإكرام: الكرم يطلق على كل ما يحمد من أنواع الخير والشرف، والجود والعطاء والإنفاق.

ومن صفات الله سبحانه وتعالى أنه الكريم، لأنه هو الذي انفرد بالملك

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد» أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري» ما رواه سفيان من الأحاديث ومن أسند هو عنهم، ومن أسندوا عنه.. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

(٢) وفي تاريخ دمشق لابن عساكر حديث: (٥٤٢٢٧) يجمع هذا الحديث والذي قبله في حديث واحد: عن أنس بن مالك، قال: أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا، فَأَحْسِنُوا صُحْبَةَ الْإِسْلَامِ بِالسَّخَاءِ، وَحَسِّنِ الْخُلُقَ، أَلَا إِنَّ السَّخَاءَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ سَخِيًّا لَا يَزَالُ مُتَعَلِّقًا بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا حَتَّى يُورِدَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، أَلَا إِنَّ اللُّؤْمَ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لُئِيمًا لَا يَزَالُ مُتَعَلِّقًا بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا حَتَّى يُورِدَهُ اللَّهُ النَّارَ "، ثُمَّ قَالَ مَرَّتَيْنِ: " السَّخَاءُ فِي اللَّهِ ، السَّخَاءُ فِي اللَّهِ ".

(٣) مشكاة المصابيح - كتاب الآداب « باب الشفقة والرحمة على الخلق (٤٩٧٠).

والغنى، وتوحد بالعظمة والثناء، واختص بالجاء والسلطان، فهو إذا عُصِيَ غفر، وإذا اطلع أمهل وستر، وإذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا، لا يضيع من لجأ إليه، ولا يثلم من توكل عليه، يدها مبسوطتان بالخيرات، وله خزائن الأرض والسموات، لا ينزع في قسمه رزقه، ولا يراجع في تدبير خلقه، فهو الكريم بالإطلاق، وكما أنه الكريم نادى عبادة بحب الكرم وبذل المال رضاء وجهه وابتغاء رضاه، ونهاهم عن الشح والبخل.

قال أحد الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه.

مقصد الإكرام

- (١) الألفة والمحبة بين أمة النبي صلى الله عليه وسلم.
- (٢) إخراج الشح والبخل من القلب.
- (٣) أن نعرف مقام كل مسلم ونعامله حسب مقامه.
- (٤) أن تأتي الأخلاق النبوية والمعاملات الإسلامية في أمة النبي ﷺ.
- (٥) إصلاح المعاملات والمعاملات والأخلاق، فنكرم بعضنا بعضاً حتى تأتي الألفة والمحبة بيننا، ويتمثل في كل علاقاتنا مع الآخرين، كحسن الخلق وتأدية حقوقهم، وصلة الأرحام، والإصلاح بينهم، وعدم إيذائهم، وعونهم، فالله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.
- (٦) حفاظة الأعمال: ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ

اللَّهُ ﷻ قَالَ: " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ " قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَكَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. " (١).

علامة الإكرام

(١) حب الإنفاق.

(٢) محبة الناس.

(٣) أداء الحقوق لأهلها: علامة الأخلاق: أداء الحقوق أول مراتب الأخلاق، ثم الإكرام، والجود والسخاء والإيثار واختيار المشاق واجعل للآخرين الراحة، وبالأخلاق الحميدة انتشر الإسلام، فالأخلاق لا يحدها مكان ولا زمان ولا تتأثر بالأحوال .

(٤) الألفة والمحبة بين الناس.

(١) أخرجه أحمد ، رقم (٨٣٩٥) ، ومسلم رقم (٢٥٨١) ، والترمذي (رقم ٢٤١٨) ، وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط رقم (٢٧٧٨) ، والديلمي رقم (٢٣٣٨).

مراتب الإكرام

أولها: **كف الأذى**: نكف أذانا عن جميع الخلق وخاصة المسلمين فلا نؤذيهم لا باللسان ولا باليد، قال الله تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا }^(١).

ثانيها: **العدل** (أداء الحقوق): حقوق الوالدين والأقربين والجار وحقوق الزوجة على الزوج وحقوق الزوج على الزوجة، وحقوق المسافر على المسافر، وحقوق الغريب وعابر سبيل على أهل البلاد، وحقوق المحكوم على الحاكم وحقوق الحاكم على المحكوم، وحقوق المساكين على الأغنياء وحقوق الأغنياء على المساكين، وحقوق الصغار على الكبار، وحقوق الكبار على الصغار، حتى حقوق الدواب.. وجملة القول هو إعطاء كل ذي حق حقه حسب مكانته في العلاقات البشرية على ضوء المراتب، ولذا لزم معرفة تلك الحقوق وكيفية أدائها.

ويزيد اهتمامنا بأداء الحقوق الذي يُضيعُ حقوق الناس فكل ما يعمل به هو للناس، هناك لا درهم ولا دينار، أداء الحقوق بالأعمال، الذي أخذت أرضه يأخذ صلاتك، أخذت حقه يأخذ صيامك، كل الأعمال يأخذها أصحاب الحقوق.

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٨ .

جهد الدين ليس فيه حظوظ للنفس ولكن الأمة قلبت الحقوق إلى حظوظ للنفس.

خلاصة الشريعة هي حقوق وحدود فإذا أدت الحقوق ووقف عند الحدود فالأمة لا تتعب بل تسعد.

يقول الشيخ محمد إلیاس (رحمه الله): على المبلغ ألا يجعل هذا الأداء للحقوق هو هدفه الخاص في المعاملات الدنيوية فحسب بل يجب استخدامه كوسيلة لنشر الدين ورضا الله فالذي يراعى حقوق العباد وحقوق الله يصبح قلبه طاهرا.

ثم يقول الشيخ: كلنا نعرف الدين، ولكن كثيراً منا لا ينزل الناس منازلهم فأعطوا كل ذي حق حقه، فإن عدم مراعاة الحقوق الإنسانية زندقة.

ويقول أيضا: إن الرحمة بالصغار والتوقير للكبار ليس إلا أداء للحقوق، وهو ترجمة لقول سلمان: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ (١) عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ (٢)، وقد أطلق عليه في الدين تسمية ذات معنى أبلغ هي (إصلاح ذات البين) والذي لا يقل درجة عن الأحكام المفروضة.

(١) وفي صحيح ابن خزيمة: وَلِأَهْلِكَ وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا.

(٢) صحيح البخاري «كتاب الصوم» بَاب مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي النَّطْوَعِ وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قِضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ (١٨٦٧).

✱ **والأخلاق الحسنة:** هي عبارة عن العادات الحسنة حيث جعل الله سبحانه وتعالى حياة نبيه ﷺ معياراً للأخلاق بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (١). كما اختار النبي ﷺ القرآن معياراً لخلقته إذا كان خلقه القرآن .

فعلى المرء أن يتخلق بأخلاق النبي ﷺ وإذا كانت خلاف ذلك لا تكون أخلاقاً لأن الأخلاق في منهجنا مثل اللباس المعنوي، وقد احتوى كتاب شمائل الترمذي على بعض من أخلاق النبي ﷺ والذي يريد الاطلاع عليها فليرجع إليه وإلى كتب الأحاديث الشريفة الأخرى .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): لا بد أن تكون النية في فترة الخروج في سبيل الله بأن يدرب المرء نفسه على الأخلاق الحسنة، سواء أكانت لأداء الواجب نحو خالقه أو تتعلق بالمخلوق نفسه {كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ} (٢).

وثالثها: الإكرام: إن درجة الإكرام والتكريم درجة خاصة ولا يستحق هذه الدرجة المباركة غير أهل التقوى دون غيرهم، وللتقوى درجات كثيرة، وأولها: البدء بإقرار أن لا إله إلا الله، لأن هذه هي الكلمة الطيبة، قد أطلق عليها (كلمة التقوى) لأن بتصديقها بالقلب وإقرارها باللسان يدخل الإنسان في باب التقوى، ومن هنا يجب احترامه وإكرامه، لأنه قد خرج من الظلمات إلى النور.

(١) سورة القلم _ الآية ٤ .

(٢) سورة الطور _ الآية ٢١ .

فالدرجات الثلاث الأول هي في استخدامها عامة لجميع المخلوقات، أو لجميع الناس، مسلمين أو غير مسلمين، أما الدرجة الرابعة فهي تخص المؤمنين المسلمين فقط.

ومهما بلغ المسلم من درجات الضعف والذلة في أعماله لا يمكن إهماله أو تركه بسبب ضعفه أو عاداته أو خصائصه السيئة، بل يجب أن تبذل الجهود في إرشاده بالرفق واللين والترغيب والترهيب، فمثله كمثل الولد الصغير، فلو تدنس بالنجاسة أو أصيب بمرض خطير فلا يمكن أن يهمله أبواه أو يبتعدا عنه، بل يقومان بمداواته وطهارته من النجاسة على الفور ثم يعانقه والداه على الفور بفراط المحبة الفطرية .

إذن فمقتضى الدرجة الرابعة من المبدأ الرابع من المنهج العملي هو تجنب النجاسة والخصائل السيئة والأمراض الخطيرة والوقاية من إصابته بإحداها، وبذل الجهود في تطهيره من تلك الشوائب باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة في منتهى الأدب والإكرام .

وخلاصة تلك الدرجات الأربع هي معاملة الناس طبقاً لأوامر الله سبحانه وتعالى، وطبقاً لما شئت حكمته في معاملة مخلوقاته، وهذا هو مفهوم الحديث النبوي: « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ » (١).

(١) لا أصل له وأورده السيوطي في " تأييد الحقيقة العلية " (١/٨٩) دون عزو. وتأولوه بأن معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة، وليس معناه أن تأخذ من صفات القدم شيئاً (السلسلة الضعيفة للألباني).

إن العامل الأول الذي يؤدي إلى عدم إكرام المسلمين بعضهم بعضاً هو سوء الظن، وهذا هو المرض الذي تبدأ منه معظم الصراعات، وتفتح منه أبواب المشاكل والمتاهات، ففي أول الأمر وقبل كل شيء يجب التجنب عن سوء الظن.. يقول الشيخ محمد إلياس رحمه الله: إن ظن الخير بالمؤمنين هو أحسن مفتاح لأبواب رحمة الله وجوده وسخائه.

ويقول الشيخ أيضاً: إلى الله لا يترك المنام إلا بإذلاله في حياته الدنيا لأنه يأكل لحم أخيه.

ويقول أيضاً: أما سوء الظن بالمسلمين بغير علم فإنه يؤدي إلى الهلاك حتى أن الرسول ﷺ قد منع إبلاغ أي كلمات تسبب القلق أو سوء الظن، حيث فعن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ ". رواه أبو داود والترمذي (١).

فكان (رحمه الله) يوجه الناس إلى محاسبة النفس قبل محاسبة الغير، فمثلاً يقول: إن الله يعامل العبد على حسب ما يتعامل العبد مع عباد الله، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم واتهموا أنفسكم وظنوا بالمؤمنين خيراً، لأن البحث عن عيوب الآخرين سفاهة، مما يجعل العمل بلا نور أو بركة.

قال الحسن البصري: أَلَا إِنَّ الْمَعْرُوفَ خُلِقَ مِنْ أَخْلَاقِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ. ذكره ابن أبي الدنيا في كتابه قضاء الحوائج.. (أرشيف ملتقى أهل الحديث - ما رأيكم في قول البعض تخلقوا بأخلاق الله - المكتبة الشاملة الحديثة).

(١) رياض الصالحين - باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس (١٥٣٩).

ورابعها: الإيثار: الإتفاق من الشيء وأنت محتاج إليه وهذا أعلى المراتب: قال تعالى: { وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١).

فالإيثار هو درجة الكمال الأخلاقي، وهو أن يفضل الإنسان حاجة أخيه على حاجة نفسه، وأن يحسن إلى من لا يحسن إليه كما أن الله سبحانه وتعالى - مع كونه قادرا مطلقا يغفر للعاصين ويتوب عليهم ويرزق المؤمنين والعاصين والمنكرين على السواء ولذا فقد قال النبي ﷺ: (تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ) فعلى الإنسان أن يقضى حوائج الآخرين قبل أن يقضى حوائجه ويخدم خلق الله قبل أن يخدم نفسه.

وقد ملئت سير الصحابة بمثل هذا الإيثار حتى أحبهم الله سبحانه وتعالى ووصفهم بهذه الصفة العظيمة حيث قال جل جلاله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

★ درجات الإكرام: (كف الأذى ، العدل ، الإكرام ، الإيثار).

(١) سورة الحشر - الآية ٩.

(٢) سورة الحشر - الآية ٩.

بذل النفس والمال

وبذل النفس والمال يكون على أربع أشياء بالتوازن :

١ . نسبة الحيوانية: أي أن الإنسان فيه متطلبات الأكل والشرب والنكاح مثل الحيوان، فأباح الله ﷻ لنا طلب هذه الأشياء في حدود ما أمرنا الله ﷻ به.

٢ . نسبة الملائكية: فالإنسان يخرج من صفة الحيوانية إلى صفة الملائكية بطاعة الله ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

٣ . نسبة الخلافة : وهي خلافة الله ﷻ في الأرض، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) وهذه النسبة ما أعطيت للملائكة .. فيطعم الطعام لأنه خليفة الرزاق .. ويستر العباد لأنه خليفة الستار .. ويرحم العباد لأنه خليفة الرحمن الرحيم .. ويكرم العباد لأنه خليفة الكريم .. ويعفو عن العباد لأنه خليفة العفو .. ويغفر للعباد لأنه خليفة الغفور .. وإذا وجد الناس يعصون الله ﷻ فيغضب ويجتهد لإزالة البيئة الفاسدة لأنه خليفة الجبار .. وكل هذه الصفات يقوم بها بدون عوض من المخلوق، ويقوم بها الله ﷻ.

أبو طلحة ؓ يكرم ضيف رسول الله ﷺ ويؤثره بالطعام على نفسه وزوجه

(١) سورة التحريم - الآية ٦ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٣٠ .

وأولاده، فالله ﷻ أحب هذا الفعل وأنزل القرآن: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

٤. نسبة النيابة عن سيدنا محمد ﷺ في الجهد: نحن ننفق أموالنا وأنفسنا في جهد الرسول ﷺ قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢)(٣).

★ طرق تحصيل الإكرام :

١- أن نؤدي حقوق الناس: ونطلب حقوقنا باللطف واللين فإن لم تأت سألناها من الله عز وجل، ففي الحديث: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّمَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ قَالَ تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ " متفق عليه. (٤).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا، قَالَ: "

(١) سورة الحشر - الآية ٩ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٣) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري.

(٤) صحيح البخاري « كتاب الفتن » بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكَرُونَهَا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ _ رقم الحديث: ٦٦٤٤.

سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ". متفق عليه (١) .

إخواني الكرام: هذه هي وصية النبي (ﷺ) حينما نري أثره أي اختصاص واستئثار بالمال والمناصب والدنيا، وهذا الأمر الآن منتشر في كل مكان، فالجميع يطلب دون أن يؤدي، علي جميع المستويات، علي مستوي آلامه والمجتمع الأسرة والأفراد، الجميع يطلب حقه ولا يؤدي، المحكوم يطلب حقه ولا يؤدي يريدون عمر بن الخطاب وهم ليسوا أصحابه، والحاكم يطلب أن يطيع الناس مثل الصحابة وهو ليس فيه صفات عمر، الزوج يريد حقه من الزوجة يريد لها مثل فاطمه وهو مثل أبو جهل، إذا أردتها فاطمه فكن عليها، أدي الذي عليك، علي كل فرد ألا يبحث عن حقه بل يبحث عن واجبه حتي يؤديه فينجو من عقاب الله ويسأل الله الذي له وعند الله لا تضيع الحقوق، قال تعالي: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٢)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " إِنَّمَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُثْرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَهِيَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ " متفق عليه..

٢ _ أن نتغافل عن ذكر الإساءة ليدوم الود والمحبة: كما فعل يوسف عليه السلام، حينما اتهمه إخوته بالسرقه: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ

(١) صحيح البخاري « كِتَابُ الْمَنَاقِبِ » بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقم الحديث: ٣٥٣٢ .

(٢) سورة الشورى _ الآية ٤٠ .

قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿١﴾.

لَيْسَ الْعَبْدُ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَعَابِي (٢)

٣- لا نعطي الفرصة لأحد يحدثنا عن إخواننا بشر: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ ". رواه أبو داود والترمذي (٣).

٤- نكثر من الجلوس في مجالس فضائل إكرام المسلمين والأخلاق.

٥- ندعو الناس إلى تحقيق إكرام المسلمين والأخلاق في حياتهم، ونجعل في قلوبهم الشوق لإكرام المسلم بطريقة الترغيب وإخبارهم بقيمة المسلم، ونسمعهم من قصص أخلاق النبي ﷺ والصحابة الكرام ومحبتهم وإيثارهم لبعضهم، فتدرب على ذلك بأنفسنا.

٦- وندعو الله أن يرزقنا والأمة حقيقة إكرام المسلمين.

* الإيثار لغة: مصدر من أثر يؤثر إيثاراً بمعنى التقديم والاختيار والاختصاص، ومن ذلك قولهم: استأثر بالشيء: استبد به وخص به نفسه (٤).

(١) سورة يوسف _ الآية ٧٧.

(٢) أَيِ الْمُتَعَابِلِ. فالتعافل: رسالة ودّ واحترام. وأما التجاهل: فهو دلالة إهمال وازدراء.

(٣) رياض الصالحين _ باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس (١٥٣٩).

(٤) انظر المعجم الوسيط.

الإيثار اصطلاحاً: الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الأخوة (١).

قال القرطبي: الإيثار: هو تقديم الغير على النفس في الحظوظ الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشؤ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة (٢).

وقال ابن مسكويه: الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه (٣).

الفرق بين الإيثار والسخاء والجود

- قال ابن القيم (رحمه الله): مَرَاتِبُ الْإِيثَارِ ثَلَاثَةٌ:
إِحْدَاهَا: أَنْ لَا يَنْقُصَهُ الْبَذْلُ، وَلَا يَصْعُبَ عَلَيْهِ فَهُوَ مَنْزِلَةُ السَّخَاءِ .
الثَّانِيَةُ: أَنْ يُعْطِيَ الْأَكْثَرَ، وَيُبْقِيَ لَهُ شَيْئًا، أَوْ يُبْقِيَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ . فَهُوَ الْجُودُ.
الثَّالِثَةُ: أَنْ يُؤَثِّرَ غَيْرُهُ بِالشَّيْءِ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَرْتَبَةُ الْإِيثَارِ وَعَكْسُهَا الْأَثَرُ
وَهُوَ اسْتِثَارُهُ عَنْ أَخِيهِ بِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.

(١) انظر التعريفات للجرجاني.

(٢) تفسير القرطبي (٣٦٥/٢٠).

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى عدد الأجزاء:.

وَهِيَ الْمُرْتَبَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً . فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ وَالْأَنْصَارُ : هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْإِثَارِ فِي قَوْلِهِ : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) فَوَصَفَهُمْ بِأَعْلَى مَرَاتِبِ السَّخَاءِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيهِمْ مَعْرُوفًا . (١) .

- قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (رَمَهُ اللَّهُ) : فَالْتَّصَدَّقْ بِمَا يَجِبُ الْإِنْسَانُ جَنْسٌ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْإِثَارُ فَهُوَ أَكْمَلُ مِنْ مَجَرَّدِ التَّصَدَّقِ مَعَ الْمَحَبَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مُتَصَدِّقٍ مُحِبًّا مُؤَثِّرًا ، وَلَا كُلُّ مُتَصَدِّقٍ يَكُونُ بِهِ خَصَاصَةً ، بَلْ قَدْ يَتَصَدَّقُ بِمَا يَجِبُ مَعَ اكْتِفَائِهِ بِبَعْضِهِ ، مَعَ حَاجَةٍ لَا تَبْلُغُ بِهِ الْخَصَاصَةَ (٢) .

* ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ (رَمَهُ اللَّهُ) شُرُوطًا لِلْإِثَارِ :

- ١ - أَنْ لَا يَضِيعَ عَلَى الْمُؤَثِّرِ وَقْتُهُ .
 - ٢ - أَنْ لَا يَتَسَبَّبَ فِي إِفْسَادِ حَالِهِ .
 - ٣ - أَنْ لَا يَهْضُمَ لَهُ دِينُهُ .
 - ٤ - أَلَّا يَكُونَ سَبَبًا فِي سَدِّ طَرِيقِ خَيْرٍ عَلَى الْمُؤَثِّرِ .
 - ٥ - أَنْ لَا يَمْنَعَ لِلْمُؤَثِّرِ وَارِدًا .
- فَإِذَا تَوَفَّرَتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ كَانَ الْإِثَارُ إِلَى الْخَلْقِ قَدْ بَلَغَ كَمَالَهُ ، أَمَّا إِنْ وُجِدَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كَانَ الْإِثَارُ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَى مِنَ الْإِثَارِ إِلَى الْغَيْرِ (٣) .

(١) مدارج السالكين بين منازل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ « فَصَلِّ مَنَازِلَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مَنْزِلَةَ الْإِثَارِ .

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١٨٤/٧) .

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (١/٤٥٠) .

* الباعث على الإيثار:

الأول: قسم يكون الباعث إليه الفطرة والغريزة: كالذي يكون عند الآباء والأمهات من رحمتها وشفقتها على ابنهما وهما مأجوران على ذلك إن شاء الله إذا نوبا التعبد، فعن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ قَالَتْ جَاءَنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ ثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَتْهُ فَقَالَ مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ (١). فهذا الإيثار دافعه حب الأم لابنتيها ورحمتها بهما.

الثاني: وقسم يكون الدافع هو الإيمان وحب الخير للغير على حساب النفس وملذاتها ومشتهياتها وهو كما قال الميداني: ليس إيثاراً انفعالياً عاطفياً مجرداً ولكنه إيثار يعتمد على محاكمة منطقية سليمة ويعتمد على عاطفة إيمانية عاقلة (٢).

* موانع الإيثار:

١. ضعف الإيمان واليقين: فكما أن الإيمان القوي يدفع صاحبه للبذل والعطاء والإيثار فإن ضعفه يكون سبباً في الأثرة والشح.
٢. الشح المطاع: لذا ذكر الله عز وجل في الآية التي مدح فيها أهل الإيثار أن من يوفق في الوقاية من شح نفسه فقد أفلح.
٣. حب النفس: وتملك الأثرة على القلب.

(١) صحيح البخاري «كتاب الأدب (٥٦٤٩).

(٢) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٤٣٥).

٤. قسوة القلب وجموده: فمن رق قلبه ولانت طباعه سهل عليه أمر الإيثار.

٥. ضعف الهمة والزهد في الذكر الحسن.

* الوسائل المعينة على الإيثار:

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): فإن قيل فما الذي يسهل على النفس

هذا الإيثار فإن النفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار قيل يسهله أمور:

- أحدها: رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها فإن من أفضل أخلاق

الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار.

- الثاني: النفرة من أخلاق اللثام ومقت الشح وكراهته له.

- الثالث: تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين

بعضهم على بعض فهو يرعاها حق رعايتها ويخاف من تضييعها. (١).

♣ حُسْنُ الْخُلُقِ: «هُوَ طَلَاقُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى» (٢).

♣ مقصد حسن الخلق: الألفة والمحبة.

♣ علامة حسن الخلق: مقابلة السيئة بالحسنة، قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي

الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (٣).

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم.

(٢) رواه الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير .

(٣) سورة فصلت - الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

قوام الحياة الإنسانية

يقول السيّد انعام الحسن (رحمه الله) :الحياة الإسلامية تقوم على خمسة أصول وهي :

(١) تصحيح الاعتقاد (الإيمانيات) : وهذا الاعتقاد لا يصلح ولا يتم إلا بتصحيح الإيمان بما أمرنا الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١)، فتتقن على الله تعالى وأنه الفاعل لما يريد وأنه النافع والضار، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد، ونحقق الإتياع الكامل للنبي ﷺ في حياتنا، ونتيقن على كتاب ربنا فنخرج اليقين على سائر العلوم إذا خالفت ما في كتاب الله تعالى، ونؤمن بوجود الملائكة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وموكلون بخدمة العالم الغيبي، ونتيقن على الآخرة وأنها نعيم دائم للمؤمنين وجحيم على الكافر.

(٢) تصحيح العبادات: وهو تعلم العبادات حتى نعبد الله تعالى على بصيرة، وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

(١) سورة النساء _ الآية ١٣٦.

والعبادات نوعان:

١. مالية: زكاة وحج، ونبذل فيها المال ليخرج حب المال من النفس.
٢. نفسية (أي بدنية): صلاة وصيام، ونبذل فيها النفس ليخرج حب الشهوات من النفس، وهذا هو البر كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (١)،
٣. تصحيح المعاملات: وهي تصحيح الصلات بين الناس، لأن المعاملات هي وجه العملة الآخر مع العبادات، لأن العبادات إصلاح للداخل، والمعاملات إصلاح الخارج، وتصحيح المعاملات بإعطاء الناس حقوقهم، ونسأل نحن حقنا من الله تعالى، لذلك يقول فضيلة الشيخ محمد يوسف رحمه الله: يدخل الدين في حياة الناس عن طريق العبادات، ويخرج الدين من حياة الناس عن طريق المعاملات، فيا من يتق الله في العبادات، اتق الله في المعاملات، لذلك يقول تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (٢).
٤. تصحيح المعاشرات: وهنا حياة الأسرة، أي الكف عن أذى الناس كأنهم أسرته، فيكون سهل العشرة، ولذلك فعلى معاشرات الصحابة قام الدين

(١) سورة البقرة - الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٧٧.

، فالأنصار كانوا أعداء، فأصبحوا بفضل الله تعالى إخوانا، وكان في معاشرات النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم البساطة والحياء، دون تكبر أو تكلف.

وكانت معاشراتهم تقوم على: [العدل والإحسان والإيثار]:

١- **العدل:** إعطاء الحق لصاحبه كما هو، وهذا أقل القليل.

٢- **الإحسان:** إعطاء الحق لصاحبه مع زيادته بالمحبة.

٣- **الإيثار:** إعطاء الحق لصاحبه مع حقي وأكون فرحا (وهنا تقديم الغير على النفس)، وفيها قوله تعالى: ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)، فالأخوة هنا والطاعة عالمية، ولذلك لا بد للمسلم أن يكون سهلا، لينا، ذلولا، حسن الخلق.

وعن ابن عيينة عن أمي المرادي قال: بلغني أنه لما نزلت ﴿ : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: " مَا هَذَا ؟ " ، قَالَ : " لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالَمَ " ، قَالَ : فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : " يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ. " (٣).

٥) **تصحيح الأخلاقيات:** وهنا نفع الناس تكون غاية، ويكون هذا بالإكرام

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٣٤.

(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩.

(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني _ رقم الحديث: ٩٥٠.

والرحمة، مع الصبر على النَّاسِ، لتصبح نفسى سمحة ولا تخذلني نفسى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (١).

ويقول السيخ انعام الحسن (رمه الله): استمروا في عملكم بالأصول، وعاملوا الناس بحسن الخلق، ومهما كانت الشدة علينا لا تتغير أخلاقنا.

ويقول السيخ الزبير بن انعام الحسن (رمه الله): أول الآداب يجب أن تكون في الداعي أهمها وعلى رأسها التواضع والانكسار، وأن يحزم كل واحد منا نفسه أمام الآخرين ولا يرى لنفسه فضلا على غيره من الناس أجمعين، بل يرى نفسه أقل الناس وأدنى الناس وأحقر الناس، كيف كل واحد منا يجتهد وأن يهتم بهذه الصفة (التواضع) ولا يرى لنفسه فضل ولا يرى لنفسه منزلة، بل يرى نفسه أبسط الناس، وينظر إلى جميع العاملين وإلى جميع المجتهدين بنظرة الاحترام والتقدير والإصغاء، وكذلك بنظرة الإعجاب، لا يحقر أحدا من خلق الله كافة وخاصة الذين هم في هذا الجهد، (لماذا؟) لأننا لا نعلم ولا ندري قيمة كل إنسان عند الله تعالى وما هي منزلته، علم ذلك عند الله وحده جل جلاله، فلهذا لا نحقر أحدا ولا نصغر أي أحد، بل نصغر

أنفسنا ونحقر أنفسنا، ونتواضع لله عز وجل، (لماذا؟) لأن المعاملة والأمر ليس في ما بيننا وبين خلق الله، بل في ما بيننا وبين الله عز وجل، المعاملة بيننا وبين الله، ومتى تكشف قيمة كل إنسان؟ سوف تكشف يوم القيامة، عندها يرى الإنسان هل سيكون مع الأخيار، كل واحد اليوم يرى نفسه في هذه الدنيا أنه مع الأخيار، ولكن حقيقة ذلك ستظهر يوم القيامة بين يدي الله عز وجل، هل هو حقا مع الأخيار أم هو والعياذ بالله مع الأشرار، ولهذا لا يجوز لأي أحد كان من كان أن يرى نفسه أفضل من غيره أو أن يحقر غيره، لذلك أيها الأحباب نهتم كل الاهتمام بهذه الصفة (صفة التواضع) وهضم النفس، كذلك الإندثار والخوف من الله تبارك وتعالى والتذلل لخلق الله عز وجل، ونرى كل فرد من خلق الله عز وجل أفضل وأحسن منا وقدره عند الله عز وجل أفضل منا.



أسباب فساد الأحوال وعلاجها

يقول الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوى (رحمه الله): إن هذه الأمة ظهرت إلى الوجود، برحمة عظيمة وجهد جهيد، بعد المصائب والمشاق، فقد تحمل النبي ﷺ، وأصحابه البررة الكثير من الأذى والشدائد والمحن في سبيلها. وأعدائهم من اليهود والنصارى اجتهدوا على ألا يكون المسلمون أمة، بل يكونوا متفرقين.

فاليوم المسلمون فقدوا حياتهم كأمة، حينما كانوا أمة واحدة كان لهم وزن في العالم وكان الناس يخشونهم، وما كان عندهم بيوت رفيعة، ولا مساجد مشيدة، حتى ما كان في المسجد النبوي مصباح ولا نور، حتى السنة التاسعة من الهجرة، وفي نهاية السنة التاسعة من الهجرة، دخل معظم العرب في الإسلام، وقبائل شتى، وأقوام شتى، وألسنة مختلفة كونوا أمة، بعدها نوروا المصباح في المسجد. إن المسلم اليوم في محنة عظيمة، لأنه ترك صفته كفرد أمة، وطمس معالم طريق النبي ﷺ، وعفا آثارها، أقول هذا بحزن قلبي، كل هذه المحن والدمار يرجع إلى تشتت هذه الأمة وتفرقها، بل إننا نسينا ما هي الأمة، وكيف أنشأ الرسول ﷺ هذه الأمة.

الرسول ﷺ جاء بنور الهداية.. الذي قام هو وأصحابه رضي الله عنهم بنشره في العرب وخارج العرب .

ولما تكونت الأمة المسلمة قامت بالدعوة إلى الله ﷻ، فما يخرجون إلى بلد من البلدان إلا وأهلها يستسلمون أمامهم .
كيف تكونت هذه الأمة ؟

حب الله وحب رسول الله ﷺ جمع بينهم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ (١) ، فما كان منهم رجل واحد يتحمس لأسرته أو لحزبه أو لقومه أو لوطنه أو للسانه، وما كان يلتفت إلى المال والعقار ولا الأهل ولا الأولاد بل كل واحد يصنع لأمر الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أصبحت هذه الأمة أمة واحدة، عندما نسي كل فرد من أفرادها: ما هي أسرته؟ وما هي قبيلته؟ وما شعبه؟ وما وطنه؟ وما لغته؟ لا يؤثر ماله ولا ضيعته، ولا زوجه، ولا أولاده على مصلحة الأمة، وإنما كان معياره الوحيد ما يقوله رسول الله ﷺ، وما يأمر به.

لا تتكون الأمة إلا إذا زالت جميع العلاقات والصلات والروابط التي تحول دون أحكام الله ورسوله.

عندما كان المسلمون أمة واحدة ، كانت تهتز وتضطرب إذا قتل مسلم منهم في أي بقعة فكل الأمة تقوم ولا تقعد(٢)، والآن يذبح آلاف من المسلمين ومئات الألوف ولا يتحرك ساكنا.

(١) سورة الحشر- الآية ٩ .

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ قَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلْبٍ لَهَا ،

إن السبب الرئيسي لدمار الأمة الإسلامية وهزيمتها في ميدان الحياة، هي العصبية القومية والإقليمية التي تكتسح العالم الإسلامي كله اليوم، والتي اقتبسوها من ((أوربا)) خلال الاستعمار، ولذلك رغم انسلاكمهم في سلك الكلمة يتحاربون ويتقاتلون.

فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ هُنَاكَ مِنْهُمْ، فَجَعَلُوا يَرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمَدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفٍ ثَوْبَهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَائِهَا؛ فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، فَشَدَّتِ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ فَأَغْضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنِقَاعَ (البداية والنهاية).

وذكر الواقدي: فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوفٍ حِينَ أَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنَ فِي مَوَالِيٍّ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: أَرْسِلْنِي، وَغَضِبَ، أَرْسِلْنِي، وَيْحَكَ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرْسِلُكَ حَتَّى تَحْسِنَ فِي مَوَالِيٍّ: أَرْبَعُمِائَةٍ حَاسِرٍ، وَثَلَاثُمِائَةٍ دَارِعٍ، قَدْ مَنَعُونِي مِنَ النَّاحِرِ وَالْأَسَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَاللَّهِ أَمْرُؤُ أَخْشَى الدَّوَانِرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ لَكَ.

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصَرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، إِلَى هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ. وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ مِنَ الْيَهُودِ، وَحَارَبُوا حَتَّى قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَأَنَّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ. فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ فَكُتِفُوا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كِتَابِهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ قُدَامَةَ السَّلْمِيِّ، مِنْ بَنِي السَّلَمِ، فَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ: خُذْهُمْ. وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُجْلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا عَبْدَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَحَقُوا بِأَذْرُعَاتٍ، فَمَا كَانَ أَقَلَّ مِنْ بَقَائِهِمْ فِيهَا. وَتَوَلَّى قَبْضَ أَمْوَالِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، ثُمَّ خُمِسَتْ، وَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سِلَاحِهِمْ ثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ، وَدِرْعَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ.

الأمة ليست اسم لقومٍ أو قبيلةٍ بمنطقةٍ خاصة، بل تتكون الأمة بالآلاف من الأقوام والبلدان، أما الذي يفهم أنها قومه ودولته، والذين خارجهم ليس منهم .. فهذا الذي يذبح الأمة ويمزقها تمزيقا، ويقطع الشجرة التي غرسها الرسول ﷺ والصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بعد جهد عظيم.

فنحن الذين نقوم بذبح الأمة بعد أن تمزقنا وتفرقنا، بعد ذلك قام أعداء الأمة من اليهود والنصارى بتقطيعها (قطعاً قطعاً) .

فاليوم لو اجتمع المسلمون على صعيد واحد وكونوا أمة، عاد إليهم عزهم ومجدهم، ولا تستطيع قوى العالم كله أن تصيبهم بسوء، فالدنيا كلها ما تستطيع أن تأخذ منهم شبراً واحداً، ولا تستطيع القبلة الذرية ولا الأسلحة الحديثة أن تدمرهم.

ولكنهم إذا وقعوا فريسة للقوميات والعصبيات الإقليمية واللغة والمنطقة، وانغمسوا فيها، وتفرقوا وقطعوا هذه الأمة إربا إربا، فأشهد الله ! أن أسلحتكم وجنودكم مهما تكاثفت وتجمعت وتكسدت، لا تفيدكم ولا تغنيكم شيئا، وما تستطيع أن تنقذكم من الورطة مع العدو.

فاليوم يُضرب المسلمون في أنحاء العالم، ويموتون لأنهم فقدوا صورتهم كاملة .. هذا كله من حديث القلب الذي يتقطع ألما على الأمة .

فكل هذه المصائب والمحن سببها واحد، هو أن الأمة ليست أمة بل المسلمون نسوا ما هي الأمة ؟ وكيف قام الرسول ﷺ بتشكيلها .

فالكفاية والنصرة للأمة لا تأتي بمجرد وجود فقط الصلاة والذكر والمدرسة الدينية فقط .. فابن ملجم الذي قتل علياً عليه السلام كان من المصلين والذاكرين لآخر لحظة في حياته فحينما قبضوا عليه وأرادوا أن يقطعوا لسانه فجَزَع، وَقَالَ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَمُرَّ عَلَيَّ سَاعَةٌ لَا أَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا. ثُمَّ قَطَعُوا لِسَانَهُ، مع هذا قال الرسول ﷺ: " قاتل على أشقى رجل في أمتي " ^(١) وتعليم المدرسة أيضاً قد قاما به أبو الفضل والفيضي ^(٢)، وكان من كبار العلماء، حتى قاما بتفسير القرآن بدون النقط، وهما اللذان قاما بتضليل وإفساد أحد كبار الملوك .

(١) عَنْ عُمَانَ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ ؟ "، قُلْتُ: عَاقِرُ النَّاقَةِ، قَالَ: " صَدَقْتَ، فَمَنْ أَشَقَى = الْآخِرِينَ ؟ "، قُلْتُ: لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ " وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَافُوخِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: " وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ فَخَضَبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ " (مسند أبي يعلى الموصلي) مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَقْمُ الْحَدِيثِ: (٤٧٦).

(٢) أبو الفضل، أخ شقيق للفيضي أصلهما من اليمن، كان جدهما خضر قد قدم الهند لغرض السياحة، وأقام في ناكور، وكان لا يعيش له ولد؛ ولما ولد له مولود عام ٩١١هـ سماه مباركاً، مبارك بن خضر الناكوري (٩١١هـ - ١٠٠١هـ)، ولما شب المولود سافر إلى إقليم كجرات وتتلذذ على الخطيب أبي الفضل الكادوراني، والشيخ عماد الطارمي، كما درس عند علماء آخرين، واهتم بعلم التصوف وفاق فيه الأقران.

ثانياً: الشيخ أبو الفيض فيضي: هو: أبو الفيض فيضي بن مبارك بن خضر الناكوري (٩٥٤هـ - ١٠٤٤هـ).

ثالثاً: الشيخ أبو الفضل: هو أبو الفضل بن المبارك بن خضر الناكوري (٩٥٨هـ - ١٠١١هـ).

فكيف الصفات التي كانت في ابن ملجم وأبو الفضل والفيضي تستطيع أن تكون الأمة وتستحق نصره الله ﷻ ؟ !

الشيخ اسماعيل شهيد والشيخ سيد احمد شهيد ورفقاؤهما كانوا على قمة من صفات الدين حينما وصلوا الى منطقة سرهد وجعله الناس أمير عليهم فوسوس الشيطان على بعض منهم فقالوا هؤلاء ليسوا من منطقتنا ، فقاموا بالثورة عليهم فاستشهد كثير منهم .

وهما الذين أضلا الملك أكبر ملوك الهند في زمانهما، والذي غير الدين وابتدع العقيدة الألفية: وتتلخص هذه العقيدة في انتهاء صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبداية شريعة جديدة للبشر، وابتكر هذه الفكرة، ولأول مرة (محمود بسيخواني) مؤسس الفرقة النقطوانية.

ودخلت هذه العقيدة في القارة الهندية عن طريق الدعاة النقطويين، الذين غادروا (إيران)، وتوجهوا إلى (الهند) أيام الملك (أكبر)، وكان (أبو الفضل) - العقل المدبر للمذهب الأبري - من النقطويين متشعباً بالفكرة الألفية، أفهم الملك أنه قد مضى على الإسلام ألف سنة، ويبدأ الألف الثاني، وإن الدنيا مع بداية الألف الثاني يجب أن تستأنف عهداً جديداً، فلا بد لها إذاً من شريعة جديدة، ومشروع جديد، وحاكم جديد، وليس في العالم لهذا المنصب الجليل إلا أكبر صاحب التاج والعرش، والإمام العادل والعاقل.

يقول المؤرخ عبد القادر البدايوني: ولما كان الملك قد اقتنع أن مدة ألف سنة بعد البعثة النبوية - وهي العمر الطبيعي لهذا الدين - قد انقضت فلم يبق هناك ما يحول دون إبداء تلك الرغبات الكامنة في الصدر).. وبعد نضج هذه العقيدة عند الملك، شرع في اتخاذ ما يلزم لنشر هذه العقيدة بين الجماهير، ولترسيخها في أنحاء الدولة (الباب الخامس عشر: الفرق المنتسبة للإسلام في الهند « الفصل السادس: فرقة الأكبرية « المبحث الأول: نشأتها وتاريخها « المطلب الأول: نشأتها(موقع الدرر السنية).

فالمسلمون بأنفسهم قاموا بتمزيق الأمة بسبب عصبية المنطقة فالله سبحانه وتعالى سلط عليهم الإنجليز انتقاماً منهم وكان الإنجليز عذاب من الله .
أيها الأحباب : قومي.. ومنطقتي.. وأسرتي.. ومسجدي.. هذه الكلمات تمزق الأمة وتفرقها، وهذه أبغض الأشياء عند الله ﷻ .

وأي رجل يقوم بتمزيق الأمة على أساس القوم أو المنطقة ، فالله سبحانه وتعالى يعاقبه، وتمزق الأمة حينما يقوم أي شخص من الناس أو طبقة من الناس بظلم غيره وأذيته واحتقاره ولا يعطيه حقه .. فمن هنا تتمزق الأمة .
فكيف تتكون الأمة ؟

تتكون الأمة حينما يقوم كل الناس بالعمل الذي قام به الرسول ﷺ وألقى المسؤولية على أمته من بعده .

ولا تتكون الأمة بالكتابة والتسبيح فقط ، بل تتكون الأمة بعد أن نقوم بإصلاح العبادات والمعاملات والمعاملات والأخلاق ونؤدي الحقوق لأصحابها .. وأكثر من هذا نؤثر الغير على أنفسنا ونضحى بمصالحنا من أجل مصالح الغير .
فالرسول (ﷺ) وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وباقي الصحابة رضي الله عنهم قاموا بالتضحية بما كان عندهم، وتحملوا المشاق وكونوا الأمة المسلمة .

أخرج ابن سعد والبيهقي: عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ عِنْدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لِي: " بِمَاذَا قَدِمْتَ ؟ " ، قُلْتُ: قَدِمْتُ

بِثَمَانٍ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: "إِنَّمَا قَدِمْتَ بِثَمَانِينَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ"، قُلْتُ: بَلْ قَدِمْتُ بِثَمَانٍ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، قَالَ: "أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ يَبَانٍ أَحْمَقُ، إِنَّمَا قَدِمْتَ بِثَمَانِينَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، فَكَمْ ثَمَانُ مِائَةِ أَلْفٍ؟"، فَعَدَدْتُ مِائَةَ أَلْفٍ وَمِائَةَ أَلْفٍ حَتَّى عَدَدْتُ ثَمَانَ مِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: "أَطِيبُ؟ وَيَلَكَ"، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَبَاتَ عُمَرُ لَيْلَتَهُ أَرَقًا (١)، حَتَّى إِذَا نُودِيَ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا نِمْتَ اللَّيْلَ، قَالَ: كَيْفَ يَنَامُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَدْ جَاءَ النَّاسَ مَا لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ مِثْلُهُ مُنْذُ كَانَ الْإِسْلَامُ، فَمَا يُؤْمِنُ عُمَرُ لَوْ هَلَكَ وَذَلِكَ الْمَالُ عِنْدَهُ فَلَمْ يَضَعْهُ فِي حَقِّهِ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: "إِنَّهُ قَدْ جَاءَ النَّاسَ اللَّيْلَةَ مَا لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ مُنْذُ كَانَ الْإِسْلَامُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَاشِيرُوا عَلَيَّ، رَأَيْتُ أَنَّ أَكْبَلَ النَّاسِ بِالْمَكْيَالِ"، فَقَالُوا: لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَيَكْثُرُ الْمَالُ، وَلَكِنْ أَعْطِهِمْ عَلَى كِتَابٍ، فَكُلَّمَا كَثُرَ النَّاسُ كَثُرَ الْمَالُ أَعْطَيْتَهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: "فَاشِيرُوا عَلَيَّ بِمَنْ أَبْدَأُ مِنْهُمْ"، قَالُوا: بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ، قَالَ: "لَا، وَلَكِنْ أَبْدَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَلَا أَقْرَبَ إِلَيْهِ"، فَوَضَعَ الدِّيَّوَانَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: بَدَأَ بِهَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ فَأَعْطَاهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَعْطَى بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمَّ بَنِي نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَإِنَّمَا بَدَأَ بِبَنِي عَبْدِ

(١) أي ذهب عنه النوم .

شَمْسٍ، أَنَّهُ كَانَ أَخَا هَاشِمٍ لَأُمِّهِ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَأَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فِي الدَّعْوَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ، فَذَكَرَ فِي ذَلِكَ قِصَّةً . (١) .

وعند ابن سعد والطبري: عَنْ أَبِي الْحُوَيْرِثِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ بْنِ نُقَيْدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَدْوِينِ الدِّيَّانِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: تُقَسِّمُ كُلَّ سَنَةٍ مَا اجْتَمَعَ إِلَيْكَ مِنْ مَالٍ وَلَا تُتَمِسَّكَ مِنْهُ شَيْئًا . وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: أَرَى مَالًا كَثِيرًا يَسْعُ النَّاسُ وَإِنْ لَمْ يُحْصَوْا حَتَّى تَعْرِفَ مَنْ أَخَذَ مِنْهُ لَمْ يَأْخُذْ، خَشِيتُ أَنْ يَنْتَشِرَ الْأَمْرُ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ جِئْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُ مُلُوكَهَا قَدْ دَوَّنُوا دِيْوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا، فَدَوَّنَ دِيْوَانًا وَجَنَّدَ جُنُودًا، فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ، فَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَخَحْرَمَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ، وَكَانُوا مِنْ نُسَابِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: " اكْتُبُوا النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ "، فَكُتِبُوا فَبَدَّءُوا بِبَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ أَتَبَعُوهُمْ أَبَا بَكْرٍ وَقَوْمَهُ، ثُمَّ عُمَرَ وَقَوْمَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ، قَالَ: " وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ هَكَذَا، وَلَكِنْ ابْدَأُوا بِقَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، الْأَقْرَبُ فَلِأَقْرَبُ، حَتَّى تَضَعُوا عُمَرَ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ " (٢)، بهذه الطريقة صارت أسرة عمر في آخر القائمة ونصيبهم غير كثير ولكن عمر رضي الله عنه حكم بهذا وجعل قبيلته لأخذ المال في هذه المنزلة.. بهذه التضحيات تكونت الأمة.. وكان كل واحد منهم يجتهد لتوحيد الأمة.

(١) حياة الصحابة _ باب الإتفاق - تدوين عمر رضي الله عنه الديوان للعطايا ٢/٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق .

وفي تكوين الأمة وتمزيقها أكبر دور للسان.. فكلمة واحدة تمزق الأمة، وكلمة واحدة توحد الأمة، بعض الأحيان يلفظ الإنسان كلمة خاطئة فتكون فيها مفسدة فيتقاتل الناس وتقع الفتنة بينهم ولذا جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ " رواه البخاري (١) .

فلا بد علينا أن نراعى السنتنا، وهذا لا يمكن إلا إذا تصور الإنسان أن الله معه في كل حين ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (٢)، يسمع كلامه ويرى مكانه . ومعروف قصة الأوس والخزرج في المدينة والعداوة التي كانت بينهما، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ودخل الأنصار في حظيرة الإسلام تلاشت هذه العداوة ببركة الرسول ﷺ والإسلام، وكانوا فيما بينهما كالسكر والحليب، وكالسمن والعسل، فالأعداء من اليهود حينما شاهدوا ذلك كرهوه جدا وفكروا كيف يقوموا بالتفرقة بينهم مرة أخرى ؟.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: مَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا (٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَظِيمَ الْكُفْرِ، شَدِيدَ الضُّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ

(١) مشكاة المصابيح - باب حفظ اللسان والغيبة والشتيم - ٣/١٣٥٦..

(٢) سورة الحديد - الآية ٤ .

(٣) وفي بعض الروايات فدعا : أى كبير

فيه، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُفَّتِهِمْ، وَصَلَحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ،
بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ
(١) بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ فَتًى
شَابًّا مِنْ يَهُودَ وَكَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، وَذَكَّرْهُمْ يَوْمَ
بُعَاثٍ (٢) وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشَدَهُمْ بَعْضُ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ،
وَكَانَ يَوْمَ بُعَاثٍ يَوْمًا افْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالْخُزَجِجُ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلْأَوْسِ عَلَى
الْخُزَجِجِ، فَفَعَلَ، فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ
رَجُلَانِ مِنَ الْحَيَيْنِ عَلَى الرُّكْبِ، أَوْسُ بْنُ قَيْطِيٍّ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ
الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخُزَجِجِ، فَتَقَاوَلَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا
لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ وَاللَّهِ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً (٣)، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ، وَقَالُوا:
قَدْ فَعَلْنَا، السَّلَاحَ السَّلَاحَ، مَوْعِدُكُمْ الظَّاهِرَةُ - وَالظَّاهِرَةُ: الْحَرَّةُ - فَخَرَجُوا
إِلَيْهَا، وَتَحَاوَزَ النَّاسُ، فَانْضَمَّتِ الْأَوْسُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَالْخُزَجِجُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ، عَلَى دَعْوَاهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: " يَا

(١) أم الأوس والخزرج .

(٢) بعثت: مكان ويقال حصن وقيل مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة
كانت به وقعة بين الأوس والخزرج قتل فيه كثير منهم وانتصرت الأوس على
الخزرج وذلك قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربعين سنة، قال الحافظ والأول أصح.

(٣) أى أحدثنا الحرب .

مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُ اللَّهُ، أَبَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمُ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمُ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْأَلَفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا ؟ " ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَالْقُوا السَّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَبَكُوا وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخُزَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ ، قَدْ أَطَقَا اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا } (١) ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوْسِ بْنِ قَيْطِيٍّ ، وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرِ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ إِلَى قَوْلِهِ .. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (٢) (٣).

وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران - الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران - الآيات من ١٠٠ : ١٠٥ .

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد يوسف الصالحى الشامى - ٥٨٠/٣

، ومختصر تفسير ابن كثير - ١ / ٣٠٦ .

(٤) سورة آل عمران - الآية ١٠٢ .

فالإنسان عندما يخاف من الله ﷻ ويتقيه في كل أحواله كما في الحديث: " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " (١). فالشيطان لا يستطيع أن يضلّه.. والنتيجة تتحصن الأمة من سائر الفتن ولا تكون الفرقة، قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٢) الشيطان معكم.

فالعلاج حتى لا نقع في حبائل الشيطان أن نقوم بالدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ، فلا بد أن تكون في الأمة طبقة من الناس يكون شغلهم وهمهم الدعوة إلى الله ﷻ وإلى الخير وإلى إنقاذ الناس من المعاصي والمنهيات وبهذا الأمر تكون أمة واحدة، قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ (٤)، فكل أعمال الدين لتوحيد المسلمين ففي الصلاة وحدة ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

ورغب النبي ﷺ في صلاة الجماعة فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً " مُتَّفَقٌ

(١) رواه أحمد والترمذي والدارمي وحسنه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠٨٣)، رياض الصالحين - باب التقوى .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٣ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٠٤ .

(٤) سورة آل عمران - الآية ١٠٥ .

عَلَيْهِ (١) .

وجعل المسجد لاجتماع المسلمين.. وفي الصيام وحدة.. وفي أداء الزكاة وحدة.. وفي الحج وحدة لجميع الأقوام والبلدان والجنسيات واللغات، وكذلك الاجتماع لحلقات التعليم، وإكرام المسلمين وحسن الخلق كل هذا أسباب للوحدة وتبيض وجوه المؤمنين.

وعكس هذا: الحسد.. البغضاء.. الغيبة.. النميمة.. احتقار المسلم وإيذائه.. كل هذا يمزق الأمة، ويشتتها، وتسود وجه صاحبها، وتجره إلى نار جهنم، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (٢)، وكل هذه الآيات نزلت عندما أراد اليهود أن يفرقوا بين الأنصار وينشبوا بينهم العداوة والبغضاء.. وتبين هذه الآيات أن التفريق بين المسلمين من أعمال: الكُفْر، وتحذر من عذاب الآخرة واليوم أعداء المسلمين يجتهدون لتفريق الأمة.

وللوقاية علينا أن نقوم بالدعوة إلى الله، وكل واحد يأتي بأخيه إلى المسجد وتكون في المساجد حلقات التعليم والذكر والتلاوة ومذاكرة اليقين والتشاور للدعوة وعلى جميع الطبقات أن يجتمعوا في المسجد للأعمال كما كان مسجد النبي ﷺ ،

وإذا اجتمع ثلاثة عليهم أن يراعوا أن رابعهم هو الله يسمع كلامهم ويرى مكانهم، فبماذا يتكلموا ؟.

(١) صحيح البخارى - باب فضل صلاة الجماعة - ١ / ١١٩ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٦ .

إذا جلسنا مع بعض فلا نتكلم إلا لصالح الأمة، ولا نتأمر على أحد.
فهذه الأمة كونها النبي (ﷺ)، وتحمل الجوع والفاقة والخوف والإيذاء
والسب والطرْد وإِراقة الدماء، ونحن اليوم نقوم بتمزيقها لمصالحنا الدنيئة .
أيها الأُحباب: عليكم ألا تنسوا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما حذر على ترك
صلاة الجماعة، كما حذر على تفريق الأمة.

فاليوم لو يكون المسلمون أمة فلا يستطيع أحد في العالم، أن يذلم بل كل
واحد يخضع أمامهم.

فإذا اتصفنا بصفة ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تأتي صفة ﴿ أَعَزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
(١)، كل واحد يظن أنه صغير أمام أخيه فيتواضع أمامه، وعلينا أن نمتنع عن
النجوى قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ (٢) حتى لا يظن المسلم بأخيه
ظن السوء وعن السخرية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا
أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وعن إذاعة عيب المسلم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ
بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ

(١) سورة المائدة - الآية ٥٤ .

(٢) سورة المجادلة - الآية ١٠ .

(٣) سورة الحجرات - الآية ١١ .

لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ .

فإذا تمسكنا بهذه الأصول نجتمع الأمة: والله سبحانه وتعالى حض الأمة على الإكرام والاحترام، وأن لا يطلب الإنسان من غيره أن يكرمه، بل يظن كل واحد أنه ليس أهلاً للإكرام، بل الكل يستحق منى التكريم والاعتزاز.. فحينما يضع كل واحد منا نفسه ونفيسه تحت أمر الله فتكون الأمة.. فالعزة والذلة بيد الله عز وجل . فالعزة والذلة ليست في مخططات ومناهج روسيا وأمريكا، بل في يد الله، ولها أصول وضوابط ، فمن يأت بعمل العزة والرفعة رفعه الله، ومن جاء بعمل يهدم هدمه الله، فإن اليهود هم أولياء الأنبياء لكنهم خالفوا تعاليمهم فأخزاهم الله، وكان أصحاب الرسول ﷺ أولاد عباد الأصنام لكنهم اختاروا أعمال الخير، فرفعهم الله وأعزهم، وإن الله لا ينظر إلى الأسباب، وإنما ينظر إلى الأعمال. فالذي يختار تلك السنن الربانية ﷻ ينزله المكانة العالية، والذي ينحرف عن تلك السنن ﷻ يبيده.. فاليهود من سلالة الأنبياء فلما انحرفوا عن سنن الله ﷻ غضب عليهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وجعل منهم القردة والخنازير . والصحابة رضي الله عنهم من نسل عباد الأوثان، ولكنهم قاموا بسنن الله تعالى واحترموها.. فالله أعطاهم الكلمة السامية المسموعة .

فعلينا أن نقوم بهذه الدعوة المباركة، ونبذل من أجلها كل غال ونفيس، ونتحرك بها في العالم كله، ونواظب عليها وبذلك تتكون الأمة .. وتخرج الأمة من كيد النفس والشيطان .. " اللهم أعد للمسلمين مجدهم وعزهم " (١).

كلام الشيخ عمر البالمبوري (رحمه الله)

في صفة الإكرام

يجب القيام بحق الدعوة الذي افترضه الله تعالى على عباده، والأخذ بكل سبيل يساهم في نجاح الدعوة ونشرها وقبولها، ومن تلك الأسباب أن نحقق الحكمة في الدعوة واللين مع الآخرين وحفض الجناح لهم والرفق بهم والصبر عليهم وعلى آذاهم والدعاء لهم بطهر الغيب وتخولهم بالموعظة والبشاشة في وجوههم ، تلك هي سنة النبي ﷺ في الدعوة مع الآخرين .

الشباب عندهم قوة العمل والشيخوخة عندهم قوة الرأي، فلو اجتمع الأمران يحدث النصرة، كذلك يجتمع القدماء مع الجدد على قلب رجل واحد في الدعوة إلى الله تعالى، فالجدد عندهم الحماس، والقدماء عندهم الفكر والحكمة .
كذلك حديث النبي ﷺ مع حصين: فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَأَبِي يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِهْمَا قَالَ أَبِي سَبْعَةَ سِتَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي

(١) آخر بيان للشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوى - رحمه الله - وكان من علماء الهند وأمير عمل الدعوة والتبليغ بعد وفاة أبيه الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله) .. انظر كتاب الأمراء الثلاثة بقلم المؤلف ، والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) تأليف الشيخ محمد الثاني الحسني.

السَّمَاءِ قَالَ فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ يَا حُصَيْنُ أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ قَالَ فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي فَقَالَ قُلِ اللَّهُمَّ أَهْمْنِي رُشْدِي وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي " رواه الترمذي .

وفي رواية عن عمران بن حصين: " أَنَّ قُرَيْشًا جَاءَتْ إِلَى الْحُصَيْنِ ، وَكَانَتْ تُعَظِّمُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آهَتَنَا وَيَسْبِّهُمُ ، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَدَخَلَ الْحُصَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ ، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِدُونَ ، فَقَالَ حُصَيْنُ : مَا هَذَا الَّذِي يَبْلُغُنَا عَنْكَ ، إِنَّكَ تَشْتُمُ آهَتَنَا وَتَذْكُرُهُمْ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ جَفَنَةً وَخُبْرًا ؟ فَقَالَ : يَا حُصَيْنُ ، إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ . يَا حُصَيْنُ ، كَمْ إِلَهاً تَعْبُدُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : سَبْعَةٌ فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَهاً فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ - مَنْ تَدْعُو ؟ قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو ؟ قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ ؟ .

وفي رواية عن عمران بن خالد بن طليق ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : اخْتَلَفْتُ قُرَيْشًا إِلَى الْحُصَيْنِ بْنِ عِمْرَانَ ، فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَذْكُرُ آهَتَنَا ، فَحَنُّ نَحْبٍ أَنْ تُكَلِّمَهُ وَتَعِظَهُ ، فَمَشَوْا مَعَهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : فَجَلَسُوا وَدَخَلَ حُصَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ ، فَأَوْسَعُوا لَهُ ، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مُتَوَافِرُونَ ، فَقَالَ حُصَيْنُ : مَا هَذَا

الَّذِي يَبْلُغُنَا عَنْكَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا وَتَذْكُرُهُمْ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ جَفَنَةً وَخُبْرًا ؟
فَقَالَ : " إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ ، يَا حُصَيْنُ كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ ؟ " قَالَ : سَبْعَةٌ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَهًا فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : " فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّيْقُ فَمَنْ تَدْعُو ؟ " قَالَ :
الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : " فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ ، فَمَنْ تَدْعُو ؟ " قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ .
قَالَ : " فَيَسْتَحِيبُ لَكَ وَحْدَهُ ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ ؟ " قَالَ : أَمَا رَضِيتَهُ ، أَوْ كَلِمَةً
نَحْوَهَا ، أَوْ تَخَافُ أَنْ يُغْلَبَ عَلَيْكَ ؟ " قَالَ : لَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ . وَعَرَفْتُ أَنِّي
لَمْ أَكَلِّمْ مِثْلَهُ ، فَقَالَ " يَا حُصَيْنُ : أَسْلِمَ تَسْلَمَ " ، قَالَ : إِنَّ لِي قَوْمًا وَعَشِيرَةً ،
فَمَازَا أَقُولُ لَهُمْ ؟ قَالَ : " قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَهْدِيكَ إِلَى أَرْشِدِ أَمْرِي ، وَأَسْتَجِيرُكَ
مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، عَلَّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي ، وَانْفَعَنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي ، وَزِدْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي " ،
فَقَالَهَا ، فَلَمْ يَقُمْ حَتَّى أَسْلَمَ ، فَوَثَبَ عِمْرَانُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، وَيَدَيْهِ ، وَرِجْلَيْهِ ، فَلَمَّا
رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : " مِمَّا صَنَعَ
عِمْرَانُ ، دَخَلَ حُصَيْنٌ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى نَاحِيَّتِهِ ، فَلَمَّا
أَسْلَمَ قَضَى حَقَّهُ ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ رِقَّةٌ " ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ حُصَيْنُ قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : " قَوْمُوا فَشَيِّعُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ " ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ سُدَّةِ الْبَابِ نَظَرَتْ إِلَيْهِ
قُرَيْشٌ فَقَالَتْ : صَبَأًا ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ .

رجل موظف من الوجهاء في الحكومة يلعب الكرة وهو مشهور، وكان
داعيا وذهب إلى بعض القرى لزيارة بعض المحبين المعجبين، وبينما هو يمشي-
وجد أولاداً يلعبون الكرة، فقال في نفسه: أنا عندي الآن نصف ساعة فكيف

أدعوهم إلى الله؟ فأخذ يلعب معهم قليلا ثم بعد ذلك تكلم في الدعوة، فتأثروا، واستجابوا وذهبوا معه إلى المسجد .

لا نذكر أحد بسوء وهكذا، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

فلا نظن بالشخص السوء ونقول هذا يسافر للخارج مع أن مكسبه قليل من أين يأتي بالمال؟ هنا ندخل إلى التجسس ثم نغتابه في غيابه، فهنا لا ننظر لشيء من هذا، بل ننشغل بأنفسنا ونحاسبها ونهذبها ونعاتبها، ولو كلمني أحد عن أخيه فأذكره بقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

فترك هذه الصفات السيئة، فهذا يعمل على جمع القلوب بين الدعاة ، ثم بين المسلمين عامة فيما بعد، ولكن لو أنا أبصرت أمرا فهنا لا أذهب مباشرة إلى الشخص وأكلمه إلا لو كان بيننا وبينه محبة ورابطة ، ويكون الكلام خفية ليس أمام الناس، ثم ألاحظه في الكلام ليفهم ، وإذا لم يكن بيننا علاقة فهنا نخبر رجلا بينهما محبة وعلاقة ونظن بها الخير والصلاح على أن يفهمه ويشرح له سرا بينهما، ولا نتكلم بهذا في بيان عام على سبيل ما بال أقوام لأن الناس قد تفهم

(١) سورة الحجرات - الآية ١٢ .

(٢) سورة الحجرات - الآية ١٢ .

وتكون مشكلة ، كذلك لا نعرض هذا الأمر في الشورى حتى لا تكون فتنة،
مثل رجل يرتدي كرافته وسط الأحباب فهنا دخل رجل فقال: ما بال أناس
يرتدون مثل ذيل الكلب ؟ هنا الجميع ينظر إلى ذلك الرجل ، فهذا ليس (مَا
بِأَلْ أَقْوَامٍ) ولكنه ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١).

والله تعالى ينهى عن هذا ويقول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا
بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
﴾ (٢) لكن لو ظهر لنا أمرا فيه مخالفة صريحة لدين الله فهنا علينا بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر (٣).

كلام الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله)

في صفة الإكرام والأخلاق

هذا العمل العظيم (عمل التبليغ والدعوة إلى الله) مبني على أصول
دقيقة، فلا يمكن إصلاح النفس به إلا إذا طبقت فيه تلك الأصول: اختيار
التواضع في الكلام وفي الجلسة وفي القيام والأكل والشرب وفي المعاملات
والمعاشرة.

فالحاصل أن يكون التواضع في كل شيء.. وخاصة في في الخطاب والبيان،

(١) سورة الهمزة - الآية ١ .

(٢) سورة الحجرات - الآية ١٢ .

(٣) انظر كتاب العلامة محمد عمر البالمبوري للمؤلف .

فلا نرى أنفسنا أعلم من غيرنا، ولا نستصغر الناس، بل نتكلم مستصغرين أنفسنا إلا أنه ما دمنا نتكلم عن الكبير (أي الله تعالى) فتكلم بالقوة والعظمة، ولا يكون في كلامنا خفة بل نتكلم عن الكبير معظمين كلام الكبير.

والتعود على هذا الشيء صعب جدا ولكنه ليس بمستحيل.

فلا يظهر في كلامنا لوم ولا اعتراض ولا تنقيد ولا تنقيص على أحد.

ومن التواضع أيضا أنه إذا اعترض علينا أحد في البيان نتحمل ونتحلى بالصبر والحلم، فلا يظهر علينا سخط ولا غضب، وهذه سنة الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا ارتقاء عظيم لنا.

ومن التواضع أيضا أنه إذا نبهنا أحد على تقصيرنا في بعض الأصول أو الصفات كنقص في العلم أو ذكر الله تعالى أو العبادات أو الأخلاق أو نقص في روح التضحية أن نعترف بتقصيرنا على الفور.

ونشكر هذا الناصح على توجيهه هذه النصيحة لنا.

ونسأل الله تعالى أن يزيدنا من هذه الصفات، وقد كَانَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: "رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي" (١) وفي هذا إصلاح للنفس وارتقاؤها، وبهذا نقبل الحق ولو من المخالفين لنا.

ولكننا بسبب ضعفنا نعرض عن سماع الحق منهم، فضلا من أن نقبله منهم.

ويجب أن نعترف بالتقصير وإن لم يظهر لنا تقصير.

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين «كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب» بَيَانُ الطَّرِيقِ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ عُيُوبَ نَفْسِهِ.

وأن ننظر إلى المسلمين عامة نظرة المحبة وأن نراعي نسبة التوحيد فيهم..
وبهذا تزداد عظمة الكلمة الطيبة في القلوب ويسهل العمل بالإسلام.
وإذا جاء في قلوبنا احتقار المسلمين تنقص عظمة الله في قلوبنا شيئاً فشيئاً.
ولا نستحسن ما يرتكبه المسلمون من المعاصي بل ننفر منها بدون أن ننفر من
المسلمين.

وعلى أن ننزل الناس منازلهم، ونكرم الناس الذين يجتهدون معنا في هذا
السبيل (أي القدماء) أكثر من غيرهم وهذا يورث حقيقة الأخلاق.
فإذا قدر الله وأخطأ أحدهم وقام بعمل من أعمالنا بدون مشورة فتنبه على
خطئه يتطلب (حكمة كبيرة جداً) وهذا أمر فيه صعوبة فلا ننبهه قبل
الاتصاف بهذه الحكمة المطلوبة.

بل نكتفي بالدعاء له والمذاكرة العامة، وقد يحدث الفساد في قلب القديم
غالباً لعدم إكرام أصحابه له.

فلا يزال يبتلى ويمتحن فتارة يصيبه الأذى من الأصحاب وتارة من غيرهم.
فبالصبر على هذه الأحوال يترقى ويصلح، وقد كَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :
عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ
ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ
صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ " صحيح مسلم (١) .

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ » بَابُ " الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ " (٢٩٩٩).

فلا ننزعج مما يصيبنا بل نستمر في الدعوة إلى الله على أي حال. وإنما نخاف من غضب الرب وسخطه فقط.

ونداوم على التوبة والاستغفار من زلاتنا، ونخاف من السلب بعد العطاء.. وبهذا نكون ناجحين إن شاء الله.

كما لا بد للداعي من معرفة المناسبة وما تقتضيه من أسلوب الدعوة، فالنبي ﷺ في بداية أمره قام بالدعوة إلى الله خفية في السنوات الثلاث الأولى حتى نزلت سورة الأمر بالجهر (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (١) عندئذ بدأ ﷺ بجهر الدعوة فجمع قريشا على الصفا فدعاهم إلى الله.

والذين أسلموا معه في بداية الأمر عليهم بالدعوة بالإخفاء التام ويبدؤون بمن يعرفون.

وخرج الصديق رضي الله عنه وحده فدعا أصدقائه، وكانت هذه الدعوة انفرادية.

والذين أسلموا كانوا يتعلمون ويتشاورون فيما بينهم في دار الأرقم. وكان تعليمهم آنذاك التوحيد والأخلاق كالصدق والأمانة والمواساة والمروءة والتعاون وغير ذلك من صفات الإيمان. وكان هذا بإخفاء تام.

وبدأ عهد الدعوة الاجتماعية في المدينة المنورة، بعد وصول مصعب بن عمير رضي الله عنه إليها سفيراً من طرف رسول الله ﷺ، وكان بدوره يدعو الناس خفية ويعلمهم القرآن والسنة.

(١) سورة الحجر – الآية ٩٤.

من هذا علم أن المناسبة تحدد نوعية العمل... وكذلك لا بد للداعي من معرفة طبائع الناس كما كان ﷺ كذلك لما عرض على ابن عمه علي ابن أبي طالب الإسلام قال له علي رضي الله عنه حتى أستشير والدي. فقال له ﷺ لا تخبره سوء أسلمت أو لم تسلم.. فهو ﷺ يعرف طبع عمه أبي طالب... فمعرفة طبائع المسلمين ومناسبتهم مع الدعوة واجبة على الداعي كذلك.. فالنبي ﷺ لم يسمح لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه بالبقاء معه في مكة، لأن طبعه كان حماسيا لا يقدر على إخفاء الدعوة حتى يأمر الله بالجهربها بل أمره بالرجوع إلى قبيلته غفار، ومع ذلك ما رجع رضي الله عنه حتى جهر بها وضرب ضربا شديدا.. وكذلك رد عمرو بن عبسة لوطنه، فعمرو بن عبسة السلمي، رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جريا عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي "قلت: وما نبي؟ قال: "أرسلني الله" قلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء" قلت: فمن معك على هذا؟ قال: "حر وعبد" ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما. قلت: إني متبعك، قال "إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا. ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن أرجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت

بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي" قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ. وَكُنْتُ فِي أَهْلِي. فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: "نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ" قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: "صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ. حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَجِّرُ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تُغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ". قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَالْوُضُوءُ حَدَّثَنِي عَنْهُ؟ فَقَالَ: "مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَسْتَرِّ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيشِمِهِ. ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لَحْيَيْهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ

قام فصلّي، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ومجّده بالذي هو له أهل، وفرّغ قلبه لله تعالى. إلا انصرف من خطيبته كهيبته يوم ولدته أمّه" (١).

ولما كان ﷺ في غار ثور قال لصاحبه الصديق رضي الله عنه (لا تحزن إن الله معنا) (٢).

ولكن أبي ذر الغفاري وعمرو بن عبسة ما قال لهما إن الله معنا بل أمرهما بالرجوع إلى قومهما مع أن الله كان مع رسول الله في ذلك الوقت كذلك.. والصحابة رضي الله عنهم كانوا هم بدورهم يعرفون المناسبة ونوعية العمل الذي يناسبها على ذلك.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه أركب إلى هذا الوادي فأعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء وأسمع من قوله ثم اتبني فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر فقال ما شفييني بما أردت فتزوّد وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فراه عليّ فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل

(١) صحيح مسلم « كتاب صلاة المسافرين وقصرها » باب إسلام عمرو بن عبسة (٨٣٢).

(٢) سورة التوبة - الآية ٤٠.

قَرَّبَتْهُ وَزَادَتْهُ إِلَى الْمُسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى
فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ فَأَقَامَهُ
فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ
الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي
أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنَّ أُعْطِيتُنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ
فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي فَإِنِّي إِن رَأَيْتُ شَيْئًا
أَخَافُ عَلَيْكَ قُمتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ فَإِن مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ
مَدْخَلِي فَفَعَلَ فَاِنْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ
مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى
يَأْتِيَكَ أَمْرِي"، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَصْرُحَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَخَرَجَ
حَتَّى أَتَى الْمُسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَآتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ
عَلَيْهِ قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غَفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ،
فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ
عَلَيْهِ (١).

هكذا حتى أدخله على النبي ﷺ بهذه الكيفية مع أن علي رضي الله عنه كان

(١) صحيح البخاري «كتاب مناقب الأنصار» باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه
(٣٦٤٨).

يعلم علم اليقين أن نصرة الله معه وأنه على الحق ورغم ذلك فإنه لم يهمل الحكمة في أخذ الحذر، لأنه كان يعلم المناسبة وما تقتضيه منه... من هذا علم لا ينبغي للداعي إهمال الحكمة والسير مع العاطفة من غير هدى وبصيرة بدافع أنه على الحق وأن الله معه بالتأييد الغيبي.

بل لا بد له من الوعي والإدراك إلى جانب العاطفة والثقة بالله واليقين على نصرة الله تعالى.

فسير الداعي بالعاطفة وحدها تسبب له الضرر الكبير، فقد تحمله على القدوم على قول أو عمل لا يرضاه الله تعالى ويكون سببا في إيقاع الأمة كلها في مشاكل لا طاقة لها على تحملها.. وكثير من الناس اليوم يقعون في مثل هذه الأخطاء بسبب جهلهم للنظام الرباني الغيبي ثم ينتظرون نصرة الله.

ويشتكون: لماذا لا ينصرنا الله ونحن على الحق، ومثال لذلك ما وقع في حادثة الحرم المكي المؤلمة، منهم العلماء قتلوا كلهم، وسجن كثير من الأبرياء الذين لا علاقة لهم بهذا الحادث المؤلم، ومنع الكلام في المساجد في كثير من بلدان الإسلام بعدما كان الدين يزدداد في الأمة ويظهر أثره على الشباب في لباسهم ووجوههم وفي النساء في لباسهم وبدأت صفة الحياء تتولد فيهن، ولكن بسبب الحماس والعاطفة بدون وعي ولا إدراك تغيرت الأحوال.

فعلينا أن نعلم علم اليقين أنه لا بد من الأسلوب الحق والمناسبة الصحيحة لقول الحق والعمل به، وإدراك كل هذا يسمى بالحكمة (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١) .

فربما الخطأ يكون في الأسلوب وربما يكون في المناسبة.

وهذه الحكمة لا نتحصل عليها إلا في هذا الخروج في هذا السبيل المبارك الدقيق على ترتيبه الصحيح. إذ بدونه لا نعلم كيف ندعوا أبدا. و يجب أن نتدبر في تاريخ دعوات كل الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين التي بينها القرآن الكريم. والتي لا يمكن فهم القرآن بدونها أبدا . كما يجب أن نضع بين أعيننا دائما سيرة الصحابة رضوان الله عليهم التي هي بمثابة الحاشية على السيرة النبوية.

كما يجب استخدام العقل السليم، فبدونه يضل الإنسان في فهم هذه المصادر الثلاث. ويزيغ عن سواء السبيل.. والعقل السليم لا يدرك إلا بالحصول على صفات الإيمان كالتقوى والتوكل والزهد والقناعة والصبر والشكر والصدق والأمانة والعدل وخوف الله والإنابة إليه وحبه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم. فصاحب هذه الخصال هو صاحب العقل السليم وهو الذي يوفقه الله تعالى لفهم القرآن والسنة وسيرة الصحابة فهما سليما.

وإلا فربما ينتقل به العقل من الجهل البسيط إلى الجهل المركب (فيضل ويضل) وهذا أكبر مصدر الفساد في العالم نعوذ بالله تعالى منه.

(١) سورة النحل – الآية ١٢٥ .

طريقة

الحصول على حُسن الخلق

١. كتب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): في رسالته التي أرسلها إلى جماعة الحج والعمرة المتجهة إلى بلاد الحجاز: نكرم كل مسلم من حيث أنه من أمة النبي ﷺ، ونتواضع لكل مسلم ونؤدي حقوقه ولا نسأل حقوقنا إلا من الله، وفي الحديث: عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " متفق عليه (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَحُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. رواه الترمذي وقال حديث حسن (٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَحَاسَدُوا،

(١) رياض الصالحين _ باب تعظيم حرمان المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم

ورحمتهم _ رقم الحديث (٢٣٣)

(٢) المرجع السابق _ رقم الحديث (٢٣٤)

وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبْغِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ،
وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ،
وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ
الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ "
رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

فنجعل الشوق في قلوب المسلمين لإكرام المسلم بطريقة الترغيب
وإخبارهم بقيمة المسلم، ونسمعهم من قصص أخلاق النبي والصحابة الكرام
رضي الله عنهم، ومحبتهم وإيثارهم لبعضهم البعض، فتدرب على ذلك بأنفسنا
وندعو الله عز وجل أن يوفقنا للتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

٢. وقال الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله) : اذا بحثنا عن الحسنة
في سيئات غيرنا يحصل لنا حسن الخلق... واذا نظرنا الى العيب في جهودنا
يحصل لنا الاخلاص. أ.هـ.

بَيَانُ الطَّرِيقِ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ عُيُوبَ نَفْسِهِ:
[الطَّرِيقُ] الْأَوَّلُ : أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْ شَيْخٍ بَصِيرٍ بِعُيُوبِ النَّفْسِ ، مُطَّلِعٍ عَلَى
خَفَايَا الْأَفَاتِ وَيَتَّبِعُ إِشَارَتَهُ فِي مُجَاهَدَتِهِ ، وَهَذَا شَأْنُ التَّلْمِيزِ مَعَ أَسَاتِذِهِ ، فَيَعْرِفُهُ
أُسْتَاذُهُ عُيُوبَ نَفْسِهِ ، وَيَعْرِفُهُ طَرِيقَ عِلَاجِهِ .

[الطَّرِيقُ] الثَّانِي : أَنْ يَطْلُبَ صَدِيقًا صَدُوقًا بَصِيرًا مُتَدَيِّنًا يَلَاحِظُ أَحْوَالَهُ

(١) المرجع السابق - رقم الحديث (٢٣٥)

وَأَفْعَالُهُ، فَمَا كَرِهَ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ وَعُيُوبِهِ يُنَبِّهُهُ عَلَيْهِ، فَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ
الْأَكَابِرُ مِنْ أَثَمَةِ الدِّينِ ، كَانَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : " رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى
إِلَيَّ عُيُوبٍ " .

الطَّرِيقُ الثَّالِثُ: أَنْ يَسْتَفِيدَ مَعْرِفَةَ عُيُوبِ نَفْسِهِ مِنْ أَلْسِنَةِ أَعْدَائِهِ، فَإِنَّ عَيْنَ
السُّخْطِ تُبْدِي الْمُسَاوِيَا، وَلَعَلَّ انْتِفَاعَ الْإِنْسَانِ بَعْدُ مُشَاحِنٍ يَذْكُرُ عُيُوبَهُ أَكْثَرَ
مِنْ انْتِفَاعِهِ بِصَدِيقٍ مُدَاهِنٍ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ ، وَيُخْفِي عَنْهُ عُيُوبَهُ.

الطَّرِيقُ الرَّابِعُ: أَنْ يُجَالِطَ النَّاسَ، فَكُلُّ مَا رَأَهُ مَذْمُومًا فِيمَا بَيْنَ الْخَلْقِ فَلْيُطَالِبْ
نَفْسَهُ بِهِ وَيَنْسُبْهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مِرَاةَ الْمُؤْمِنِ، فَيَرَى مِنْ عُيُوبٍ غَيْرِهِ عُيُوبَ
نَفْسِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الطَّبَاعَ مُتَقَارِبَةً فِي اتِّبَاعِ الْهُوَى ، فَمَا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ فَلَا يَنْفَكُ
هُوَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ عَنْ أَعْظَمَ مِنْهُ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَلْيَتَفَقَّدْ نَفْسَهُ وَيُطَهِّرْهَا عَنْ
كُلِّ مَا يَذُمُّهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَنَاهِيكَ بِهَذَا تَأْدِيبًا ، فَلَوْ تَرَكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مَا يَكْرَهُونَهُ
مِنْ غَيْرِهِمْ ، لَاسْتَعْنَوْا عَنِ الْمُؤَدِّبِ (١) .

٣. نخرج في سبيل الله مع من لا نعرفهم فتتحسن أخلاقنا:

فقد جاء في الحديث: عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
(ﷺ) قَالَ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخَزَاعِيِّ يَا أَكْثَمُ اغْزُ مَعَ غَيْرِ قَوْمِكَ يَخْسُنْ خُلُقُكَ
وَتَكْرُمَ عَلَى رُفَقَائِكَ يَا أَكْثَمُ خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ وَخَيْرُ

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين « كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
ومعالجة أمراض القلب » بَيَانُ الطَّرِيقِ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ عُيُوبَ نَفْسِهِ.

الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ (١).

٤. ندعو الناس إلى حسن الخلق، ونذكرهم بقصص النبي والصحابة في حسن الخلق.

٥. نسأل الله حسن الخلق: فقد جاءت الأحاديث في طلب النبي من ربه أن يرزقه حسن الخلق مع ثناء الله عليه، منها:

(١) قَوْلُهُ: (مَعَ غَيْرِ قَوْمِكَ) فَإِنَّهُمْ يُرَاعُونَ الْإِنْسَانَ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُرَاعِيَهُمْ فَبِالضَّرُورَةِ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ (وَتَكْرَمُ) أَمْرٌ مِنَ التَّكْرَمِ كَمَا ضَبَطَهُ صَاحِبُ الزَّوَائِدِ، وَضَبَطَهُ بَعْضُهُمْ مُضَارِعًا مِنَ الْكَرَمِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، أَيُّ: كُنْ كَرِيمًا عَلَيْهِمْ مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ.

وقَوْلُهُ: (خَيْرُ الرَّفَقَاءِ) خَيْرِيَّةٌ هَذِهِ الْأَعْدَادُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا دُونَهَا.

وقَوْلُهُ: (وَلَنْ يُغْلَبَ) عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ تَرْغِيْبًا لَهُمْ فِي التَّعَبِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ قَلِيلِينَ فَيَفِرُّوا لِذَلِكَ، وَفِي الزَّوَائِدِ فِي إِسْنَادِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْعَانِيُّ وَابْنُ سَلَمَةَ الْعَامِلِيُّ وَهُمَا ضَعِيفَانِ، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ الْعَامِلِيُّ مَتْرُوكٌ، وَالْحَدِيثُ بَاطِلٌ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ الْعَامِلِيُّ كَذَّابٌ وَأَسَمُهُ الْحَكْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَطَّابٍ ، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ قَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَهٍ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ أَكْثَمِ بْنِ الْجَوْنِ الْخَزَاعِيِّ نَفْسِهِ. وَأَشَارَ إِلَيْهَا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ ابْنِ عَسَاكِرَ يَا أَكْثَمُ اغْزُ مَعَ قَوْمِكَ يَحْسُنْ خُلُقُكَ قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: الْمَحْفُوظُ مَعَ غَيْرِ قَوْمِكَ هـ.

قُلْتُ: وَكَانَ وَجْهُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُرَاعِي التَّحْفُظَ مَعَ غَيْرِ قَوْمِهِ مَالًا يُرَاعِيهِ مَعَهُمْ وَمِنْ هَذَا النَّمَطِ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُهُ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُهُ فَلْيُجَالِسْ غَيْرَ عَشِيرَتِهِ أ. هـ. كَلَامُ السُّيُوطِيِّ (سنن ابن ماجه بحاشية السندي

والسيوطي» كتاب الجهاد _ باب السَّرَايَا _ رقم الحديث (٢٨٢٧)

الحديث الأول: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا لَأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لَأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ، وَسَيِّئَ الْأَخْلَاقِ، لَا يَبْقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ" رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . (١) .

الحديث الثاني: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لَأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ" (٢) .

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الصلاة» باب ما يقرأ بعد التكبير (٨٢٠) .

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا» مَحَبَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ... رقم الحديث: ٨ .

قصص في الإكرام

١) أكرم الخلق (محمد ﷺ):

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ

ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تَجِبْهُ أَنَامِلُهُ كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقِ اللَّهَ سَائِلُهُ فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ (١)

٢) عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ (٢).

٣) وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا .

ما قال: لا قط، إلا في تشهده

٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ، أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ " رواه البخاري ومسلم.

٥) وعن سهل بن سعد ؓ: أَنَّ أَمْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنَسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لَأَكْسُو كَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ فُلَانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا ! فَقَالَ: " نَعَمْ "

(١) وهي من قصيدة شعر لأبي تمام < أجل أيها الربع الذي خف أهله .

(٢) صحيح مسلم « كتاب الفضائل » باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه (٢٣١٢) .

فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلَتْهُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهِ لِأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهِ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رواه البخاري (١).

٦) وَعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ : " انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ " فَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي إِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا. قَالَ: " خُذْ " فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ ثُمَّ ذَهَبَ يُقْلُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: " أُوْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ . قَالَ: " لَا " قَالَ : فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ. قَالَ: " لَا " فَتَنَرَّ مِنْهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُقْلُهُ فَلَمْ يَرْفَعُهُ. فَقَالَ: فَمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعُهُ عَلَيَّ. قَالَ: " لَا " قَالَ : فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ. قَالَ: " لَا " فَتَنَرَّ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ يُتْبِعُهُ بَصَرُهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا عَجَبًا مِنْ حَرَصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ.

٧) وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ أَعْيَا بَعِيرِي قَالَ: فَخَسَّهُ فَوَثَبَ، فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْبَسُ خِطَامَهُ لَأَسْمَعَ حَدِيثَهُ فَمَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " بِعْنِيهِ " فَبِعْتُهُ مِنْهُ بِخَمْسِ أَوَاقٍ. قَالَ: قُلْتُ: عَلَى أَنَّ لِي ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ: " وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ " قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُهُ بِهِ فَزَادَنِي أُوقِيَةً ثُمَّ وَهَبَهُ لِي. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: " يَا جَابِرُ، أَتَوَفَّيْتُ الثَّمَنَ ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ:

" لَكَ الثَّمَنُ وَلَكَ الْجَمَلُ ، لَكَ الثَّمَنُ وَلَكَ الْجَمَلُ "

(٨) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْخِرُ شَيْئًا لِعَدٍ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٩) وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - الْعَصْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا فَدَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ ، وَرَأَى مَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ ، فَقَالَ : " ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تَبْرًا عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يُمَسِّيَ أَوْ يَبِيتَ عِنْدَنَا ، فَأَمَرْتُ بِقَسَمَتِهِ "

(١٠) وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يَقُولُ : " إِنِّي لَأَلِجُ هَذِهِ الْغُرْفَةَ مَا أَلْجُهَا إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَالٌ فَأَتَوْفَى وَلَمْ أَنْفِقْهُ " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ .

(١١) فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبَذَةً شَدِيدَةً ، وَرَجَعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي نَحْرِ الْأَعْرَابِيِّ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

(١٢) وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : " أَعْطُونِي رِدَائِي ، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا " .

(١٣) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ وَضَعَهَا عِنْدَ عَائِشَةَ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ مَرَضِهِ ، قَالَ : " يَا عَائِشَةُ اذْهَبِي بِالذَّهَبِ إِلَى عَلِيٍّ " ، ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ، وَشَغَلَ عَائِشَةَ مَا بِهِ ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ مِرَارًا ، كُلُّ ذَلِكَ يُغْمَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَشْغَلُ عَائِشَةَ مَا بِهِ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَصَدَّقَ بِهَا ، وَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ فِي جَدِيدِ الْمَوْتِ ، فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ بِمُضْبَاحٍ لَهَا إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهَا ، فَقَالَتْ : اهْدِي لَنَا فِي مُضْبَاحِنَا مِنْ عُكَّكَ السَّمْنِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْسَى فِي جَدِيدِ الْمَوْتِ . رواه الطبراني وصححه الألباني.

(١٤) وعن أبي ذرٍّ ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - التفت إلى أَحَدٍ فَقَالَ : والذي نفسي - بيده ، مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَحَدًا تَحُولَ لَالٍ مُحَمَّدٍ ذَهَبًا ، أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَمُوتَ يَوْمَ أَمُوتُ أَدْعُ مِنْهُ دِينَارَيْنِ ، إِلَّا دِينَارَيْنِ أَعَدُّهُمَا لِلدَّيْنِ إِنْ كَانَ . رواه أحمد وحسنه الألباني.

(١٥) وعن مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنْمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ (١).

(١٦) أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ . قَالَ : غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ ، فَتَحَ مَكَّةَ . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ . فَانْصَرَفَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ . وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِنَ النِّعَمِ . ثُمَّ

(١) صحيح مسلم « كتاب الفضائل » باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه.

مائة. ثُمَّ مِائَةً

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَا بَعْضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ. (١).

قال محمد بن عمر: يقال إن صفوان طاف مع رسول الله ﷺ يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مملوء إبلا مما أفاء الله به على رسوله ﷺ فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء، فاعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعْجَبَكَ يَا أَبَا وَهْبٍ هَذَا الشَّعْبُ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: "هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ"، فَقَالَ صَفْوَانُ: أَشْهَدُ مَا طَابَتْ بِهَذَا نَفْسُ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ (٢). (١٧) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَسْتَعِينُهُ فِي شَيْءٍ فَأَعْطَاهُ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَلَا أَجْمَلْتَ. قَالَ: فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ: أَنْ كُفُّوا، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ، فَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ، فَرَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟. قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ، وَقُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ؛ حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ

(١) المرجع السابق.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد _ غزوة حنين.

صُدُّوهُمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَوِ الْعَثِيَّ جَاءَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا كَانَ جَاءَ فَسَأَلْنَا ، فَأَعْطَيْنَاهُ ، فَقَالَ مَا قَالَ ، وَإِنَّا دَعَوْنَاهُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَعْطَيْنَاهُ ، فَرَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ ، أَكْذَلِك ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا ، فَتَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاقَةِ فَإِنَّا أَرْفَقُ النَّاسَ بِهَا وَأَعْلَمُ ، فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَأَخَذَهَا مِنْ فُتَامِ الْأَرْضِ ، فَرَدَّهَا هَوْنًا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاحَتْ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوِ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ ، فَقَتَلْتُمُوهُ ، دَخَلَ النَّارَ .

شَكَتْ إِلَيْهِ فَاطِمَةُ مَا تَلَقَى مِنْ خِدْمَةِ الْبَيْتِ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ خَادِمًا يَكْفِيهَا مُؤْنَةَ بَيْتِهَا ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَسْتَعِينَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ عِنْدَ نَوْمِهَا ، وَمَرَّةً ثَانِيَةً سَأَلَتْهُ خَادِمًا فَلَمْ يَعْطِهَا : وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهَا : " لَا أُعْطِيكُمْ ، وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَلَوَّى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ " ، وَقَالَ مَرَّةً : " لَا أُخْدِمُكُمْ ، وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطَوَّى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ " (١) .

(١٨) قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) (٢) ، الْمُهَاجِرُونَ ، قَالَ : وَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ ، يَعْنِي : أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ ، بَعْضُ مَنْ تَكَلَّمَ

(١) مسند أحمد بن حنبل « مسند العشرة المبشرين بالجنة... » مسند الخلفاء الراشدين _ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) سورة الحشر _ الآية ٩ .

مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ : " إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ " فَقَالُوا : أَمْوَالُنَا بَيْنَهُمْ قَطَائِعُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَلَ فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُمُ الثَّمَرَ فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(١٩) وفي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ قَالَ : " لَا " ، فَقَالَ : " تَكْفُونَا الْمُثُونَةَ وَنُشِرَ كُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ " قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

فهل سمعت الدنيا بمثل ذلك ؟!! قوم الأرض أرضهم وهم الذين يعملون فيها ويوالونها ويقومون على أمرها.. فإذا أنتجت وأثمرت قاموا مقام الأجراء وقاسموا غيرهم الثمر والربح فأين يوجد مثل هذا؟

وفي البخاري عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْوَلِيدِ ، قَالَ : دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطَعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالُوا : لَا إِلَّا أَنْ تُقْطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا ، قَالَ : " إِمَّا لَا فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ " .

وقد أحس المهاجرون بفضائل الأنصار واعترفوا لهم بالإحسان حتى

خافوا أن يذهبوا بكل الأجر؛ ففي المسند عن أنسٍ، قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَّةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمُهْنَا، حَتَّى لَقَدْ حَسِبْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قَالَ: " لَا، مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ " (١).

وما أجمل الإحسان، وما أجمل الشكر عليه، وما أعظم وأحسن ما وصف به الفريقين؛ فالمهاجرون تركوا أموالهم وأولادهم وديارهم لله تعالى ولرسوله، فأثنى الله عليهم فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٢)، والأنصار واسوهم بالمال وأحسنوا إليهم، وآثروهم على أنفسهم؛ فأثنى الله عليهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

٢٠) أخرج البخاري في صحيحه عن أنسٍ - رضى الله عنه - قَالَ قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ - بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ

(١) مسند أحمد بن حنبل «مسند العشرة المبشرين بالجنة» «باقي مسند المكثرين من الصحابة» (١٢٨٢٦).

(٢) سورة الحشر - الآية ٨ .

(٣) سورة الحشر - الآية ٩ .

وَمَالِكٌ ، دُلِّنِي عَلَى السُّوقِ .

وفي رواية للبخاري: عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جدّه قال لما قدّموا المدينة ألقى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك في أهلِكَ ومالك أين سوقكم فدلّوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ مهيم قال تزوجت قال كم سقت إليها قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب شك إبراهيم .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال قدّم علينا عبد الرحمن بن عوف وألقى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير المال فقال سعد قد علمت الأنصار أنني أكثرها مالا سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلِكَ فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئا من سمن وأقط فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه ضر من صفرة فقال له رسول الله ﷺ مهيم قال تزوجت امرأة من الأنصار فقال ما سقت إليها قال وزن نواة من ذهب أو نواة من ذهب فقال أولم ولو بشاة .

(٢١) وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود .

فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يُضِيفُهُ يَرْحَمُهُ اللَّهُ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (يُقَالُ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ) فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لِمَرْأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتٌ صِيبَانِي. قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ وَنَوِّمِيهِمْ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ فَإِذَا أَهْوَى بِيَدِهِ لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السَّرَاجِ كَيْ تَصْلِحِيهِ فَأَطْفِئِيهِ فَفَعَلَتْ، فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، وَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ أَوْ ضَحِكَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ. متفق عليه.

وفي رواية مثله ولم يُسمَّ أبا طَلْحَةَ، وفي آخرها فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " متفقٌ عَلَيْهِ . (١) .

(٢٢) كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ. حَتَّى إِنَّهُ مَرَضَ مَرَّةً، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ. فَسَأَلَ عَنْهُمْ؟ فَقَالُوا، إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ، فَقَالَ: أَخْزَى اللَّهُ مَا لَا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ. ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ. فَمَا أَمْسَى حَتَّى كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ، لِكَثْرَةِ مَنْ عَادَهُ.

وَقَالُوا لَهُ يَوْمًا: هَلْ رَأَيْتَ أَسْحَى مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. نَزَلْنَا بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ. فَحَضَرَ زَوْجُهَا. فَقَالَتْ: إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانٍ. فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا، وَقَالَ: شَانُكُمْ

(١) مشكاة المصابيح « كتاب المناقب والفضائل » باب جامع المناقب ٣ / ١٧٦١ - رقم الحديث (٦٢٥٢).

؟ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جَاءَ بِأُخْرَى فَتَحَرَّهَا. فَقُلْنَا : مَا أَكَلْنَا مِنَ التِّي نَحَرَّتَ
الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَطْعِمُ ضَيْفَانِي الْبَائِتَ . فَبَقِينَا عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ أَوْ
ثَلَاثَةً، وَالسَّاءُ مُمَطَّرٌ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي
بَيْتِهِ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ: اعْتَدِي لَنَا إِلَيْهِ. وَمَضَيْنَا، فَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ
يَصِيحُ خَلْفَنَا: قِفُوا .. أَيُّهَا الرِّكْبُ اللَّئَامُ .. أُعْطِيتُمُونِي ثَمَنَ قِرَايَ ؟ ثُمَّ إِنَّهُ
لِحَقْنَا، وَقَالَ: لَتَأْخُذَنَّهُ أَوْ لَا طَاعِنَتَكُمْ بِرُحْيٍ. فَأَخَذْنَاهُ وَانْصَرَفَ (١).

(٢٣) وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضَيْعَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَلَى نَخِيلٍ قَوْمٍ وَفِيهِ
غُلَامٌ أَسْوَدُ يَعْمَلُ فِيهِ إِذْ أَتَى الْغُلَامُ بِقُوْتِهِ فَدَخَلَ الْحَائِطَ كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ
الْغُلَامِ فَرَمَى إِلَيْهِ الْغُلَامُ بِقُرْصٍ فَأَكَلَهُ ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ الثَّانِي وَالثَّلَاثَ فَأَكَلَهُ
وَعَبَدُ اللَّهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا غُلَامُ كَمْ قُوْتِكَ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ مَا رَأَيْتَ قَالَ فَلِمَ
أَثَرْتَ بِهِ هَذَا الْكَلْبَ قَالَ مَا هِيَ بِأَرْضِ كِلَابٍ إِنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ
جَائِعًا فَكَرِهْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَهُوَ جَائِعٌ قَالَ فَمَا أَنْتَ صَانِعُ الْيَوْمَ قَالَ أَطْوِي
يَوْمِي هَذَا فَقَالَ عبد الله بن جعفر أَلَامُ عَلَى السَّخَاءِ إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ لَأَسْخَى
مَنِّي فَاشْتَرَى الْحَائِطَ وَالْغُلَامَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَلَاتِ فَأَعْتَقَ الْغُلَامَ وَوَهَبَهُ مِنْهُ (٢).

(٢٤) وَقَالَ " ابْنُ عُمَرَ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : " أَهْدِي لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأْسَ شَاةٍ فَقَالَ : أَخِي فَلَانٌ أَحْوَجُ مِنِّي إِلَيْهِ ،

(١) مدارج السالكين بين منازل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ « فَصَلِّ مَنَازِلَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ مَنْزِلَةَ الْإِنْبَارِ.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَبَعَثَهُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِلَى آخَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدًا إِلَى آخَرَ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ بَعْدَ أَنْ تَدَاوَلَهُ سَبْعَةٌ. (١).

٢٥) ولما دخل المنكر على عائشة رضي الله عنها قال لها: يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة، فقالت: ما عندي شيء، فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك، فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها إليه في أثره، فأخذها ودخل بها السوق، فاشتري جارية بألف درهم، فولدت له ثلاثة أولاد، فكانوا عباد المدينة، وهم: محمد وأبو بكر، وعمر بنو المنكر. (٢).

٢٦) يحكى أَنَّ أَبَا جَهْمٍ بَنَ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيَّ ، قَالَ: " انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي ، وَمَعِيَ شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ ، وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَعُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ ، يَقُولُ : آه ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ ، يَقُولُ : آه ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ انْطَلِقُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَحِثُّهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِّي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ! (٣).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين « كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة » حقوق الأخوة والصحبة الحق الأول في المال.

(٣) الزهد والرفائق لابن المبارك « باب : هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ... رقم الحديث: ٥١٣.

(٢٧) **وقال عباس بن دهقان:** ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر- بن الحارث ؛ فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوباً فمات فيه. (١).

(٢٨) **وروي أن** شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء، فنزع خشبةً من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه (٢).

(٢٩) **حكى أبو محمد الأزدي قال:** لما احترق المسجد بمرو، ظن المسلمون أن النصاري أحرقوه، فأحرقوا خاناتهم، فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات، وكتب رقاعاً فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم، فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها، فوقع رقعةً فيها القتل بيد رجل، فقال: والله ما كنت أبالي لولا أم لي ! وكان بجنبه بعض الفتيان، فقال له: في رقعتي الجلد وليس لي أم ، فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك. ففعل، فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل. (٣) !

(٣٠) **وكان موروّق العجليّ، الإمام ، أبو المقتدر البطرقيّ:** يتلطف في إدخال السرور والرفق على إخوانه، فيضع عند أحدهم البدرّة، [صرة المال – كيس النقود] ويقول له: امسكها حتى أعود إليك ، ثم يرسل يقول له: أنت منها في حل .
وعن جميل بن مرة قال: كَانَ مُورِّقٌ - رَحِمَهُ اللهُ - يَجِيئُنَا فَيَقُولُ: أَمْسِكُوا لَنَا

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف.

(٣) المرجع السابق.

هَذِهِ الصُّرَّةُ ، فَإِنْ احْتَجْتُمْ فَأَنْفِقُوهَا . فَيَكُونُ آخِرَ عَهْدِهِ بِهَا (١) .

(٣١) وقصد رجل إلى صديق له فدق عليه الباب، فخرج إليه وسأله عن حاجته، فقال: علي دين كذا وكذا، فدخل الدار وأخرج إليه ما كان عليه، ثم دخل الدار باكياً، فقالت له زوجته: هلا تعللت حيث شقت عليك الإجابة، فقال: إنما أبكي لأني لم أنفقد حاله حتى احتاج إلي أن يسألني .

(٣٢) وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما: من أجود الناس، عطش يوماً في طريقه، فاستسقى من منزل امرأة، فأخرجت له كوزاً، وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب، وليأخذه بعض غلمانكم، فإني امرأة عزبٌ مات زوجي، فشرب عبد الله الماء وقال: يا غلام احمل إليها عشرة آلاف درهم، فقالت: سبحان الله أتسخر بي ! فقال: يا غلام احمل إليها عشرين ألفاً، فقالت: أسأل الله العافية، فقال: يا غلام احمل إليها ثلاثين، فما أمست، حتى كثر خطابها .

وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ينفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه، وأربعين عن يساره، وأربعين أمامه، وأربعين خلفه، ويبعث إليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد، ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله تعالى عنه .

(٣٣) ومن لم يجد ما يواسي به إخوانه فلا أقل من أن يستشعر ما هم فيه ويتعيش

(١) سير أعلام النبلاء» الطبقة الثانية» موزق .

مع همومهم ويواسيهم ولو بحاله ووجدانه، قال بعض الرواة: دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب، فقلت: يا أبا نصر- الناس يزدون الثياب في مثل هذا اليوم وأنت تنقص؟ فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسيهم، فأردت أن أوافقهم بنفسي في مقاساة البرد !

٣٤) قال الأصمعي: كانت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح، فاجتمعوا في المسجد الجامع قال: فبعثت وأنا غلام إلى ضرار بن القعقاع بن حازم، فاستأذن لي، فإذا هو في شملة يخبط نوى لعنز له حلوب، فأخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل القصعة وقال: يا جارية غدينا. فأتته بزيت وتمر. قال: فدعاني، فعذرته أن أكل معه حتى إذا قضى من أكله وثب إلى طين ملقى في الدار فغسل به يديه، ثم صاح بالجارية فقال: اسقيني ماء، فأتت بهاء فشربه ومسح بفاضله على وجهه وقال: الحمد لله! ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدي شكر هذه النعم؟ ثم قال: علي بردائي، فأتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة، قال الأصمعي: فتجافيت عنه استقباحاً لزيه، فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى إلى القوم، فلم تبق حبة إلا حلت إعظاماً له، فتحمل ما كان بين الأحياء من الديات في ماله وانصرف! (١) .

٣٥) قال أحد الصالحين: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب

(١) سراج الملوك للطرطوشي، التذكرة الحمدونية لابن حمدون .

الجهاد ، فتبعنا كلب من البلد ، فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا. فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً، فجاء إلى تكل الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف.(١).

(٣٦) قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : طَلَبَ الْحَجَّاجُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ ، فَجَاءَ الرَّسُولُ فَقَالَ : أُرِيدُ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ ، وَلَمْ يَسْتَحِلَّ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى النَّخَعِيِّ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ فِي الدِّيَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ظِلٌّ مِنَ الشَّمْسِ ، وَلَكِنْ مِنَ الْبَرْدِ ، وَكَانَ كُلُّ اثْنَيْنِ فِي سِلْسِلَةٍ ، فَتَغَيَّرَ إِبْرَاهِيمُ ، فَعَادَتْهُ أُمُّهُ ، فَلَمْ تَعْرِفْهُ ، حَتَّى كَلَّمَهَا ، فَمَاتَ ، فَرَأَى الْحَجَّاجُ فِي نَوْمِهِ قَائِلًا يَقُولُ : مَاتَ فِي الْبَلَدِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَسَأَلَ ، فَقَالُوا : مَاتَ فِي السَّجَنِ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ ، فَقَالَ : حِلْمٌ نَزَعَتْهُ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ عَلَى الْكُنَاسَةِ(٢).

(٣٧) عبد الله بن أحمد الرباطي المروزي : عن مصعب بن أحمد بن مصعب قال : " قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة ، وكنت أحب أن أصحبه ، فأتيته واستأذنته في الصحبة فلم يأذن لي في تلك السنة ، ثم قدم سنة ثانية وثالثة ، فأتيته

(١) إحياء علوم الدين « باب بيان الأيثار وفضله.

(٢) سير أعلام النبلاء» الطبقة الثانية»إبراهيم بن يزيد التيمي.

فسلمت عليه وسأله فقال: اعزم على شرط: يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت أنت الأمير. فقال: لا بل أنت فقلت: أنت أسنّ وأولى، فقال: فلا تعصني. فقلت: نعم. فخرجتُ معه وكان إذا حضر الطعام يؤثري، فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليك أن لا تخالفني؟، فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبتي؛ لما يلحق نفسه من الضرر. فأصابنا في بعض الأيام مطرٌ شديد ونحن نسير فقال لي: يا أبا أحمد اطلب الميل – وهو علامة الطريق –، ثم قال لي: اقعد في أصله، فأقعدني في أصله، وجعل يديه على الميل، وهو قائم قد حنا عليّ وعليه كساء قد تجلل به يظلني من المطر، حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة رحمه الله (١).

(٣٨) وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَنْطَاكِيِّ : أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ نِيفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الرَّيِّ ، وَمَعَهُمْ أَرْغِفَةٌ مَعْدُودَةٌ لَا تُشْبِعُ جَمِيعَهُمْ ، فَكَسَرُوا الرُّغْفَانَ وَأَطْفَأُوا السَّرَاجَ وَجَلَسُوا لِلطَّعَامِ ؛ فَلَمَّا رُفِعَ فَإِذَا الطَّعَامُ بِحَالِهِ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ أَحَدٌ شَيْئًا ؛ إِثَارًا لِصَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (٢).

(٣٩) وَعَنْ مَالِكِ الدَّارَانِيِّ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَخَذَ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ : اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَبَّثْ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ ، فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ ، فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن «سورة الحشر» قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ ، فَقَالَ : وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى يَا جَارِيَةُ اذْهَبِي بِهِدِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهِدِ الْخُمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهِدِ الْخُمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ ، حَتَّى أَنْفَذَهَا . فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَخْبَرَهُ ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فَقَالَ : اذْهَبِي بِهَا إِلَى مُعَاذٍ ، وَتَلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ ، فَقَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ . تَعَالَى يَا جَارِيَةُ اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا ، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا ، فَاطْلَعَتِ امْرَأَةً مُعَاذٍ ، فَقَالَتْ : وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا - وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخُرْفَةِ إِلَّا دِينَارَانِ - فَدَحَا بِهِمَا إِلَيْهَا ، وَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ فَأَخْبَرَهُ فَسَرَّ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . (١) .

٤٠) وعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عَنَتَرَةَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ جَدِّي : أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ سَعْدٍ ، بَعَثَهُ عُمَرُ عَلَى حِمَصٍ ؛ فَمَكَثَ حَوْلًا لَا يَأْتِيهِ خَبَرُهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَقْبِلْ بِمَا جَبَيْتَ مِنَ الْفَيْءِ . فَأَخَذَ جِرَابَهُ وَقَصَعَتَهُ ، وَعَلَّقَ إِذْوَاتَهُ ، وَأَخَذَ عَنزَتَهُ وَأَقْبَلَ رَاجِلًا . فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، وَقَدْ شَحِبَ وَاعْبَرَّ وَطَالَ شِعْرُهُ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ صَحِيحَ الْبَدَنِ ، مَعِيَ الدُّنْيَا ! فَظَنَّ عُمَرُ أَنَّهُ جَاءَ بِمَالٍ ، فَقَالَ : جِئْتَ تَمَشِّي ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَمَا كَانَ أَحَدٌ يَتَبَرَّعُ لَكَ بِدَابَّةٍ ؟ قَالَ : مَا فَعَلُوا ، وَلَا سَأَلْتُهُمْ . قَالَ : بِئْسَ الْمُسْلِمُونَ ! قَالَ : يَا عُمَرُ ، إِنَّ اللَّهَ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» معاذ بن جبل «اختبار عمر له ولأبي عبيدة بالمال وأمره الرسول بالتريث لينظر ماذا يعملان فيه.

قَدْ نَهَاكَ عَنِ الْغِيَّةِ. فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: الَّذِي جَبَيْتُهُ وَضَعْتُهُ مَوَاضِعَهُ، وَلَوْ نَالَكَ مِنْهُ شَيْءٌ لَأَتَيْتُكَ بِهِ. قَالَ: جَدُّدُوا لِعُمَيْرٍ عَهْدًا. قَالَ: لَا عَمِلْتُ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ، قُلْتُ لِنَصْرَانِيٍّ: أَخْرَاكَ اللَّهُ.

وَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ عَلَى أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَرَاهُ حَائِنًا؛ فَبَعَثَ رَجُلًا بِبِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ: انْزِلْ بِعُمَيْرٍ كَأَنَّكَ ضَيْفٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَثَرَ شَيْءٍ، فَأَقْبِلْ؛ وَإِنْ رَأَيْتَ حَالًا شَدِيدَةً؛ فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْمِائَةَ. فَانْطَلَقَ، فَرَأَاهُ يُفْلِي قَمِيصَهُ. فَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ: انْزِلْ. فَتَزَلَّ. فَسَاءَ لَهُ، وَقَالَ: كَيْفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: ضَرَبَ ابْنًا لَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ فَمَاتَ.

فَتَزَلَّ بِهِ ثَلَاثًا، لَيْسَ إِلَّا قُرْصٌ شَعِيرٍ يُحْصُونُهُ بِهِ، وَيَطُوونَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَجَعْتَنَا. فَأَخْرَجَ الدَّنَانِيرَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ. فَصَاحَ، وَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهَا. رَدَّهَا عَلَيْهِ. قَالَتِ الْمَرْأَةُ: إِنْ احْتَجَّتْ إِلَيْهَا، وَإِلَّا ضَعَهَا مَوَاضِعَهَا. فَقَالَ: مَا لِي شَيْءٌ أَجْعَلُهَا فِيهِ. فَشَقَّتِ الْمَرْأَةُ مِنْ دُرْعِهَا، فَأَعْطَتْهُ خِرْقَةً، فَجَعَلَهَا فِيهَا؛ ثُمَّ خَرَجَ يُقَسِّمُهَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الشُّهَدَاءِ.

وَأَتَى الرَّجُلُ عُمَرَ؛ فَقَالَ: مَا فَعَلَ بِالذَّهَبِ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ يَطْلُبُهُ. فَجَاءَ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ الدَّنَانِيرُ؟ قَالَ: وَمَا سُؤْأُكَ؟ قَدَّمْتُهَا لِنَفْسِي.. فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ وَثَوْبَيْنِ. فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي الطَّعَامِ؛ وَأَمَّا الثَّوْبَانِ، فَإِنَّ أُمَّ فُلَانٍ عَارِيَةٌ. فَأَخَذَهُمَا، وَرَجَعَ. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ (١).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٤١) وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ نَاسٌ بِالْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ ، لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ وَمَنْ يُعْطِيهِمْ ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدُوا ذَلِكَ ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ . وَلَمَّا مَاتَ وَجَدُوا فِي ظَهْرِهِ وَأَكْتَافِهِ أَثَرَ حَمْلِ الْجُرْبِ إِلَى بُيُوتِ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ فِي اللَّيْلِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَعُولُ مِائَةَ أَهْلِ بَيْتِ الْمَدِينَةِ ، وَلَا يَدْرُونَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ . وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَعُوذُهُ ، فَبَكَى ابْنُ أُسَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : عَلِيٌّ دِينَ . قَالَ : وَكَمْ هُوَ ؟ قَالَ : خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَفِي رِوَايَةٍ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ : هِيَ عَلِيٌّ (١).

(٤٢) وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ نَاسٌ بِالْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ ، لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ وَمَنْ يُعْطِيهِمْ ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدُوا ذَلِكَ ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ . وَلَمَّا مَاتَ وَجَدُوا فِي ظَهْرِهِ وَأَكْتَافِهِ أَثَرَ حَمْلِ الْجُرْبِ إِلَى بُيُوتِ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ فِي اللَّيْلِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَعُولُ مِائَةَ أَهْلِ بَيْتِ الْمَدِينَةِ ، وَلَا يَدْرُونَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ . وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَعُوذُهُ ، فَبَكَى ابْنُ أُسَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : عَلِيٌّ دِينَ . قَالَ : وَكَمْ هُوَ ؟ قَالَ : خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَفِي رِوَايَةٍ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ : هِيَ عَلِيٌّ (٢).

(١) البداية والنهاية» ثم دخلت سنة أربع وتسعين» ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان - سعيد بن جبيرة الأسدي الوالبي.

(٢) البداية والنهاية» ثم دخلت سنة أربع وتسعين» ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي، المشهور بزين العابدين.

(٤٣) وَفِي مُوطَأِ مَالِكٍ : أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ ؛ فَقَالَتْ لِمَوْلَاةِهَا : أَعْطِيهِ إِيَّاهُ ؛ فَقَالَتْ : لَيْسَ لَكَ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَتْ : أَعْطِيهِ إِيَّاهُ . قَالَتْ : فَفَعَلْتُ . قَالَتْ : فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدَى لَنَا : شَاةً وَكَفَنَهَا . فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ فَقَالَتْ : كُلِي مِنْ هَذَا ، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكَ . قَالَ عَلَمًاؤُنَا : هَذَا مِنَ الْمَالِ الرَّابِحِ ، وَالْفِعْلُ الزَّائِجِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يُعْجَلُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِمَّا يَدَّخِرُهُ عَنْهُ . وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ لَمْ يَجِدْ فَقْدَهُ . وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي فِعْلِهَا هَذَا مِنَ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخُصَاصَةِ ، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وَقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ وَأَفْلَحَ فَلَا حَاجَةَ لَآ خَسَارَةَ بَعْدَهُ . وَمَعْنَى (شَاةً وَكَفَنَهَا) فَإِنَّ الْعَرَبَ - أَوْ بَعْضَ الْعَرَبِ أَوْ بَعْضَ أَجْوَهِهِمْ - كَانَ هَذَا مِنْ طَعَامِهِمْ ، يَأْتُونَ إِلَى الشَّاةِ أَوْ الْحُرُوفِ إِذَا سَلَخُوهُ غَطَّوْهُ كُلُّهُ بِعَجِينِ الْبُرِّ وَكَفَنُوهُ بِهِ ثُمَّ عَلَّقُوهُ فِي التَّنُورِ ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْ وَدَكِهِ شَيْءٌ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ طِيبِ الطَّعَامِ عِنْدَهُمْ (١) .

(٤٤) عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ اشْتَكَى ، فَاشْتَرَى لَهُ عُقُودَ عِنَبٍ بِدِرْهَمٍ ، فَجَاءَ مِسْكِينٌ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، فَخَالَفَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الْمِسْكِينُ فَسَأَلَ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، فَخَالَفَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ

(١) المرجع السابق.

بِذَرَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الْمُسْكِينُ يَسْأَلُ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ خَالَفَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ بِذَرَهُمْ فَأَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ فَمُنِعَ وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ عُمَرَ بِذَلِكَ الْعُنُقُودَ مَا ذَاقَهُ .

وعن نافع : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ اشْتَهَى عِنَبًا وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَاشْتَرَيْتُ لَهُ عُنُقُودًا بِذَرَهُمْ ، فَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي يَدِهِ فَجَاءَهُ سَائِلٌ فَقَامَ عَلَى الْبَابِ فَسَأَلَ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : اذْفَعُهُ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ قَالَ : قُلْتُ : كُلْ مِنْهُ ، ذُقْهُ ، قَالَ : لَا ، اذْفَعُهُ إِلَيْهِ ، فَذَفَعْتُهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَاشْتَرَيْتُهُ مِنْهُ بِذَرَهُمْ فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَوَضَعْتُهُ فِي يَدِهِ ، فَعَادَ السَّائِلُ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : اذْفَعُهُ إِلَيْهِ ، قُلْتُ : ذُقْهُ ، كُلْ مِنْهُ ، قَالَ : لَا ، اذْفَعُهُ إِلَيْهِ فَذَفَعْتُهُ فَمَا زَالَ يَعُودُ السَّائِلُ وَيَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِ حَتَّى قُلْتُ لِلْسَّائِلِ فِي الثَّالِثَةِ - أَوِ الرَّابِعَةِ - : وَيَحْكُ مَا تَسْتَحِي ؟ فَاشْتَرَيْتُهُ مِنْهُ بِذَرَهُمْ فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَأَكَلَهُ .

وعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَزَلَ الْجُحْفَةَ - وَهُوَ شَاكٍ - فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْتَهِي حَيْثَانًا ، فَالْتَمَسُوا لَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا حُوتًا وَاحِدًا ، فَأَخَذَتْهُ امْرَأَتُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ فَصَنَعَتْهُ ، ثُمَّ قَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ ، فَآتَى مُسْكِينٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : خُذْهُ ، فَقَالَ أَهْلُهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قَدْ عَنَيْنَا وَمَعَنَا زَادٌ نُعْطِيهِ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يُحِبُّهُ .

وعن عمر بن سعد ، قَالَ : اشْتَكَى ابْنُ عُمَرَ فَاشْتَهَى حُوتًا فَصْنِعَ لَهُ ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَاءَ سَائِلٌ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ الْحُوتَ ، قَالَتِ امْرَأَتُهُ : نُعْطِيهِ دِرْهَمًا فَهُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ هَذَا ، وَاقْضِ أَنْتَ شَهْوَتَكَ مِنْهُ فَقَالَ : شَهْوَتِي مَا أُرِيدُ .

وعَنْ نَافِعٍ ، قَالَ : اشْتَهَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حُوتًا ، فَاشْتَرَيْتُ لَهُ سَمَكَةً فَشَوِيَتْ فَوَضِعْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَاءَ سَائِلٌ يَسْأَلُ فَأَمَرَ بِهَا كَمَا هِيَ مَا ذَاقَ مِنْهَا شَيْئًا ، فَقَالُوا : نُعْطِيهِ خَيْرًا مِنْ ثَمَنِهَا ، فَأَبَى .

وعن مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : أَنَّ امْرَأَةً ابْنِ عُمَرَ عُوتِبَتْ فِيهِ ، فَقِيلَ لَهَا : أَمَا تَلْطِفِينَ بِهَذَا الشَّيْخِ ؟ فَقَالَتْ : فَمَا أَصْنَعُ بِهِ ، لَا نَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا إِلَّا دَعَا عَلَيْهِ مَنْ يَأْكُلُهُ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمَسَاكِينِ كَانُوا يَجْلِسُونَ بِطَرِيقِهِ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَطْعَمْتُهُمْ ، وَقَالَتْ لَهُمْ : لَا تَجْلِسُوا بِطَرِيقِهِ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ فَقَالَ : أَرْسِلُوا إِلَى فُلَانٍ وَإِلَى فُلَانٍ ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ بِطَعَامٍ ، وَقَالَتْ : إِنْ دَعَاكُمْ فَلَا تَأْتُوهُ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ لَا أَتَعَشَّى اللَّيْلَةَ ، فَلَمْ يَتَعَشَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مَعَ الْمَسَاكِينِ ، حَتَّى أَضَرَّ ذَلِكَ بِجِسْمِهِ ، فَصَنَعَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ شَيْئًا مِنَ التَّمْرِ فَكَانَ إِذَا أَكَلَ سَقَتَهُ .

وعَنْ حمزة بن عبد الله بن عمر ، قَالَ : لَوْ أَنَّ طَعَامًا كَثِيرًا كَانَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مَا شَبِعَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ يَجِدَ لَهُ أَكِيلًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ مَطِيْعٍ يَعُودُهُ فَرَأَاهُ قَدْ نَحَلَ جِسْمَهُ ، فَقَالَ لَصَفِيَّةَ : أَلَا تُلْطِفِيهِ لَعَلَّهُ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ جِسْمُهُ فَتَصْنَعِي لَهُ طَعَامًا ؟ قَالَتْ : إِنَّا لَنَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ وَلَا مَنْ يَحْضُرُهُ إِلَّا دَعَاهُ عَلَيْهِ ، فَكَلَّمَهُ أَنْتَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ مَطِيْعٍ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوْ اتَّخَذْتَ طَعَامًا فَرَجَعَ إِلَيْكَ جِسْمُكَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيَأْنِي عَلَيَّ ثَمَانِي سِنِينَ مَا أَشْبِعُ فِيهَا شَبْعَةً وَاحِدَةً ، أَوْ

قَالَ: لَا أَشْبَعُ فِيهَا إِلَّا شَبْعَةً وَاحِدَةً ، فَلَا أَنْ تُرِيدُ أَنْ أَشْبَعَ حِينَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا ظَمًا جَمًّا .

وعَنْ عمر بن حمزة بن عبد الله ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي فَمَرَّ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي مَا قُلْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَوْمَ رَأَيْتُكَ تُكَلِّمُهُ بِالْجُرْفِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أبا عبد الرحمن رَقَّتْ مُضْغَتُكَ ، وَكَبُرَ سِنُّكَ ، وَجُلَسَاؤُكَ لَا يَعْرِفُونَ حَقَّكَ وَلَا شَرَفَكَ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أَهْلَكَ أَنْ يَجْعَلُوا لَكَ شَيْئًا يُلْطِفُونَكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ ، قَالَ : وَيْحَكَ ، وَاللَّهِ مَا شَبِعْتُ مُنْذُ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ وَلَا ثِنْتَيْ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَلَا ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَلَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ وَلَا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَكَيْفَ بِي وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنِّي كَظْمًا الْجَمَارِ ؟ .
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : مَا شَبِعْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ (١) .

(٤٥) وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ مَالِكِ الدَّارِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَ أَرْبَعًا دِينَارٍ ، فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ : اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَكَّا سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ بِهَا . فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ . فَقَالَ : وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي بِهِذِهِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهِذِهِ الْخُمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ ؛ حَتَّى أَنْفَذَهَا . فَرَجَعَ الْغُلَامُ

(١) الآثار الواردة في كرم عبد الله بن عمر وزهده من حلية الأولياء وطبقات الأصفياء « المهاجرون من الصحابة » عبد الله بن عمر بن الخطاب « تصدقه بما كان يشتهي من الطعام.

إِلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ؛ وَقَالَ: اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ؛ وَتَلَكَّأْ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ، وَقَالَ: يَا جَارِيَّةُ، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا وَبَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، فَاطَّلَعَتْ امْرَأَةُ مُعَاذٍ فَقَالَتْ: وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا. وَلَمْ يَبْقَ فِي الْحَرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ قَدْ جَاءَ بِهِمَا إِلَيْهَا. فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَسَرَّ بِذَلِكَ عُمَرُ وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ! بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ (١).

٤٦) ذكر التنوخي في المستجد قال: إن رجلاً سأل حاتماً الطائي، فقال: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم؟ قال نعم غلام يتيم وذلك أني نزلت بفنائيه وكان له عشرة رؤوس من الغنم فعمد إلى رأس فذبحه وأصلح لحمه وقدم إلى وكان فيما قدم الدماغ فقلت طيب والله فخرج من بين يدي وجعل يذبح رأساً بعد رأس ويقدم الدماغ وأنا لا أعلم فلما رجعت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً فإذا هو قد ذبح الغنم بأسرها فقلت له لم فعلت ذلك؟ قال: يا سبحان الله! تستطيب شيئاً أملكه وأبخل عليك به، إن ذلك لسبة على العرب قبيحة، فقليل: يا حاتم، فبماذا عوضته؟ قال بثلاثمائة ناقة حمراء وبخمسمائة رأس من الغنم، فقليل: أنت أكرم منه قال: هيهات، بل هو والله أكرم لأنه جاد بكل ما ملك وأنا جدت بقليل من كثير (٢).

٤٧) وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِأَنْ يُوقِفَ هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ لِلنَّاسِ

(١) المرجع السابق.

(٢) المستجد من فعات الأجواد للتنوخي ص ١١١.

عِنْدَ دَارِ مَرْوَانَ، وَكَانَ الْوَلِيدُ سَيِّئَ الرَّأْيِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَاءَ إِلَى النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ فِي مُدَّةٍ وَلَا يَتَّبِعُهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَلَا سِيَّامَا إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَإِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَلَمَّا أَوْقَفَ لِلنَّاسِ قَالَ هِشَامٌ: مَا أَخَافُ إِلَّا مِنْ سَعِيدٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ. فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِابْنِهِ وَمَوَالِيهِ: لَا يَعْزُضُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَإِنِّي تَرَكْتُ ذَلِكَ لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، وَأَمَّا كَلَامُهُ، فَلَا أَكَلِّمُهُ أَبَدًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَإِنَّهُ مَرَّ بِهِ وَهُوَ مَوْقُوفٌ عِنْدَ دَارِ مَرْوَانَ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى خَاصَّتِهِ أَنْ لَا يَعْزُضَ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَتَجَاوَزَهُ، نَادَاهُ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَ: { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } (١).

٤٨) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ مُرَّةٍ سَيِّدُ بَنِي تَيْمٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ وَالِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنَ الْكُرَمَاءِ الْأَجْوَادِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْمُطْعِمِينَ لِلْمُسْتَنِينَ وَكَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ فَقِيرًا مُتَمَلِّقًا وَكَانَ شَرِيرًا يُكْثِرُ مِنَ الْجَنَائِثِ حَتَّى أَبْغَضَهُ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَأَهْلُهُ وَقَبِيلَتُهُ وَأَبْغَضُوهُ حَتَّى أَبَوْهُ فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعَابِ مَكَّةَ حَائِرًا بَائِرًا فَرَأَى شَقًّا فِي جَبَلٍ فَظَنَّ أَنْ يَكُونَ بِهِ شَيْءٌ يُؤْذِي فَقَصَدَهُ لَعَلَّهُ يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِمَّا هُوَ فِيهِ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ إِذَا نُعْبَانٌ يَخْرُجُ إِلَيْهِ وَيَثْبُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَحِيدُ عَنْهُ وَيَثْبُ فَلَا يُغْنِي شَيْئًا فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ إِذَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَهُ عَيْنَانِ هُمَا يَأْفُوتَتَانِ فَكَسَرَهُ وَأَخَذَهُ وَدَخَلَ الْغَارَ فَإِذَا فِيهِ قُبُورٌ لِرِجَالٍ مِنْ مُلُوكِ جُرْهُمٍ، وَمِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ مُضَاضٍ، الَّذِي طَالَتْ غَيْبَتُهُ فَلَا

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

يُدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ، وَوَجَدَ عِنْدَ رُءُوسِهِمْ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَارِيخُ وَفَاتِهِمْ وَمُدُّ وَلَايَتِهِمْ، وَإِذَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَاللَّالِئِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْهُ حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَّمَ بَابَ الْغَارِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى أَحْبَبُوهُ وَسَادَهُمْ، وَجَعَلَ يُطْعِمُ النَّاسَ، وَكُلَّمَا قَلَّ مَا فِي يَدِهِ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْغَارِ فَأَخَذَ حَاجَتَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَمِمَّنْ ذَكَرَ هَذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ فِي كِتَابِ التَّيْجَانِ، وَذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ فِي كِتَابِ رِيِّ الْعَاطِشِ وَأَنَسِ الْوَاحِشِ .

وَكَانَتْ لَهُ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الرَّاكِبُ عَلَى بَعِيرِهِ، وَوَقَعَ فِيهَا صَغِيرٌ فَغَرِقَ، وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، صَكَّةَ عُمَيٍّ أَيْ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ .

وَفِي حَدِيثٍ مَقْتُلِ أَبِي جَهْلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لِأَصْحَابِهِ تَطَلَّبُوهُ بَيْنَ الْقَتْلِ، وَتَعَرَّفُوهُ بِشَجَّةٍ فِي رُكْبَتِهِ فَإِنِّي تَزَاحَمْتُ أَنَا وَهُوَ عَلَى مَأْدُبَةٍ لِابْنِ جُدْعَانَ فَدَفَعْتُهُ فَسَقَطَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَأَنْهَشِمَتْ فَأَثَرُهَا بَاقٍ فِي رُكْبَتِهِ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ. وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يُطْعِمُ التَّمَرَ وَالسَّوِيقَ، وَيَسْقِي اللَّبَنَ .

وَجَعَلَ مُنَادِيًا يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، أَنْ هَلُمُّوا إِلَى جَفْنَةِ ابْنِ جُدْعَانَ . وَتَبَتْ فِي الصَّحِيحِ لِمُسْلِمٍ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ جُدْعَانَ كَانَ يُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ. (البداية والنهاية لابن كثير).

وبين الكرم والتضحية ارتباط وثيق وصلته قوية؛ فالمجاهد يجود بنفسه - وهذا غاية الجود - والمتحرر من شهوة المال، الباسط يده في أبواب البر والإحسان، قد يكون أفدر على الجهاد؛ لما يؤصله الكرم في النفس من معاني التضحية والإيثار.

من أفواه

العلماء والمشايخ في الإكرام

- الشيخ إلياس (رحمه الله) كان يقول: إن الله عز وجل استخدم العرب للدين وبعث فيهم رسول الله ﷺ، لأن فيهم صفتين: الكرم، صدق المقال (١).
- وقالوا: أي قرية تنزلون فيها ثم وجدتم أهلها يكرمون الجماعة، فاعلموا أن الله سوف يستخدمهم للدين لأن فيهم صفة يحبها الله عز وجل.
- سئل الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه: هل نُسِّم على مذهب هذه الأمة؟ فقال: سبحان الله! يراه الله عز وجل للتوحيد أهلاً، ولا نراه للسلام أهلاً؟!
- نجتهد على كل الناس، على جميع نحلهم، ونتودد إليهم حتى يرجعوا إلى الله: فقد جاء رجل إلى الشيخ إلياس (رحمه الله) وقال يا شيخ: كيف تُصافح أهل البدع؟ فقال الشيخ: عندما نصافحهم ليس تعظيماً وتكريماً لهذه البدع، ولكن نحن نريد أن نخرجهم من هذه البدع، والله عز وجل يحاسبنا على نياتنا، ونحن نأتي بهم إلى هذه البيئة حتى نخرجهم من هذه البدع. (٢).

(١) سمعته من الشيخ طارق جميل _ في مسجد الدعوة برايوند عام ١٩٨٧ م.

(٢) بصائر دعوية _ البصيرة الثامنة ص ٢٧.

- إبراهيم عليه السلام دعا والده بالإكرام ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (١)، والنبي ﷺ دعا قومه بالإكرام .
- بالإكرام تحيا المعاشرات الإسلامية والأخلاق النبوية في أمة النبي .
- نكرم بنسبة الإسلام .
- الإكرام يؤلف القلوب ويبعث فيها المحبة.
- الأخلاق عطايا يضعها الله حيث شاء .
- الزكاة ليست من أعمال السخاء أو الأخلاق فحسب ، ولكن دينٌ للأغنياء ، ولو تفكر كل الناس في أداء الحقوق التي عليهم لصالح نظام العالم ، والآن نرى نظام العالم قد فسد .. لماذا؟! لأن كل واحد يطالب بحقوقه ولا يؤدي ما عليه من واجبات .
- إعطاء الحق .. يُعلم التواضع .
- المؤمن .. يؤثر الغير وهو سعيد.. ينظر ما حوله .. يعرف حقوق الناس عليه في حضورهم .. وفي غيابهم .. ويعطى كل ذي حق حقه . يقدم غيره في الراحة .. ويقدم نفسه في المجاهدات
- الربا يزول بالتوبة ولكن الكبر لا ينفعه التوبة ولا ينفعه الركعتين ولا الاستغفار ولا العمرة ولكن بخروجه من القلب. (٢). أ. هـ.

(١) سورة مريم - الآية ٤٧ .

(٢) من كتاب كلمات مضيئة للمؤلف باب الإكرام.

- هذا العمل يحتاج إلى سعة الصدور:

١. فعن عائشة مَرَّ بِهَا سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ فَأَقْعَدَتْهُ فَأَكَلَ فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ " (١).

٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ هَرَبَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةً عَاقِلَةً أَسْلَمَتْ، ثُمَّ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) الْأَمَانَ لِرِزْوَجِهَا فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ وَقَالَتْ لَهُ: جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصِلِ النَّاسِ وَأَبْرِ النَّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ وَقَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ فَأَمْنَكَ، فَرَجَعَ مَعَهَا، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِأَصْحَابِهِ: " يَأْتِيَكُمُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلَا تَسُبُّوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ، وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ "، فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) اسْتَبَشَرَ وَوَتَّبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ فَرِحًا بِقُدُومِهِ. (٢).

- يقول المشايخ: مقصد الحركة في سبيل الله: إزالة الفوارق بين شعب الأمم (هذا تاجر، وهذا زارع، وهذا حاكم، وهذا محكوم) ففي الخروج نُزِيلُ النسب.. فلو خرج التجار مع التجار لم تجمع الأمة.

(١) سنن أبي داود «كتاب الأدب» باب في تنزيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ (٤٨٤٢).

(٢) المستدرک علی الصحیحین «كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم» ذكرُ مَنَاقِبِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَاسْمُ أَبِيهِ مَشْهُورٌ (٥١٠٣).

سبب فساد الأمة، بسبب فرق طبقات الأمة.

لما نخرج في سبيل الله على نسبة الإيمان ليس على نسب الدنيا (تجار.. زراع .. صناع.. أطباء.. مهندسين...) فلو خرجت الجماعة على هذه النسب ما جاءت فيهم الأخوة.. ولا يأتي فيه مزاج الأمة.

الشيخ يوسف (رحمه الله) قال: ذكرنا وقراءتنا للقرآن، وقيامنا الليل، لا تنزل نصره الله علينا بسبب عادتنا، بل أجل اجتماع الأمة.

النسب الباطلة يختلف فيها الكفار والمسلمين (أمة الإجابة، أمة الدعوة) كليهما أمة الرسول.. فلا نخرج الجماعة على نسبة الطبقات.

الذين لا تعرفونهم أكرمهم أكثر.

النبي والصحابة كانوا يتعاملون مع المنافقين معاملة طيبة، ونحن لا نستطيع أن نتعامل مع المسلمين معاملة طيبة.

- اعطوا كل واحد حقه، واشغلوه حسب قدرته وحاجته في العمل.

- أبونا آدم نبي:- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ- وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١). ونحن نريد ملائكة تقوم بهذا الجهد.

- نُخرج العصاة لهذا الجهد، فالمسلم لو كان عاصيا، وحتى لو رأته بعينيك وهو يعمل المعصية فحول وجهك ولا تنقلها، لو رأته يزني ونشرت، فلعل الله يغفر له ولا يغفر لك غيبتك.

- المسلم ولو كان زانيا ينظر إليه بعين أنه مسلم موحد.
- فالمسلم لا تحقروه، وإذا رأيتموه ارتكب جريمة أولوه، ويجب أن تحفظوه..
- فَمَاعِزَ بْنِ مَالِكٍ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ إِنَّهُ زَنَى فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا فَسَأَلَ قَوْمَهُ أَتَجْنُونَ هُوَ قَالُوا لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. (١).
- قَالَ أَبُو مَطَرٍ: رَأَيْتُ عَلِيًّا أَيْ بِرَجُلٍ، فَقَالُوا: إِنَّهُ قَدْ سَرَقَ جَمَلًا، فَقَالَ: مَا أَرَاكَ قَدْ سَرَقْتَ!، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَعَلَّهُ شُبَّهَ لَكَ؟، قَالَ: بَلَى قَدْ سَرَقْتُ، قَالَ: اذْهَبْ بِهِ يَا قَنْبَرُ فَشَدَّ أَصْبُعَهُ، وَأَوْقَدَ النَّارَ، وَادَّعُ الْجُزَارَ يُقَطِّعُهُ، ثُمَّ انْتَظِرْ حَتَّى أَجِيءَ، فَلَمَّا جَاءَ، قَالَ لَهُ: سَرَقْتَ؟، قَالَ: لَا، فَتَرَكَهُ، قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَ تَرَكْتَهُ وَقَدْ أَقَرَّ لَكَ؟، قَالَ: أَخَذْتُهُ بِقَوْلِهِ وَأَثَرُكُهُ بِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) بِرَجُلٍ قَدْ سَرَقَ " فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ ثُمَّ بَكَى، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي؟، فَقَالَ: " وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَأُمَّتِي تُقَطِّعُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا عَفَوْتَ عَنْهُ؟، قَالَ: " ذَاكَ سُلْطَانُ سَوْءِ الَّذِي يَعْفُو عَنِ الْحُدُودِ، وَلَكِنْ تَعَاَفَوْا بَيْنَكُمْ. " (١).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(١) مسند الفوائد «كتاب الحدود والديات» باب في الحد يثبت عند الإمام فيشفع فيه _ رقم الحديث: (١٠٥٦٧) أبي يعلى الموصلي «مُسْتَدُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ _ رقم الحديث: (٣٢٣)، مجمع الزوائد ومنبع

- الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): في كتاب حياة الصحابة ذكر باب تأويل فعل المسلم، لأن سوء الظن يفتح باب سوء الظن.
- يقول أحد العلماء: الكفار طردوا الرسول من مكة، والمسلمين اليوم طردوا حياة الرسول وأخلاق الرسول من حياتهم وبيوتهم.
- قال تعالى: (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) فآكرمه، وارحمه، واستر عليه، رد عنه المكروه (١) .
- ولنعلم أن طريق الدعوة شاق يحتاج إلى المثابرة والمصابرة، لأنه طريق الأنبياء، وطريق الأنبياء محفوف بالابتلاء، فالنبي في العبادة كان يطلق عليه الصادق الأمين، ولكن لما جهر بالدعوة، قالوا عنه ساحر مجنون، وأوعدوه (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) (٢) .
- ذات مرة سئل الشيخ إلياس عن أحد علماء عصره، الذي اشتهر بالعلم والتأليف لكن خالفته بعض الأوساط الدينية بسبب ضعف في بعض أعماله فرد عليهم الشيخ محمد إلياس قائلا : إنني أقدر خدماته الجليلة للدين، ولا أريد أن أعرف ما فيه من ضعف في بعض الأعمال، فهذه ليست مسئوليتي، بل إن صلته بالله في جميع أعماله وتصرفاته هي علاقته الشخصية بينه وبين ربه،

(١) سورة القصص - الآية ٣٥.

(٢) سورة إبراهيم - الآية ١٣.

ويمكن أن يكون له عذر في ذلك، وفي الإسلام أوامر عامة وصريحة في مثل تلك الأمور، والتي تلخص في أن تقول دائماً: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (١)(٢).

- يقول الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله): إن احترام العلماء وإكرامهم واجب، ويجب أن تبذل الجهود في معرفة كل مسلم لدينه حتى يصبح مبلغاً له، هذه هي سنة ميتة وإذا نجحنا في إحيائها فإنها تحي آلاف من الفرائض والواجبات.

وقد أراد الشيخ هنا أنه لو نجحنا في إبلاغ الدعوة إلى الناس بمعنى الكلمة وتعليمهم دين الله الحنيف، فبذلك سيتكون المجتمع الإسلامي السليم، والذي يضمن إحياء كل ما جاء به النبي (ﷺ)، ومن أولى ثمراته إكرام العلماء، واحترام أهل الدين في قلوب الناس، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم (١).

وكان الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) دائماً يوجه الطلاب إلى إكرام الأساتذة بقوله: إن للأساتذة مكانة خاصة في منهجنا هذا، فيجب على الطلاب احترام أساتذتهم كاحترام أئمة الإسلام فإنهم يبلغونكم علوم النبوة

(١) سورة الحشر - الآية ١٠.

(٢) مكانة الأخلاق في الإسلام ومدى احتياج الناس إليها - ص ٥٣.

(١) المرجع السابق - ص ٥٣.

ويعلمونكم ، ومن تعلم من أحد مسألة فهو مولاه ، فما بالكم بهؤلاء الأساتذة الذين يعطونكم ذخائر العلوم النادرة (١).

ثم يقول (رحمه الله): يلزم المرء خدمة الأساتذة والعلماء الصالحين ، حيث يعتبر الإنسان هذه الخدمة تدريباً سليماً لخدمة عباد الله الآخرين ، وبذلك يتعود على مبادئ الخدمة السليمة التي جاءت في الكتاب والسنة . فمنهج الدعوة والتبليغ عند الشيخ محمد إلياس هو أساس (إكرام الإنسانية) عامة ، و (وسيلة) لإكرام المسلمين بعضهم بعضاً خاصة ، فإذا دعا الإنسان شخصاً إلى الخير ، فقد أكرمه بسبب القرابة الإنسانية ، وعندما يدعو المسلم مسلماً إلى الإمتثال بأحكام الله فقد أكرمه بسبب القرابة الإنسانية والإسلامية (٢).

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن من أهم أصول دعوتنا أن نقوم بالدعوة في جميع الطبقات ، مراعيًا مكانة كل طبقة ودرجتها التي أكرمها الله من فضله وكرمه – والقصد هنا أن يكلم الناس على قدر عقولهم وقدر فهمهم ، مع الاعتدال في فرق المراتب – ومن الممكن أن نقسم الطبقات إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

١ – طبقة البسطاء المساكين .

(١) المرجع السابق – ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق – ص ٥٣ .

٢- طبقة المتوسطين من أهل المناصب والمكانة العليا .

٣- طبقة علماء الدين .

فخلاصة التعامل مع هذه الطبقات، كما جاء في الحديث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (١) .
فحق الطبقة الأولى : الرحمة والخدمة .

- وحق الطبقة الثانية : الأدب والتوقير .

- وحق الطبقة الثالثة : الإحترام والتعظيم (٢).

ويقول الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله): إن تحقيق مبدأ إكرام كل مسلم يمكن بثلاثة أمور، وهى: التوقير، والتعظيم، والتراحم، فاستخدموا تلك الأمور حسب الإحتياج، وطبقا للظروف فى إكرام المسلمين.

أما من أهمل فى الدعوة، من علماء الدين، وغفل عنها، فيعتبر الشيخ مثل هؤلاء الغافلين من العلماء، مشاركين فى معصية الناس، حيث يقول: قد أعز الله الإسلام وكرمه بمنزلة كبيرة داخل الإنسانم حتى وإن شابه الفسق والفجور، وبسبب هذه المنزلة يدخل المؤمن الفاسق والفاجر الجنة يوما ما، ويغفر الله ذنوبه، فعلىنا أن نقدر نسبة هذا الشخص إلى الإسلام، ونكرمه ونعتبره أخا لنا

(١) سنن الترمذي - البر والصلة (١٩٢١)، مسند أحمد - من مسند بني هاشم (٢٥٧/١).

(٢) المرجع السابق - ص ٥٣، ٥٤.

في الإسلام ولو كان لديه أدنى درجة من الإيمان ، فيجب معاملته بالأخوة الإسلامية، أما الفسق والفجور الناتج من شخص ما فنعتبر أنفسنا مشاركين فيها ، فنندم على الغفلة والتقصير ، لأن هذا الشخص قد تعود على الفسق والفجور بسبب إهمالنا في بذل الجهود في الدعوة والتبليغ (١).

ويقول الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله) : والأهم في هذا الباب هو إمالة المسلمين الجدد وخاصة غير المتعلمين منهم ، وعلى المبلغ أن يوفر لهم أسباب الراحة قدر الإمكان ، ويبعد عنهم ما يشق عليهم الطريق ، كما يرشدهم إلى سواء السبيل بالرأفة والحكمة .

ويقول الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله) : ضعوا صفة (الإكرام) نصب أعينكم في إبلاغ الدعوة ، واختصروا في الكلام ، حيث لا تكون صفة الأداء بالعجلة ، بل يجب اختيار أسلوب الهدوء المتسم باللين والرفق فالإكرام هو التوقير ، والعكس هو التحقير ومثلما يكون الحب من الإكرام فالعكس بالعكس.

ويقول (رحمه الله) : من لم يحتقر نفسه الأمانة بالسوء بل يشد أزره لتحقير الآخرين ، فالله يزيد تحقيره في الناس .

ويقول (رحمه الله) : إذا نظرتم إلى المؤمن فانظروا له بالتوقير والإحترام على أنه مؤمن بالله ، يحبه الله بسبب إيمانه ، فلم لا نحبه.

(١) المرجع السابق_ ص ٥٥ ، ٥٦.

ويقول (رحمه الله): من آمن بالله ورسوله وهو وليهما ، فاحترموه
لاتصافه بهذه الصفة - صفة الإيمان - يفدكم في حياتكم .
ثم يقول (رحمه الله): إن لم تحبوا المؤمنين فسيجعلكم الله محبين لكلام
الكفار ، فيجب التواضع وذلة القلب للتغلب على هذا الشيطان .
وعلى هذا فقد كان الشيخ يأمر زملاءه بكلمات تكررت في معظم
مجالسه (رحمه الله) ، فمثلا يقول :دربوا أنفسكم بالتواضع للمسلمين ،
والله عند المنكسرة قلوبهم .
ثم يقول (رحمه الله) : إنني أعتقد أن المواساة والملاطفة لشخص يكون
لديه أدنى ذرة من الإيمان بالله سبحانه وتعالى لهى أفضل من أن يدرس البخارى
ومسلم ألف مرة وهى موجهة للقربى الإلهية.
ومن المعلوم أنه لا تكتمل هذه المواساة أو التواضع بغير خدمة الإخوة
المؤمنين بصدق القلب ، لأن الخدمة شهادة عملية للحب والإكرام .
يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن النفس كافرة فضع رجلك على
عنقها وإن نجحت فى ذلك فستجد الله عند الخطوة الأخرى ، فالقيام ضد
النفس ، والعمل طبقا لأوامر الله ، هو ما يطلق عليه إسم الدين) .
ويقول أيضا (رحمه الله): إن القلب مرآة ، ترى فيها ربك ، فيلزم أن تكون
المرآة نظيفة فتستمر فى نظافتها ، أى تطهيرها من الصفات الرزيلة ، وتعطرها

بالصفات المحموده ، والسلاح الوحيد لطهارتها من الصفات الرزيلة هو خدمة خلق الله.

ويقول (رغم الله): إن الله يرضى من العبد الذى يخدم خلقه ، أما العبادات فهي تغير ذات الإنسان ونفسه ، أما التوفيق فى خدمة خلق الله فهو هبة من عند الله ، يوفق بها من يشاء ن فأكثرنا من خدمة المنكسرة قلوبهم ، فإن خدمتهم هي نوافذ العرش الإلهي .

أى خادم خلق الله يستحق العناية الإلهية ، أو العناية الإلهية تكون عند خدمة خلق الله .

ويقول (رغم الله) عن القلب المؤمن: إن السماوات والأرض هي العالم الأصغر وقلب المؤمن هو العالم الأكبر ، لأنها موضوعة فى جانب من جوانب القلب .

ويقول (رغم الله) : إن خدمة خلق الله وعباده المؤمنين بنية صادقة هي سلم العبودية لله .

أما عن إكرام الكفار وغير المسلمين فكان يقول: إن رأيتم الكافر فادعوا ربكم أن يوفقكم لما يرضاه بالمعاملة معه ، نظرا لصلة القرابة الإنسانية بين الناس ، وادعوا الله أن يوفقنا لأداء الواجب له ، بالتراحم الذى يليق به ، ويوفقنا للبعد عن كفره والكراهية له.

ومن المعروف أن الواجب الأول على المسلمين بالنسبة للكفار هو الدعوة إلى الحق، أما التراحم فهو الحرص على دخوله في الإسلام لكي ينجو من عذاب النار يوم القيامة . فالمعاملة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية مع الكافر ، والدعاء لهدايته ، ودعوته إلى الإسلام ، هذا هو (الإكرام) له .

وجملة القول أن المبدأ الرابع بصفاته المذكورة آنفا هو أكبر وسيلة للوصول إلى الهدف المنشود ، ألا وهو وحدة الأمة الإسلامية بحيث يصل أفراد الأمة إلى درجة (رحماء بينهم) .

وفي ذلك يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : إن هدفنا الوحيد هو أن تتولد صفة المحبة والألفة والمودة وصفة (رحماء بينهم) في المسلمين .
ثم يقول (رحمه الله) : إن من الأهداف الأساسية لهذه الحركة الإيمانية أن تغلب روح الدين وحبّه على جميع مشاعر المسلمين وعواطفهم النفسية ، وتتولد الوحدة المنشودة لهذا الطريق ، ويتعود أفراد الأمة على منهج (إكرام كل مسلم) حتى يصبح كل واحد مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ويقول الشيخ / محمد احتشام الحسن ، تلميذ الشيخ محمد إلياس :
إن الشيخ محمد إلياس قد أدرك أن الناس قد اعتقدوا أن التمدن والثقافة الجديدة هي كمال التقدم ، فلذا يحرصون على التحلي بها ، ولكن كان هدف

الإسلام هو أن يدمر جميع الثقافات الباطلة ، ويقدم للمجتمع الإنساني نظاما بسيطا ، لكى يكون المجتمع بسيطا للغاية وينعم الناس فيه بالحرية والمساواة ولا يكون هناك فضل بين الفقير والغنى والحاكم والمحكوم إلا بالتقوى .

وهكذا تكون كرامة الشعوب والقبائل والعرب والعجم مبنية على تقوى الله، أما الأمر الواقع وتلك الظاهرة الراهنة في عصرنا فسببها هو ضعف الإنسان الناجم عن الجهالة بالقيم الإسلامية حتى أصبحت التقاليد الحسنة شجرة ممنوعة، فبذلك الإعتقاد الفاسد سدت طرق النجاح ، فإن وظيفتنا اليوم هى التخلق بأخلاق الله طبقا لما جاء في الكتاب والسنة حتى نعود إلى الإسلام من جديد.

ولاشك أن القيم الأخلاقية قد تختلف من شعب لآخر ولكنها في الإسلام قيم مثالية غير قابلة للتغير والتبدل فهى ثابتة ، تضمن التقدم والاستمرار غير بعيدة عن الواقع الذى يعيشه الناس فى رضا واطمئنان ، لأنها تشريع من لدن الحكيم الخبير ، وأنها تسموا بالإنسان وتخلق منه بعد الضعف قوة .

وعلى هذا فقد أراد الشيخ محمد إلیاس رحمه الله أن يدرك كل فرد معانى هذه القيم إدراكا سليما، ولا يلتفت إلى النظم الأخرى، بل يفتخر بأن دينه ذاخر بالقيم النبيلة ، فيدعوا الناس إليها باللين والرفق ، ويقدم لهم نماذج عملية تأسيا بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

ونظرا لهذه المهمة الرفيعة فقد أكد الشيخ أيضا بأن الدعوة إلى فضائل الأخلاق بالتشجيع والعصبية ، لا تؤتى ثمارها المرجوة ، والقذوة هي أكثر تأثيرا في النفس من الكلمات التي تخلوا من الصدق العملي ، فلزم أن يطابق العمل القول في الدعوة.

وهذا هو مفهوم المبدأ الرابع في منهج الشيخ محمد إلياس العملي في الدعوة إلى الله ، والذي أطلق عليه اسم (إكرام كل مسلم) (١).

فباب حسن الخلق باب واسع وعظيم وبه قوام، وبهدمه هدم الدين، وهو ثمرة جهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

سئل الشيخ محمد أحمد الأنصاري (حفظه الله): ماهي الثمرة من المرجوة من وراء هذا الجهد؟. فقال: الإسلام معروف للناس في العالم ببركة هذا الجهد، وبركة هذا الجهد بدأ عند الناس الإيمانيات، وكذلك العبادات، ولكن حتى الآن ما جاءت المعاملات والمعاملات والأخلاق، وإذا جاءت هذه الثلاثة ينتشر الدين في العالم كله.

والدليل على ذلك: بعد مضي تسعة عشر عاما من بعثة النبي ﷺ كان عدد الصحابة في صلح الحديبية ألف وأربعمائة مسلم، ولكن في فتح مكة بعد سنتين من صلح الحديبية كان عدد المسلمين عشرة آلاف رجل، أي في سنتين فقط زاد عدد المسلمين هذه الزيادة، وذلك بسبب المعاملات والمعاملات والأخلاق،

(١) المرجع السابق_ ص ٥٦ : ٦١.

لأن الناس بعد صلح الحديبية عاشوا مع المسلمين فشاهدوا معاملاتهم
ومعاشراتهم وأخلاقهم فتأثروا بها فدخلوا في الإسلام. أ.هـ.



الإكرام وحسن الخلق | الإخلاص وتصحيح النية | الدعوة إلى الله

الصفة الخامسة

الإخلاص

وتصحيح النية



إشراقة إيمانية

* الإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي أُودِعَهُ
قَلْبَ مَنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي.

* قَالَ الْجَنِيدُ: الإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ اللَّهِ
وَبَيْنَ الْعَبْدِ، لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتَبُهُ،
وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ، وَلَا هَوًى
فَيَمِيلُهُ .

(مدارج السالكين _ فصلٌ مَنْزِلَةُ الْإِخْلَاصِ
- لابن القيم)

الإخلاص

وتصحيح النية وإخلاصها لله (عز وجل)

في جميع الأقوال والأعمال والأحوال البارزة والخفية

قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (١)(٢).

وقال تعالى: { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } (٣).

وقال تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤).

(١) سورة البينة - الآية ٥.

(٢) أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزكف لدينه، حنفاء أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ليعبدوا الله مخلصين لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين. (تفسير السعدي - سورة البينة).

(٣) سورة الزمر - الآيات من ١١: ١٥.

(٤) سورة النساء - الآية ١١٤.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ (١)(٢).

(١) رياض الصالحين – باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية – رقم الحديث: (١).

(٢) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: لَوْ صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي الْأَبْوَابِ، لَجَعَلْتُ حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ بَابٍ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنَّفَ كِتَابًا، فَلْيَبْدَأْ بِحَدِيثِ " الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ " .

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، فَرَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ ثَلَاثُ الْعِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ .

وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ: أَصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ عُمَرَ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَحَدِيثُ عَائِشَةَ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ وَحَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ .

وَقَالَ الْحَاكِمُ: حَدَّثُونَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَقَوْلَهُ: إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقَوْلَهُ: مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُبَدَأَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي كُلِّ تَصْنِيفٍ، فَإِنَّهَا أَصُولُ الْأَحَادِيثِ وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوَيْهِ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ هِيَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ: حَدِيثُ عُمَرَ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَحَدِيثُ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ = بَيْنَ، وَحَدِيثُ إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَحَدِيثُ: مَنْ صَنَعَ فِي أَمْرِنَا شَيْئًا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ. وَرَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعَ أَمْرِ الْآخِرَةِ فِي كَلِمَةٍ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ، وَجَمَعَ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ يَدْخُلَانِ فِي كُلِّ بَابٍ . =

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: "أَخْلِصْ دِينَكَ، يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ (١).
وفي رواية الحاكم بلفظ: "أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ" (٢).

= وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ نَظَرْتُ فِي الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ، فَإِذَا هُوَ أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ، ثُمَّ نَظَرْتُ، فَإِذَا مَدَارُ أَرْبَعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَحَدِيثُ عُمَرَ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ الْحَدِيثَ، وَحَدِيثُ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ. قَالَ: فَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْ هَذِهِ رُبْعُ الْعِلْمِ. وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا، قَالَ كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ - يَعْنِي كِتَابَ "السُّنَنِ" جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةَ حَدِيثٍ، وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ لِدِينِهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ ﷺ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَالثَّانِي: قَوْلُهُ ﷺ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَالثَّالِثُ: قَوْلُهُ ﷺ: لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى لَا يَرْضَى لِأَخِيهِ إِلَّا مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ، وَالرَّابِعُ: قَوْلُهُ ﷺ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْفَقْهُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَحَادِيثَ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَقَوْلُهُ ﷺ: لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارَ، وَقَوْلُهُ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَقَوْلُهُ الدِّينُ النَّصِيحَةُ، وَقَوْلُهُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، قَالَ: أُصُولُ السُّنَنِ فِي كُلِّ فَنٍّ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ عُمَرَ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَحَدِيثُ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَحَدِيثُ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَحَدِيثُ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي).

(١) شعب الإيمان للبيهقي «الخامس والأربعون من شعب الإيمان» - رقم الحديث: (٦٣٥٨)
«حلية الأولياء لأبي نعيم» - رقم الحديث (٨٥٤).

(٢) المستدرك على الصحيحين - رقم الحديث: (٧٩١٢) ٤ / ٣٠٢.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجَرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ " (١).

وعن أبي كبشة الأنماري، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً، فَصَبَرَ عَلَيْهَا، إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لَأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب _ رقم الحديث (٦٩٨)، ورواه ابن أبي الدنيا بإسنادٍ منقطع عن عُمر، وبإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن مسعود، قال: لا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ، وقال ابن حجر في (التلخيص) (٢٣٤/١) : لِّلْبَيْهَقِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ : { أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجَرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ } ذَكَرَهُ فِي بَابِ السَّوَالِ بِالْإِصْبَعِ، وَفِي سَنَدِهِ جَهَالَةٌ، وَرَوَيْنَا فِي السُّنَّةِ لِأَبِي الْقَاسِمِ اللَّالِكَايَ، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَلِيمٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ الْبَصْرِيِّ، سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَعْنِي الْبَصْرِيَّ يَقُولُ: لَا يَصْلُحُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَصْلُحُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَصْلُحُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ، وَمِنْ طَرِيقِ وَقَاءِ بْنِ إِبَاسٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نَحْوَهُ، وَهَذَانِ النَّثَرَانِ مَوْقُوفَانِ، وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي الْأَوَّلِ مِنْ أَمَالِيهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ وَهُوَ ابْنُ أَبِي عِيَّاشٍ، عَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ، وَأَبَانَ مَتْرُوكٌ، قُلْتُ: وَهُوَ فِي أَمَالِي ابْنِ عَسَاكِرَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسٍ بَلْفَظٍ: { لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ } وَقَالَ: غَرِيبٌ جِدًّا. كَذَا قَالَ، وَهُوَ شَاذٌ ؛ لِأَنَّ الْمُحْفُوظَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ. حَدِيثُ { لَا صَلَاةَ إِلَّا بِطَهَارَةٍ } تَقَدَّمَ فِي بَابِ الْأَحْدَاثِ [١.أ-هـ. وحسنه الألباني.. قال المناوي في شرح الحديث: أي لا أجر لمن لم يقصد بعمله امتثال أمره تعالى.

صَادِقُ النَّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فَلَانٍ، فَهُوَ بِنَيْتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَةُ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فَلَانٍ، فَهُوَ بِنَيْتِهِ، فَوَزَرُهُمَا سَوَاءٌ. (١)(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، بَعْدَ أَنْ رَجَعْنَا: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا هَبَطْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ. فَانُوا الْخَيْرَ حَتَّى تَكُونَ شَرِيكًا فِي الْأَجْرِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِفَعْلِ الْخَيْرِ وَمَنْعَتِكَ الْحَاجَةَ أَنْ تَكُونَ شَرِيكًا مَعَهُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ (٣).

(١) أخرجه أحمد ٢٣١/٤ (١٨١٩٤) و"الترمذي" ٢٣٢٥ قال الشيخ الألباني : (صحيح)
انظر حديث رقم : ٣٠٢٤ في صحيح الجامع .

(٢) وهذا الحديث عظيم النفع والفائدة فقد اشتمل على أبوابا كثيرة من أبواب الخير، فيصح أن يكتب في أبواب كثيرة، فمثلا:

قوله صلى الله عليه وسلم: "مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ" دلالة على اليقين وفضل الصدقة.. فيكتب الحديث في باب اليقين وفي باب فضل الصدقات.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " وَلَا ظُلْمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةٌ، فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا " فيكتب في باب الصبر وتحمل الأذى.. ويكتب الحديث في باب النية، وباب العلم، وباب الإنفاق.

(٣) أخرجه أحمد ٤٨٤/٢ (٧٨١٤) ومسلم ١١/٨ وابن ماجه ٤١٤٣..

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى فَقَالَ:
 ((نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتي، فَوَعَاها ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ
 فَقِهِ لَا فَقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ
 الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَبِّ الْأَمْرِ - وَفِي رِوَايَةٍ: طَاعَةُ وَلِيِّ الْأَمْرِ
 - وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَاءِهِ))، وَفِي لَفْظٍ: ((فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ
 بِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ)) (١)(٢).

(١) سنن ابن ماجه باب : بَابُ الْخُطْبَةِ ، يَوْمَ النَّحْرِ (٣٠٧٥)، مسند أحمد ابن حنبل باب :
 حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢١١٣٤)، صحيح ابن حبان باب:
 بَابُ الْفَقْرِ ، وَالزُّهْدِ، وَالْفَتَاةِ (٦٨٢)، وباب: ذِكْرُ رَحْمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، مَنْ بَلَغَ أُمَّةَ
 الْمُصْطَفَى صَلَّى (٦٧)، المستدرک علی الصحیحین باب : وَأَمَّا حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ (٢٦٩)،
 المعجم الأوسط للطبرانی باب : مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ (١١٥٠١)،
 (٢) قَوْلُهُ: (ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ) : "مَعْنَاهُ: لَا يَكُونُ الْقَلْبُ عَلَيْهِنَّ وَمَعَهُنَّ غَلِيلاً أَبَدًا،
 فَلَا يَقْوَى فِيهِ مَرَضٌ وَلَا نِفَاقٌ إِذَا حَقَّقَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ"، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: "وَالْمَعْنَى أَنَّ
 هَذِهِ الْخِلَالَ الثَّلَاثَ تُسْتَصْلَحُ بِهَا الْقُلُوبُ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ
 وَالدَّغَلِ وَالشَّرِّ".

قَالَ الطَّبِيُّ: هُوَ صِفَةٌ لِمَدْخُولِ " رَبِّ " اسْتَعْنَى بِهَا عَنْ جَوَابِهَا أَيُّ : رَبِّ حَامِلٍ فَقِهِ
 أَدَّاهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ (ثَلَاثٌ) أَيُّ: ثَلَاثُ خِصَالٍ (لَا يُغَلُّ) : بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا
 وَبُكَسْرِ الْغَيْنِ، فَالْأَوَّلُ مِنَ الْغُلِّ الْحَقْدُ، وَالثَّانِي مِنَ الْإِغْلَالِ الْخِيَانَةُ (عَلَيْهِنَّ) أَيُّ:
 عَلَى تِلْكَ الْخِصَالِ (قَلْبُ مُسْلِمٍ) : أَيُّ كَامِلٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَخُونُ فِي هَذِهِ
 الثَّلَاثَةِ أَشْيَاءَ وَلَا يَدْخُلُهُ ضِغْنٌ يُزِيلُهُ عَنِ الْحَقِّ حِينَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَالَهُ
 التَّوْرِبَشْتِيُّ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْفَاتِقِ: إِنَّ هَذِهِ الْخِلَالَ يُسْتَصْلَحُ بِهَا الْقُلُوبُ، فَمَنْ
 تَمَسَّكَ بِهَا طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْغُلِّ وَالْفَسَادِ، وَ " عَلَيْهِنَّ " فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيُّ: لَا يُغَلُّ
 قَلْبُ مُؤْمِنٍ كَانِنًا عَلَيْهِنَّ ، وَإِنَّمَا انْتَصَبَ عَنِ النِّكَرَةِ لِقُدُّمِهِ ا هـ .

وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: رَبُّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرَبُّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ (١).

وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَصَّ تَمِيمُ الدَّارِيُّ، اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ فَقَصَّ قَائِمًا "

وعن سهيل بن مالك، عن أبيه، أَنَّ تَمِيمًا اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِي الْقَصَصِ فَأَذِنَ لَهُ، ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ بَعْدَ فَضْرِهِ بِالْدَّرَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: بُكَرَةٌ وَعَشِيَّةٌ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ تَمِيمًا اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِي الْقَصَصِ سِنِينَ، وَيَأْتِي عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ، قَالَ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَأَمُرُهُم بِالْخَيْرِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ. قَالَ عُمَرُ: ذَاكَ الذَّبْحُ! ثُمَّ قَالَ: عِظْ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ لِلْجُمُعَةِ. فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ، اسْتَزَادَهُ، فَزَادَهُ يَوْمًا آخَرَ (٢).

وَقِيلَ: النَّفْيُ بِمَعْنَى النَّهْيِ يَعْنِي لَا يَتْرُكُهَا بَلْ يَأْتِي بِهَا، وَقِيلَ أَيُّ: ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ قَلْبُ مُسْلِمٍ حَالُ كَوْنِهِ ثَابِتًا عَلَيْهِنَّ، يَعْنِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِنَّ طَهَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ مِنَ الْحَقْدِ وَالْخِيَانَةِ. وَنَقَلَ السَّيِّدُ عَنْ زَيْنِ الْعَرَبِ أَنَّهُ يُرْوَى أَيْضًا بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْغَيْنِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، مِنَ الْوُغُولِ الدُّخُولِ فِي الشَّرِّ وَنَحْوِهِ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْخُلَالَ يَسْتَصْلِحُ بِهَا الْقُلُوبَ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْغُلِّ وَالشَّرِّ ١ هـ. (مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ « كِتَابُ الْعِلْمِ).

(١) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ لِابْنِ رَجَبٍ .

(٢) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ « الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ » تَمِيمُ الدَّارِيُّ [ص: ٤٤٢]، تَارِيخُ

الإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ - ٢ / ٢٤١.

وفي رواية: عن نافع: أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِي الْقَصَصِ، فَقَالَ لَهُ:
عَلَى مِثْلِ الذَّبْحِ، قَالَ: إِنِّي أَرْجُو الْعَاقِبَةَ، فَأُذِنَ لَهُ (١).

وفي رواية قال له أو لرجل غيره: (أَخْشَى أَنْ تَنْتَفِخَ حَتَّى تَبْلُغَ الثُّرَيَّا) (٢).
وعن مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ عَبْدٍ
يُخْطُبُ خُطْبَةً، إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلَهُ عَنْهَا، مَا أَرَادَ بِهَا ". قَالَ جَعْفَرٌ: كَانَ
مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، إِذَا حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ بَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَحْسِبُونَ
أَنَّ عَيْنِي تَقْرَأُ بِكَلَامِي عَلَيْكُمْ، فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلَنِي عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
مَا أَرَدْتُ بِهِ (٣).

وَلَقَدْ خَطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا فَرَّقَ النَّاسُ، وَبَكَوْا، فَقَطَعَ خُطْبَتَهُ،
فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَتَمَمْتَ كَلَامَكَ رَجَوْنَا أَنْ يَنْفَعَكَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ الْقَوْلَ فِتْنَةٌ
وَالْفِعْلُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِ مِنَ الْقَوْلِ (٤).

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِأَبِي عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ: إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا
لِقَلْبِكَ وَنَفْسِكَ، وَلَا يَغُرَّنَكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ. وَاللَّهُ
يُرَاقِبُ بَاطِنَكَ (٥).

(١) المرجع السابق .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي - ٢ / ٢٤١ .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي « الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ ». رقم الحديث: ١٦٤٨ .

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم .

وليس معنى ذلك أن تترك الدعوة إلى الله ﷻ خشية الرياء ولكن يجب على كل من قام بعمل الدعوة وتذكير الناس بالله ﷻ بمراقبة قلبه ومجاهدة نفسه على الإخلاص والتنزه عن خطرات الرياء، وذلك بتصحيح النية قبل العمل وأثناء العمل والاستغفار بعد الفراغ من العمل .

يكون الدافع عند كل الأعمال والأقوال والنيات هو رضا الله تعالى والدار الآخرة، والعلامة استواء المدح والذم، والتراب، والحي والميت.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنِّي لَأَسْتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتَّى فِي أَكْلِي وَشُرْبِي وَنَوْمِي وَدُخُولِ الْخَلَاءِ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ سَبَبٌ لِبَقَاءِ الْبَدَنِ وَفَرَاغِ الْقَلْبِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ فَمَنْ قَصَدَ مِنَ الْأَكْلِ التَّقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ وَمِنَ النِّكَاحِ الْعِفَافَ وَتَحْصِينَ الدِّينِ وَتَطْيِيبَ قَلْبِ أَهْلِهِ وَالتَّوَصُّلَ إِلَى وَلَدٍ يَعْبُدُ اللَّهَ بَعْدَهُ أُثِيبَ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ فَصْلَاحِ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصِ الْقَلْبِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَرْفَعَانِ مَنْزِلَةَ الْعَمَلِ الدُّنْيَوِيِّ الْبَحْتِ فَيَجْعَلَانِهِ عِبَادَةً مُتَقَبَّلَةً كَمَا أَنَّ فَسَادَ النِّيَّةِ يَنْزِلُ بِالطَّاعَاتِ وَتَنْقَلِبُ مَعَهُ مَعَاصِي فَلَا يَنَالُ الْمَرْءُ بَعْدَ التَّعَبِ فِي أَذَائِهَا إِلَّا الْفُشْلُ وَالْخُسَارَا (١).

★ نتعلم النية: فعن يحيى بن أبي كثير، قال: تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ ، فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ (٢).

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز بن محمد السلمان.

(٢) جامع العلوم والحكم _ الحديث الأول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

أي نتمرن عليها، ونتعود عليها، ففي خروجنا في سبيل الله، نقف قبل دخول القرية ونصحح النية لماذا جئنا لهذه القرية؟، وعند الزيارات نصصح النية، وهكذا في كل عمل.

وقال الحسن (رحمه الله): رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضي وإن كان لغيره تأخر (١).

فقد قيل لنافع بن جبير: ألا تشهد الجنائز؟ قال: كما أنت حتى أنوي، قال ففكر هنيئاً، ثم قال: امض (٢).

وعن مطرف بن عبد الله قال: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية (٣).

وعن بعض السلف قال: من سره أن يكمل له عمله، فليحسن نيته، فإن الله عز وجل يأجر العبد إذا حسنت نيته حتى باللقمة (٤).

* معاني الإخلاص:

- الإخلاص: هو مراقبة الله في كل الأعمال.
- قال بعضهم: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك. والصدق التنقي من مطالعة النفس. فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له. (٥).

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان – لابن قيم الجوزية.

(٢) جامع العلوم والحكم – الحديث الأول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين « فصل في منازل إياك نعبد » فصل منزلة الإخلاص.

- وَقِيلَ: مَنْ شَهِدَ فِي إِخْلَاصِهِ الْإِخْلَاصَ، اِحْتَجَّ إِخْلَاصُهُ إِلَى إِخْلَاصٍ .
فَنُقْصَانُ كُلِّ مُحْلَصٍ فِي إِخْلَاصِهِ : بِقَدْرِ رُؤْيَا إِخْلَاصِهِ . (١) .
- وَقِيلَ : الْإِخْلَاصُ نِسْيَانُ رُؤْيَا الْخَلْقِ بِدَوَامِ النَّظَرِ إِلَى الْخَالِقِ . وَمَنْ تَزَيَّنَ
لِلنَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ (٢) .
- وَقِيلَ : الْإِخْلَاصُ هُوَ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ ضِدُّ الرِّيَاءِ .
- وَقِيلَ : الْإِخْلَاصُ أَنْ لَا تَطْلُبَ عَلَى عَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَ اللَّهِ ، وَلَا مُجَازِيًا
سِوَاهُ (٣) .
- وَقِيلَ : الْإِخْلَاصُ تَصْفِيَةُ الْفِعْلِ عَنْ مَلَا حِظَةِ الْمُخْلُوقِينَ (٤) .
- وَقِيلَ : الْإِخْلَاصُ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ (٥) .
- وَقِيلَ : هُوَ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَةِ (٦) .
- وَقَالُوا : مِنْ أَنْفَعِ الْأَعْمَالِ « أَنْ تَغِيبَ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِالْإِخْلَاصِ وَعَنْ
نَفْسِكَ بِشُهُودِ الْمَنَّةِ (٧) .

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية « الحديث » كتاب الحديث « رسالة في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات » فصل لفظ النية يجري في كلام العلماء على نوعين « فصل محل النية ، كتاب الفوائد لابن القيم .

• والمخلص: هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي لَوْ خَرَجَ كُلُّ قَدْرِ لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ صَلَاحِ قَلْبِهِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَطَّلَعَ النَّاسُ عَلَى مَثَاقِيلِ الذَّرِّ مِنْ عَمَلِهِ (١).

• والإخلاص هو الباعث على العمل، يعنى أي عمل تعمل تنوى به رضا الله ﷻ ونكون دائماً في كل عمل مشغولين بقبول العمل ، فالصحابة رضى الله عنهم كانوا يعملون ويخافون ألا يقبل منهم ، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٢) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال: لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ . رواه الترمذي وابن ماجه (٣).

مع أنهم ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ كانت أعمالهم مثل الجبال ولكن يخافون الله ﷻ ألا يقبل منهم، وكانوا يهتمون أنفسهم بالنفاق، فعن ابن أبي مليكة، قَالَ: " أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ، لَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: أَنَا عَلَىٰ إِيمَانٍ جَرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ. (١).

(١) المرجع السابق» فصل في حد النية وحد الإخلاص، كتاب الفوائد لابن القيم.

(٢) سورة المؤمنون - الآية ٦٠ .

(٣) مشكاة المصابيح - باب البكاء والخوف - ٣ / ١٤٧٠. وصححه الألباني - رحمه الله

- في صحيح سنن الترمذي

(١) صحيح البخاري» كتاب الإيمان» باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

وعن بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ قَالَ فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا فَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي فَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْحِرْقَ فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْحِرْقِ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ قَالَ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ (١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (رحمه الله) في تعليقه على الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: أي: وَجِلُونَ، مُشْفِقَةٌ قُلُوبِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ، خَوْفًا أَنْ يَضَعَ عَلَيْهِمْ عَذْلَهُ، فَلَا يُبْقِي لَهُمْ حَسَنَةً، وَسُوءَ ظَنٍّ بِنَفْسِهِمْ أَنْ لَا يَكُونُوا قَدْ قَامُوا بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَوْفًا عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنَ الزَّوَالِ، وَمَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَخَوْفُهُمْ وَإِشْفَائُهُمْ يُوجِبُ لَهُمُ الْكَفَّ عَمَّا يُوجِبُ الْأَمْرُ الْمُخَوْفُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالتَّقْصِيرِ فِي الْوَاجِبَاتِ (٢)، فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي رَكْعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } (١).

(١) صحيح مسلم «كتاب الجهاد والسير» باب غزوة ذات الرقاع رقم الحديث: (١٨١٦).

(٢) تفسير السعدي - تفسير سورة المؤمنون «تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ)»..
(١) سورة المائدة - الآية ٢٧.

وفي صحيح البخاري: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: هَلْ تَدْرِي مَا؟ قَالَ أَبِي: لِأَبِيكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّ أَبِي قَالَ لِأَبِيكَ: يَا أَبَا مُوسَى، هَلْ يَشْرُكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَجَرْتُنَا مَعَهُ، وَجِهَادُنَا مَعَهُ، وَعَمَلُنَا كُلَّهُ مَعَهُ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ أَبِي: لَا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَيْنَا وَصُمْنَا، وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، فَقَالَ أَبِي: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ، فَقُلْتُ (١): إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَبِي " (١).

وقد حُكي أَنَّ بعض العارفين خاطباً ثوباً، وتأنق في صنعته، غاية التأنق.. فلما أراد بيعه، رُد عليه لعيوب فيه، لم يتبينها!! فبكى! فقال له المشتري: يا هذا لا

(١) قَوْلُهُ: (فَقُلْتُ) الْقَائِلُ هُوَ أَبُو بُرْدَةَ، وَخَاطَبَ بِذَلِكَ ابْنَ عُمَرَ فَأَرَادَ أَنَّ عُمَرَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي مُوسَى، وَأَرَادَ مِنَ الْحَيِّثِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ، وَإِلَّا فَمِنْ الْمُقَرَّرِ أَنَّ عُمَرَ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي مُوسَى عِنْدَ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ، لَكِنْ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَفُوقَ بَعْضُ الْمُفْضُولِينَ بَخْصَلَةٍ لَا تَسْتَلْزِمُ الْأَفْضَلِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ، وَمَعَ هَذَا فَعُمَرَ فِي هَذِهِ الْخَصْلَةِ الْمَذْكُورَةِ أَيْضًا أَفْضَلُ مِنْ أَبِي مُوسَى؛ لِأَنَّ مَقَامَ الْخَوْفِ أَفْضَلُ مِنْ مَقَامِ الرَّجَاءِ، فَالْعِلْمُ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو عَنْ تَقْصِيرٍ فِي كُلِّ مَا يُرِيدُ مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنَّمَا قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ هَضْمًا لِنَفْسِهِ، وَإِلَّا فَمَقَامُهُ فِي الْفَضَائِلِ وَالْكَلِمَاتِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ .

قَوْلُهُ: (خَيْرٌ مِنْ أَبِي) فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ "أَفْقَهُ مِنْ أَبِي" (فتح الباري لابن حجر العسقلاني).

(١) صحيح البخاري «كتاب المناقب» باب هجرة النبي ﷺ... رقم الحديث: ٣٦٤٩.

تبك ، فقد رضيت به ..! فقال له: ما بكائي والله! لذلك ، بل لأنني بالغتُ في صنعته ، وتأنقت فيه غاية جهدي، فَرُدَّ عَلَيَّ لعيوبٍ كانت خفية عني، وإني أخاف أن يُرَدَّ عملي يوم القيامة، وأنا الذي أحسب أنه صالحاً مقبولاً .

• وقالوا: فِرَّ مِنَ النَّاسِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ (١) ، ولا تصدق بكل ما يقال عنك، ولا تفرح بما يقال عنك.

★ ومن أجمل ما قيل في الإخلاص:

مثال القلب كالطريق العمومي يمشي عليه كل إنسان وحيوان، ولكن الملك لن يسير فيه إلا حينما يكون خالياً من الزحام، فلذا تعين الحكومة جيش الحرس والبوليس لكي يمنع المارة عن دخول الطريق، حتى يأتي الملك فيجده خالياً ونظيفاً.

وهكذا القلب لا يدخل فيه حب الله ما لم يكن خالياً مما سواه، فإذا خلا القلب مما سوى الله وتوجه إليه سبحانه وتعالى، بكل أحاسيسه ومشاعره ، _ ينال القلب _ درجة الإحسان، وهي ثمرة الإخلاص (٢) .

★ مقصد الإخلاص :

(١) رضا الله تعالى.

(٢) قبول الأعمال: فكل خطاب له عنوان، وعنوان القبول: الإخلاص: قال

(١) كتاب العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا.

(٢) سر وحدة الأمة الإسلامية في رحاب الإخلاص وتصحيح النية ص ٢٤.

تعالى: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (١).

وعن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَايَ بِهِ وَجْهَهُ" (٢).

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ" (٣).

فرب مكث من الأعمال لا يفيد إلا التعب منها في الدنيا والعذاب في الآخرة: فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ" (٤).

*** والعمل الخالص: (لا بد أن يكون خالفا من ثلاثة أشياء):**

١- الشرك: وهو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} (١).

(١) سورة البينة - الآية ٥.

(٢) رواد النسائي (٣١٤٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة).

(٣) صحيح مسلم «كتاب الزهد والرفائق» باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ - (٢٩٨٥).

(٤) رواد ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٨٢.

(١) سورة النساء - الآية ٤٨.

٢- الرِّياء: والمراد به إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوا صاحبها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيٌّ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " رواه مسلم (١) .

٣ - المقاصد الدنيوية (مال - منصب - جاه) : قال الله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ { (١) .

(١) مشكاة المصابيح « كتاب العلم ١/٧١ .

(١) سورة هود - الآيتان ١٥ ، ١٦ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ (١).

★ الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلْمُخْلِصِينَ:

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢).

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣).

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٤).

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (١).

(٥) وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللَّقْمَةُ

(١) رياض الصالحين – باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية_ رقم الحديث: (١).

(٢) سورة فاطر – الآية ٦.

(٣) سورة فاطر – الآية ٦.

(٤) سورة يوسف – الآية ٥.

(١) سورة النور – الآية ٢١.

فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَذْري فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكةُ (١).

وقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ) ليفسد النية والقول والعمل، فإن حسنت نيّتك، ذلك على عمل ليس مشروعاً تفعله بهذه النية الحسنة، وإن حسن عملك أفسد عليك نيّتك، وإن حسنت النية عندك أفسد عليك أسلوبك مع الناس ليقع العداوة والبغضاء بينك وبينهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

★ **الإخلاص: يظهر عند الشدائد:** فكل عامل إذا أحاطت به شدة جراء العمل الذي يعمل تجده يهرع إلى الذي يعمل، فمن كان يعمل لله تعالى يهرع إليه سبحانه وتعالى، وغدا كان يعمل لغير الله تعالى، فيهرع للذي يعمل، والأمثلة كثيرة نذكر منها:

الأول: يونس في بطن الحوت بالإخلاص: { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ } (١).

الثاني: يوسف الصديق: { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ

(١) صحيح مسلم « كتاب الأشربة » باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهة مسح اليد قبل لعقها _ رقم الحديث ٢٠٣٣ .
(١) سورة الأنبياء - الآيتان ٨٧ ، ٨٨ .

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } (١). وهذه الآية لبيان ما كان عليه يوسف - عليه السلام - من الجمال الظاهر والباطن، أمّا الظاهر فهو الذي بسببه حصل له ما حصل من امرأة العزيز ومن النساء اللاتي كنّ يُلْمَنها على فعلها، و أمّا جمال الباطن فهو العِفَّة العظيمة مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع السُّوء منه، لكن ما قذف الله في قلبه من الإيمان والإخلاص وقُوَّة الحق طرد عنه الرَّذيلة، وجعله بعيداً عن السُّوء، وهذا ما جعله عظيماً في نفوسهم أجمعين.

الثالث: إبراهيم الخليل (عليه السلام): قال تعالى: { قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } (٢).

الرابع: موسى (عليه السلام): { فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } (١).

الخامس: النبي وأبو بكر في الغار: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآيات من ٦٦ - ٧٠.

(١) سورة الشعراء: الآيات من ٦١ - ٦٣.

كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١).

السادس: **المؤمنون في غزوة الأحزاب:** { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } (٢).

السابع: **وفي حمراء الأسد:** { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ } (٣).

الثامن: **الثلاثة الذين دخلوا الغار:** وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِّمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمْ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُم مِّنَ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرْخَ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا

(١) سورة التوبة « الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٢٢ .

(٣) سورة آل عمران - الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ .

وَأَنْ أَعْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي فَاسْتَيْقَظَا فَشَرَبَا غُبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَاَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ. قال الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ « وفي رواية: « كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَاْمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا « وفي رواية: " فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُصِّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَاْفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدَّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاَقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَاْفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ « متفقٌ عليه. (١).

(١) صحيح البخاري « كتاب أحاديث الأنبياء » باب حديث الغار (٣٢٧٨)، صحيح مسلم « كتاب الرقاق » باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٢٧٤٣) والنص من

* من المستفيد من الإخلاص؟

يحكى: أن رجل كان يعملُ بناءً في إحدى الشركات لسنوات طويلة، فبلغ به العمر أن أراد أن يقدم استقالته ليتفرغ لعائلته، فقال له رئيسه: سوف أقبل استقالتك بشرط أن تبني منزلاً أخيراً، فقبل رجل البناء العرض على مضض، وأسرع في تخلص المنزل دون ((تركيز وإتقان)) من ثمّ سلم مفاتيحه لرئيسه. فابتسم رئيسه وقال له: هذا المنزل هدية نهاية خدمتك للشركة طول السنوات الماضية. فصدم رجل البناء وندم بشده أنه لم يتقن بناء منزل العمر.

هكذا هي العبادة التي تكون على مضض وسرعه من غير اطمئنان وتركيز فاعلم أن عبادتك في النهاية لك وليست لله، فالله غني عن عباده.

* دليل إخلاص الصحابة (رضي الله عنهم):

أن الله أخبر عنهم أنه رضي عنهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

* علامات الإخلاص:

١. استواء المدح والذم من العامة:

قال ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضرب والحوث، فإذا

كتاب رياض الصالحين.

(١) سورة النمل - الآية ٢٤.

حَدَّثَنكَ نَفْسُكَ بِطَلَبِ الْإِخْلَاصِ فَأَقْبِلْ عَلَى الطَّمَعِ أَوَّلًا فَادْبَحْهُ بِسَكِينِ الْيَاسِ،
واقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عَشَّاقِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، فإذا استقام
لك ذبح الطَّمَعِ والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص فإن قلت: وما
الذي يُسهِّلُ عَلَيَّ ذَبْحَ الطَّمَعِ وَالزُّهْدِ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ قلتُ: أَمَّا ذَبْحُ الطَّمَعِ
فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبَّيْدَ اللَّهُ وَحْدَهُ خِزَانَتُهُ لَا
يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُؤْتَى الْعَبْدُ مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ، وأما الزُّهْدُ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ
فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ مَدْحُهُ وَيَزِينُ، وَيَضُرُّ دَمُّهُ وَيَشِينُ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ مَدَحِي زَيْنٌ وَدَمِّي
شَيْنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي دم من لا يشينك دمه، وارغب في
مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في دمه، ولن يقدر على ذلك إلا
بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد سفراً في البحر في غير
مركب، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}،
وَقَالَ: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (١).

في حياة الشيخ يوسف رحمه أثنى الشيخ ابن باز (رحمه الله) على أهل الدعوة،
ففرحوا، فقال الشيخ يوسف (رحمه الله): فرحتم بثناء الشيخ ابن باز على
الجماعة ولم تفرحوا بثناء الله من ألف وأربعمائة عام على أهل الدعوة.

(١) موارد الظمان لدروس الزمان لعبد العزيز بن محمد السلمان.

٢. ونَسِيَانُ رُؤْيَا الأَعْمَالِ فِي الأَعْمَالِ.
٣. واقتِصَاءُ ثَوَابِ العملِ فِي الآخرة.
٤. يملك نفسه عند الغضب: مثل عمر في قصة دخول الحر بن قيس وأقاربه الذين دخلوا علي النبي وطلبوا الإمارة.
٥. عند الشهوة لم يرتكب المعصية: مثل يوسف عليه السلام.
٦. أن يفرح بكل ذي جهد يبرز وإن أخذ مكانه: فلو ظهر من هو أحسن منه وعظماً وأغزر منه علماً والناس أشد له قبولاً فرح به ولم يحسده، ولا بأس بحسد الغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثله.
- لأنه يعمل لله ويريد للإسلام أن يقوى بكثرة المتميزين فإن حزن لمن تميز وكره أن يظهر في الصورة أكثر وأكثر، فعليه أن يراجع إخلاصه، فإن فرح لكل ذي كفاءة فهو على خير.
٧. اجتهد ألا يؤثر في جهدك مكانك بين الأحاب: فجهدك لله واحد وإن كنت في آخر الصف فإذا وجدت نفسك يزداد جهدك إذا كنت في المقدمة ويقل إذا كنت في المؤخرة فراجع إخلاصك ورحم الله خالد بن الوليد حين عزله عمر بن الخطاب عن قيادة الجيش فوجدوه يعمل في الجيش بجهد أكبر وكفاءة أكبر فلما سئل عن ذلك قال "إنما أفتح الشام لله لا لعمر بن الخطاب" هكذا لا يشترط أن تجتهد أن تكون أمير الجماعة أو خادمها كما نقول لا والله أنت مجتهد دائماً لأنك تبتغي مرضات ربك.

٨. ولا تياس وتمل إذا تأخرت الفتوحات وتأخرت الثمرة: لأنك لله وحده وليس للتناج ورحم الله سمية وحمزة ومصعب ماتوا ولم يروا النتائج ولا الثمار فإذا وجدت نفسك تزداد بذل وعطاء كلما رأيت النتائج وتفطر وتمل إذا ساءت النتائج فراجع نيتك.

٩. إذا وجدت نفسك تتجاوب وتتفاعل إذا أخذ باقتراحاتك في المشورة مثلاً أو غيرها وتغضب وتثور وتفطر ولا تشارك إذا لم يؤخذ باقتراحاتك وتتهم الآخرين أنهم يتعاونون ضدك رغم أن الأمر أخذ بالشورى فراجع إخلاصك بشدة فكثير من الأحاب يسقطون في هذه النقطة.

١٠. ومن إخلاص الداعي: أنه لو حضر الأكابر مجلسه لم يتغير كلامه بل يكون ناظراً للخلق كلهم بعين واحدة، ولا يتأثر بكثرة الناس حوله، ولا بقلتهم، بل يتكلم مع القليل كما يتكلم مع الكثير، وقد حكى لنا أن الشيخ محمد إسماعيل (١) ألقى محاضرة لمدة ثلاث ساعات وبعد أن فرغ من إلقاء المحاضرة وانصرف الناس فإذا برجل يدخل المسجد فوجد الشيخ محمد إسماعيل وهو لا يعرفه، فقال: يا شيخ: أنا جئت من مسافة ثلاثة عشر كيلو متر لأسمع محاضرة الشيخ محمد إسماعيل، فقال له الشيخ محمد إسماعيل أتحب أن أسمعك الذي قاله الشيخ محمد إسماعيل؟ قال: نعم. فجلس معه الشيخ محمد إسماعيل لمدة ثلاث ساعات يلقي عليه المحاضرة (وهذا دليل الإخلاص).

(١) هو أحد علماء الهند الأجلاء ووالد الشيخ إلياس محيي جهد التبليغ والدعوة في بعوث جماعية.

١١. أن لا يطلب الداعي من وراء دعوته أجر: (مالك - شهره - جهه -

منصب .. الخ): قال تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

يقول الشيخ يوسف (رحمه الله): يجب علينا أن لا نبتغي من أي عمل نقوم به إلا وجه الله تعالى، ولا نرجو به إلا كسب رضاه، ولا نريد به تحقيق المصالح المادية، أو التظاهر بالتدين أو غبراز الشخصية أو تحسين السمعة، فكل عمل يبتغي به وجه الله تعالى يجلب الأجر والثواب مهما كان هذا العمل بسيطاً، وكل عمل يخلو من الإخلاص والنية يحبط ويؤدي إلى العقاب وإن كان جليلاً (٢).

يقول الشيخ المفتي زين العابدين (رحمه الله): كان كل قول من أقوال الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله) يبعث على اليقين بأنه لا فوز في الدنيا والآخرة إلا بالأعمال الصالحة التي تصدر بالإخلاص، ومهما احتشدت الوسائل والأسباب الدنيوية للفوز والكمال (من الحكومة، والتجارة، والزراعة، والصناعة، والعلم، والسلطة) لا تجلب النصر، إلا إذا تسربت فيها أعمال الرسول (ﷺ) وكان يقول: إن الذين يخوضون في أمور الكون بدون الإيمان بالله كخالق الكون والرسول (ﷺ) كروح الكون، هم بمثابة اللصوص

(١) سورة الحج - الآية ٧٨.

(٢) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) - ص ٥٦٣.

وقطاع الطريق، إنهم يستطيعون أن يحصلوا على المال والثروة، لكنهم لا يستطيعون أن يكسبوا الطمأنينة والحب في أي حال من الأحوال. (١).

ويبين الشيخ يوسف الفرق بين الإخلاص وحب الذات _ في بيانه الذي ألقاه قبل يومين من وفاته _ : ((كل عمل لا ينو في حصول رضا الله عمل نفساني ، مثل إنماء المال ، حصول الغلبة، كسب الشهرة، الوصول إلى المنصب، فرض السيطرة، تنفيذ حكمه، إخضاع الناس لرأيه، فالعمل لهذه الأغراض عمل دنيوي لا إخلاص فيه وليس فيه رضا الله، وحتى إن المخلصين كانوا لا يعملون لا يعملون للحصول على ما وعد الله من جزاء، لأن الموعود موعود ، ولكن ليس بمقصود، الذين يعملون للحصول على الموعود، ويجعلون مقصوداً، فإنهم يتورطون في الموعود ويصرفون عن المقصود، والذين يعملون لمجرد الحصول على رضا الله، ويعتبرون رضاه مقصوداً لهم، يصدق عليهم ما وعده الله، وتحصل لهم نعم الله الدنيوية من المال والمملك، وإذا حصلت لهم هذه الوسائل المادية فإنهم لا ينفقونها إلا لأنفسهم، بل ينفقونها على نشر الدين، وعلى خلق الله، ابتغاء رضوان الله، وهكذا فعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين)) (١).

ويحضرني أن أحد علماء العرب في اجتماع بنغلاديش قال: أنتم لا تحترمون مشايخكم لا بد أن تعطوا نبذة عن سيرة الشيخ قبل أن يبدأ كلامه فقال له مولانا

(١) المرجع السابق _ ص ٥٣٢.

(١) المرجع السابق _ ص ٥٣٢.

الشيخ أحمد لات (حفظه الله): كم نبي ما ذكر اسمه في القرآن؟ لأن المقصد أن يعرف الله جل جلاله فكذلك مقصدنا من هذا الجهد أن يعرف الله لا نحن.

حتى مجرد المدح لا يجب ذلك: يقول في ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): حضر يوماً حافظ علي بهادر خان الصحفي البكريوسي صاحب جريدة (الهلal) اليومية المعروفة، قادماً من بومبائي في مرض وفاة الشيخ لزيارته والشيخ مع ضعفه الشديد تكلم معه تقريباً نصف ساعة وقد تأثر كثيراً من كلام الشيخ وبعد عودته إلى بومبائي كتب عن تأثراته في عدة إشاعات بصحيفة الهلal وكتب عن شخصية الشيخ وعن دعوته الدينية وبينفيها عظمة وأهمية الدعوة والإصلاح والتبليغ وقد حرر كلاماً مؤثر الذي لا يتوقع في هذا الزمان من قائد وصحفي بحره .

وإنني قد تحصلت على تلك الصحف بجريدة الهلal وإنني سُررتُ جداً بقراءة تلك المواضيع وإنني نويت أن أقرأها علي الشيخ ومن ثم أخذت تلك الصحف في يدي ودخلت على الشيخ في وقت مناسب آملاً بأن الشيخ عندما يرى فييدي الصحف فيسألني ما تلك بيدك فحينئذ أتمكن من أن أقول للشيخ ما في نفسي وأتمكن إسماع الشيخ تلك المواضيع .

ولكن خلافاً لما تأملت وما أردت لم يسألني الشيخ قطع ما في يدي فبعد انتظار طويل لم أستطع الصبر فقلت: يا شيخ أنه قد سبق أن حضر من بومبائي حافظ علي بهادر خان في يوم كذا وأنه الحمد لله قد تأثر جداً في مجيئه هنا، وأنه

قد حرر في صحيفته مواضيع تتعلق بعملنا التي اعترف فيها عظمة وأهمية هذا العمل فيظهر منها أنه فهم العمل كما هو حقه .

فلو تسمح لي أن أقرأ عليك لتسمع منها موضوعاً أو بعضه فقال الشيخ : يا هذا أن العمل الذي قد مضى فما لنا فيه وأما الذي قد عمل فكم من نقص حصل منا فيه وما أمثال الأخطاء التي حصلت منا فيه في التركيز وكم من نقص في إخلاص كان فيه وكم من تقصير وقع منا في التركيز على عظمة أوامر الله تعالى فيها .

وكم حصل منا النقص في تفقد آداب العمل وفي الجهد في اتباع الأسوة النبوية ؟

يا هذا : فإن ذكر ومذاكرة الأمور الماضية والسرور على فعلها فمثلها كمثل المسافر الساري يقف وينظر إلى خلفه ويسر بمشاهدته .

تفقدوا الأخطاء في الأعمال الماضية واهتموا في كفارة تلك الأخطاء وفكروا في المستقبل ماذا نفعل ؟ لا تنظر إلى شخص فهم كلامنا واعترف بها بل فكر كم من مآت الألوف وملايين من الناس الباقين الذين لم يصل إليهم دين الله - وكم من الذين علموا واعترفوا ومع هذا لم يقوموا للعمل بسبب نقص جهدنا (١) .
أقول : لقد لقن الشيخ محمد الياس أبي الحسن الندوي ولقن الدعاة الشغوفين بالمدح، بإجابته السابقة درساً عظيماً ولفت أنظار الدعاة نحو التقصير في ما

(١) الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي طبعة هندية عام ١٩٩٢م الناشر محمد هارون. ص ٨٨.

مضى وموت الناس يومياً بدون الدين، فمن كان همه ذلك لا ينشغل بالمدح وحال الناس بعيدين عن حقيقة الإسلام والإيمان، فله دره من عالم رباني وشيخاً للدعاة بجدارة.

١٢. وكان الشيخ يوسف (رحمه الله) يرى أن الإخلاص هو روح الأعمال الصالحة، وأن العمل بدون الإخلاص كجسد بلا روح، وصورة بون حقيقة (١).
١٣. يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): علامات الإخلاص المداومة على الأعمال حتى الموت.

١٤. لما يأتي الإخلاص عند الإنسان، يأتي عنده التمييز .. فيحكي أن سيدنا ﷺ عندما أراد أن يقتل الذي قتل تسعة وأوجع في المسلمين .. فالتفت وبصق في وجه الإمام على كرم الله وجهه ، فتركه بعد أن ظفر به فسأله الرجل: لماذا تركتني؟! قال: كنت أريد أن أقتلك أولاً .. ثم تغيرت النية للثأر لنفسي .. فأسلم الرجل (١).

١٥. استغفرك من كل عملٍ عملته لك ثم خالطته النية لغيرك (دعاء) .
١٦. نجعل حال سر وحال علن، هناك شيطان يخرج العمل من السر إلى العلن .. فإذا خرج للعلن يباهى به يخرج من ديوان السر للعلن حتى يبطله .. يكون لنا عمل في السر ولا حرج أن يكون لنا عمل في العلن .

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) ص ٥٣٢ .
(١) وهذه القصة سمعتها ولم نجد سندها فيما توفر لدينا من مصادر فمن وجد مصدرها فليخبرنا.

١٧ . الثلاثة الذين دخلوا الغار وأطبقت عليهم الصخرة وقالوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ .. فقال كل واحد منهم بعد أن ذكر عمله : " اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ " فلولا الإخلاص كيف يكون مصيرهم.

١٨ . يقول الشيخ / محمد إلياس - رحمه الله - : كانت أعمال الأمم السابقة خالية من الحقيقة ، حيث لم يبق - مع مرور الزمن - غير المراسم التقليدية، فكانوا يبعدون عن الحقائق الدينية بقدر بعد زمن الأنبياء ، وكان نتيجة ذلك أن الأجيال التالية اعتبرت تلك الأحكام كأنها تقاليد موروثة لهم عن الأجداد ، وكان الحق سبحانه وتعالى يرسل إليهم الأنبياء لمحو تلك الضلالة، ولإرشادهم إلى الحقائق الأصلية لأموال الدين وروحه وكان آخر هؤلاء الأنبياء والرسول هو سيدنا محمد (ﷺ)، الذي رأى أهل الأديان السماوية القديمة على نفس المنوال ، فوجد أن ما تبقى لديهم من دينهم ليس إلا مجموعة من التقاليد المنزوعة للروح ، معتقدين أنها أصل الدين، ففضى النبي (ﷺ) على تلك التقاليد الباطلة، وعلمهم الحقائق الأصلية لدين الله وأحكامه، وقد وقعت الأمة المحمدية - من بعده - في نفس المرض حتى أصبحت العبادة مثل التقاليد البالية غير المؤثرة في النفس ولا في المجتمع ، وحتى التعليم - الذي يعد أكبر وسيلة للإصلاح في مثل تلك الظروف - أصبح كذلك شيئاً من التقاليد والمراسم المعتادة.

وإذا كان نبينا (ﷺ) خاتم الأنبياء والرسل، ولا نبي ولا رسول بعده ولا كتاب بعد كتاب الله، فقد حمل علماء الأمة، الذين هم ورثة الأنبياء تلك المسؤولية، فالواجب عليهم أن يقوموا للإصلاح عند فساد الأمة وضلالتها، وأن يتجهوا - بكل ما أوتوا من القوة المادية والمعنوية - للقضاء على تلك الأمراض الخبيثة التي قضت على معنويات الشعب المسلم فردا أو جماعة، وأدت إلى الإنهيار الكامل.

والوسيلة الوحيدة لهذا القيام والإتجاه إلى هذه الأمور هي (تصحيح النية) لأن الأعمال لا تؤثر ولا تنال نتائجها إلا إذا كانت خالصة لوجه الله، وأن تكون فيها صفة (العبودية الكاملة) .

وإذا كانت النية صحيحة وسليمة، فيجب أن تنسب تلك الأعمال إلى العبودية لله سبحانه وتعالى وتظهر فيها الحقيقة المعنوية، بدلا من أن تصبح كالطقوس المعتادة والتقاليد الخالية من الروح، لأن أى عمل لا ينال المنشود إلا حينما تكون فيه صفة العبودية الكاملة لله.

فعلى العلماء وأهل الدين الذين حملوا تلك الأمانة أن يوجهوا الناس إلى (تصحيح النية) في الأعمال، وأن يبذلوا الجهود المطلوبة في هذا المجال حتى تتولد في الأعمال حقيقة الإخلاص وتصبح خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى (١) .

(١) ملفوظات الشيخ محمد إلياس ص ١١ ، ١٢ .

١٩ . ويقول الشيخ إلياس في ملفوظاته: علي الداعي أن يهتم في تصحيح النية والإخلاص والاحتساب، ويكرّر في تجديد ذلك الإخلاص والاحتساب مراراً أثناء سفره بأنّ خروجه هذا فقط لوجه الله تعالى ورغبة في نعماء الآخرة التي وعدنا بها على نصرّة الدين والخدمة وتحمل المشاق في سبيله.. أعني أن يقرّر في قلبه هذا التصوّر بأنّه لو أصبح خروجي هذا خالصاً مخلصاً وقبله الله تعالى فإذا لابد من حصول النعم التي وعدنا بها القرآن الكريم والأحاديث وهي كذا وكذا... على كل حال يجدد تركيز فكره على اليقين بالمواعيد الإلهية ورجائها مراراً وأن يربط عمله كلّه على نفس اليقين ونفس التركيز الفكري فهذا هو الذي يسمّى بالإيمان والاحتساب وهذا هو روح أعمالنا.

وقال الشيخ (رحمه الله): إنّما أصل المطلوب والمقصود في أمور الدين هو رضا الله والأجر الأخروي فقط، وأما الإنعامات والبركات الموعودة في الدنيا كالراحة وعيشة العزّ أو كالأستخلاف والتمكين في الأرض فإنها ليست مطلوبة بل موعودة .

وقال الشيخ (رحمه الله): الأصل أن لا يعمل العمل الديني إلّا للأجر الأخروي فقط... ولكن لأجل الترغيب فيه تُذكر بركات الدنيا أيضاً حسب الظروف لأن بعض الناس مبدئياً لا يعملون إلّا لأجل البركات الدنيوية ثم بركات ذلك العمل يشرفه الله تعالى بالإخلاص الحقيقي.

وطريقته هو تصحيح النية: لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم الإخلاص وفقدان شأن العبودية ، فبتصحيح النية يعود تجاه الأعمال إلى الله البتة ، فتتولد فيها الحقيقة بدل العادات الروتينية ، فيكون صدور جميع الأعمال بالحماسة على العبودية وعبادة المعبود، فالمقصود أن أهم واجب علماء هذه الأمة الحاملين للدين في هذا الزمن أن يبذلوا جهدهم في تركيز اتجاه الناس إلى تصحيح نياتهم ويحاولوا أن يتولد فيهم الإخلاص واللاهية والحقيقة في الأعمال نعم لأن اليوم أغراضهم الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً تستوفي من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن .. فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لأبائهم(١) .

يقول الشيخ عبد الوهاب (حفظه الله): الناس يأتون الى رايبوند ويقولون عبد الوهاب وجمشيد وهذا العمل قائم على أناس لو أرادوا الظهور لانقلب عمل الدعوة رأساً على عقب، ثم ضرب مثال بالبناء المكون من عشرة أدوار أساسه وضع تحت التراب، وردم عليه والظاهر منه هو الأدوار العلوية، ولو أراد الأساس في الظهور لسقط البناء وانهار(٢).

(١) ملفوظات الشيخ محمد إلياس.

(٢) سمعته من أحد الأحباب نقله سماعا من الشيخ عبد الوهاب.

وقال الشيخ إلياس (رحمه الله): لا تنسبوا هذا العمل إليّ وتقولوا الطريقة الإلياسية ولكن هذا عمل كل الأمة بعد وفاة النبي (ﷺ) وأنا فرد من الأمة (١). ويقول الشيخ يوسف (رحمه الله): في مرضه قبل وفاته يوسف من طين وسوف يعود للطين وكان الخطاب لعلماء الهند ثم استكمل كلامه ودين الله عظيم ليس من طين ودين الله يموت فمن أجل يوسف قطعتم المسافات وتحملت مشقة السفر ومن أجل دين الله لم تتحركوا وشكل العلماء (٢).

وقد ذكر الشيخ صدر الدين خلاصة هذا المبدأ في كتابه (الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية) نقلا عن الشيخ محمد إلياس - رحمه الله - : كل عمل يذهب سدى دون جدوى ما لم نكن فيه مخلصين مبتغين به وجه الله، فإذا قام العبد بأي عمل مهما حسن، ولم يبتغ رضا الله فلن يصل إلى السعادة لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الرياء شرك أصغر، ولن يفلح المشرك أبدا، فلا بد ألا يبتغى الإنسان بأعماله غير وجه الله، ويواصل محاسبة نفسه في قيامه وقعوده، ومأكله ومشربه، ونومه ويقظته، وجميع حركاته وسكناته ، ويتذكر في كل وقت أن عليه مهيمنا يعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وإذا أدخل قلبه من المطامع الدنيوية هان عليه ما هان على الأنبياء والمرسلين، واستطاع أن يؤدي كل واجبه، نحو ربه، أو نحو عباده، على الوجه المطلوب

(١) ملفوظات الشيخ محمد إلياس.

(٢) سمعته من أحد الأحباب.

الذى يؤتى الثمار النافعة ، فإن الله لا ينظر إلى أجسامنا وصورنا ولكنه ينظر إلى قلوبنا(١).

ويقول أيضا نقلا عن الشيخ / محمد إلياس - رحمه الله -:الإخلاص هو الحجر الأساسي لقبول العمل لأن كل عمل مهما صلح وحسن لا قيمة له عند الله إذا لم يقترن بالإخلاص، وإذا ركزنا الفكر، وأمعنا النظر في هذا الموضوع، علمنا أن الإخلاص مضاد للشرك، وإن اختلفت درجاته ن فإذا خلا عمل من الإخلاص، فهو رياء، والرياء هو الشرك الخفي، ولا بد للعبد ألا يتغنى بأعماله غير وجه الله، وأن يذكر دائما أن كل حظ من حظوظ الدنيا التي تستريح إليها النفس ويميل إليها القلب، قليلها كثير، وإذا تطرق الرياء إلى العمل تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه، لأن العمل الخالص هو الذى لا باعث إليه سوى التقرب من الله تعالى.

ومن هنا يتحتم أن يكون الجهد كله - ولا سيما في سبيل إحياء الدين - لله سبحانه وتعالى، لا يشوبه غرض دنيوي، فيكون القلب فارغا من طلب منزلة أو جاه أو سمعة، ويكون موقنا بأن الجهد الخالص هو شعار الأنبياء وأتباعهم الصالحين، وأن أبواب السعادة تفتح على مصراعيها بفضل الله ثم بفضل هذا الجهد الخالص، وإن لاحت لعيوننا أن الأسباب الظاهرة مغايرة للحقيقة أحيانا.(١).

(١) سر وحدة الأمة الإسلامية في رحاب الإخلاص وتصحيح النية - ماهية الإخلاص ص ٢١.

(١) المرجع السابق ص ٢١.

ويذكر الشيخ محمد عيسى الفيروز بوري تلميذ الشيخ محمد إلياس، في كتابه (المبادئ الأساسية لأهل الدعوة والتبليغ) خلاصة هذا المبدأ فيقول: إن المبدأ الخامس هو الشامل لكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان طبقاً للكتاب والسنة، فلا عمل بدون تصحيح النية لأن النية هي إرادة من المشاعر التي تحتضنها القلب في أعماقه، فإن أراد الإنسان كسب المال والتمتع في الحياة الدنيا، كان عمله دنيوياً لا دين فيه، وإن أراد إرضاء الناس فتعتبر تلك الأعمال رياء، وإن كانت خالصة لوجه الله فيقال إنها الإخلاص، وكما أن لكل شيء معياراً، فهذا هو معيار الأعمال، فالعمل القليل بالإخلاص يثمر الكثير، والأعمال الجبارة والجهود الشاقة بدون الإخلاص ترد على الوجوه (١).

★ الأعمال التي يجب تركها خوف الشهرة:

■ سئل الشيخ العز بن عبد السلام الدمشقي (المسمى بسلطان العلماء): عن العمل الذي ينبغي تركه خوف الشهرة؟.

■ فأجاب رحمه الله: الأعمال ثلاثة أقسام:

أحدهما: ما شرع في السر والخفاء: كقيام الليل وإسرار الذكر والدعاء فهذا لا يظهره ولا يجهر به لأنه إذا أظهره فقد خالف سنته مع تعريضه للسمعة والرياء.
الثاني: ما شرع علانية كالأذان وتشجيع الجنائز والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات الشرعية (كالقضاء والإمامة) فهذا لا يتركه

(١) المرجع السابق ص ٢٢.

خوف الرياء والفتنة بل يأتي به ويجاهد نفسه في دفع الفتنة والرياء وعلى هذا أدرج السلف والخلف .

الثالث: ما خير الشرع فيه بين الإظهار والإخفاء : كالصدقات فإنه قال جل وعلا ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١).

فهذا إخفاؤه خير من إظهاره لما فيه من الحزم، وحفظ الأجر، عن خواطر الرياء، إلا أن يكون مظهره ممن يقتدى به فيه إذا أظهره وهو قوى على ضبط نفسه وحفظها من الشبهة والرياء كمن تصدق بدرهم على فقير مثلاً فاقتدى به في التصدق عليه فهذا إظهاره أفضل لأنه آمن من الرياء فتسبب إلى التوسعة على الفقراء وإلى مثوبة من تصدق عليهم من الأغنياء وفي الحديث: " عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَجْرِ مَنْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً شَرًّا فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (١).

وهذا الحديث له مناسبة وقصة توضّحه وتبين المراد من قوله من سن سنة خير وهذه القصة هي ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٧١ .

(١) رواه الترمذي رقم ٢٦٧٥ .

راوي الحديث نفسه قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَأُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ الشُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ". (١).

ومزيد من التوضيح في رواية النسائي: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاءَ حُفَاةٍ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَنَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهِمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعٍ بُرٍّ مِنْ صَاعٍ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَهُ

(١) رواه مسلم برقم ١٠١٧.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزُرُّهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا" (١).

فيتبين من خلال القصة والمناسبة أن معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
" مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً " : أي: من أحيا سنة من سنن النبي ﷺ أو دلَّ عليها أو أمر بها أو عمل بها ليقتردي به من يراه أو يسمع عنه، ويدلَّ على ذلك أيضا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَثَّ عَلَيْهِ (أي حثَّ على التصديق عليه) فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدِي كَذَا وَكَذَا قَالَ فَمَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلَّا تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتَنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلًا وَمَنْ أَجُورٍ مَنْ اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ اسْتَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاسْتَنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وَزُرُّهُ كَامِلًا وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا" (١) (٢).

وقال الشيخ إلياس (رحمه الله): عندما يحاول أحد أن يتقدم في أمر الخير، فالشيطان يزاحمه بطرق مختلفة ويجعل له معوقات في طريقه ، فعندما يفشل الشيطان في تلك المعوقات ويتجاوزها ذلك العبد كلها ويشعر في

(١) رواه النسائي في المجتبى : كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة.

(١) رواه ابن ماجة في سننه رقم ٢٠٤ .

(٢) فتاوى العز بن عبد السلام .

الأمر، فحينئذ تكون محاولة الشيطان الثانية إما أن يفسد نيته وإخلاصه أو يحاول أن يكون هو شريكاً له فيها بطرق أخرى بأن يجيبه الرياء والسمعة. أو بمكره يحاول أن يحبط للآهية فآحياناً يفوز في محاولته

فلذا يجب على الذين يعملون في مجال أمور الدين أن يكونوا مستيقظين من هذا الخطر في كل حين وأن يحفظوا قلوبهم من مثل هذه الوسوس الشيطانية في كل وقت، وأن يراقبوا نياتهم بصفة دائمة لأنه لو اشتمل في أي عمل من الأعمال غرض غير رضا الله سبحانه وتعالى - في أي وقت من الأوقات (فحبط ذلك العمل (فيكون غير مقبول عند الله تعالى.

وأيضاً يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن بعض أهل الدين وأصحاب العلم قد وقعوا في خطأ كبير في باب الاستغناء بأنهم يظنون أن مقتضى الاستغناء أن لا يتلاقى مع الأغنياء وأهل الثروة مطلقاً وأن يتحاشوا من الاختلاط بهم كلياً .

مع أن المقصود من الاستغناء هو أن لا نذهب إليهم لحاجة المال فقط وأن لا نخالطهم لطلب الجاه والمال، أما لقصد إصلاحهم وللمقاصد الدينية لم يكن لقاءهم ومخالطتهم منافية للاستغناء قطعياً، بل هذا من الأمور الضرورية من حيث مرتبتها، نعم لنكن مستيقظين من أن لا يتولد في أنفسنا حب المال وحب الجاه. أ.هـ.

★ وقال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين : الطَّاعَاتُ ..

مُرْتَبِطَةٌ بِالنِّيَّاتِ فِي أَصْلِ صِحَّتِهَا، وَفِي تَضَاعُفِ فَضْلِهَا .

أَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ أَنَّ يَنْوِي بِهَا عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا غَيْرَ ، فَإِنْ نَوَى الرَّيَاءَ صَارَتْ مَعْصِيَةً.

وَأَمَّا تَضَاعُفُ الْفَضْلِ فَبِكَثْرَةِ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ الْوَاحِدَةَ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْوِي بِهَا خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً، فَيَكُونُ لَهُ بِكُلِّ نِيَّةٍ ثَوَابٌ إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا حَسَنَةٌ ثُمَّ تَضَاعَفَ كُلُّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ.

وَمِثَالُهُ: الْقُعُودُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّهُ طَاعَةٌ وَيُمْكِنُ أَنْ يَنْوِي فِيهِ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً حَتَّى يَصِيرَ مِنْ فَضَائِلِ أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ، وَيَبْلُغَ بِهِ دَرَجَاتِ الْمُقَرَّبِينَ .

أَوَّلُهَا: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ بَيْتُ اللَّهِ، وَأَنَّ دَاخِلَهُ زَائِرُ اللَّهِ فَيَقْصِدُ بِهِ زِيَارَةَ مَوْلَاهُ رَجَاءً لِمَا وَعَدَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: مَنْ قَعَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَدْ زَارَ اللَّهَ تَعَالَى وَحَقَّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يَكْرُمَ زَائِرُهُ.

وثانيها: أَنْ يَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ..

وثالثها: التَّرَهُّبُ بِكَفِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْأَعْضَاءِ عَنِ الْحَرَكَاتِ وَالتَّرَدُّدَاتِ ، فَإِنَّ الْإِعْتِكَافَ كَفٌّ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الصُّومِ وَهُوَ نَوْعٌ تَرَهَّبَ.

ورابعها: عُكُوفُ الْهَمِّ عَلَى اللَّهِ، وَلُزُومُ السَّرِّ لِلْفِكْرِ فِي الْآخِرَةِ، وَدَفْعُ الشَّوَاغِلِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ بِالْإِعْتِزَالِ إِلَى الْمَسْجِدِ.

وخامسها: التَّجَرُّدُ لِذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لِاسْتِجَاعِ ذِكْرِهِ وَلِلتَّذَكُّرِ بِهِ.

وسادسها: أَنْ يَقْصِدَ إِفَادَةَ الْعِلْمِ بِأَمْرِ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ ، إِذِ الْمُسْحَدُ لَا يَخْلُو عَمَّنْ يَسَى فِي صَلَاتِهِ أَوْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ.

وسابعها: أَنْ يَسْتَفِيدَ أَخَا فِي اللَّهِ.

وثامنها: أَنْ يَتْرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَيَاءً مِنْ أَنْ يَتَعَاطَى فِي بَيْتِ اللَّهِ مَا يَقْتَضِي هَتَكَ الْحَرَمَةِ.

فَهَذَا طَرِيقُ تَكْثِيرِ النِّيَّاتِ، وَقِسْ بِهِ سَائِرَ الطَّاعَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، إِذْ مَا مِنْ طَاعَةٍ إِلَّا وَتَحْتَمِلُ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً، وَإِنَّمَا تَحْضُرُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِقَدْرِ جَدِّهِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ، وَتَشْمُرُهُ لَهُ، وَتَفَكِّرُهُ فِيهِ، فَبِهَذَا تَزْكُوا الْأَعْمَالُ وَتَتَضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ " انتهى.

* قصص في الإخلاص:

● **خالد بن الوليد (رضي الله عنه):** عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش لم يغيره بل ازداد شدة على أعداء الله وما زال يعمل جنديا حتى توفاه الله تعالى، وإليك إخواني وأحبابي قصة عزله: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: تُوِّفِيَ أَبُو بَكْرٍ وَالشَّامُ عَلَى أَرْبَعَةِ أُمَرَاءَ: عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ عَزَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَوَلَّى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ، وَعَزَلَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَتَفَرَّقَ جُنْدُهُ فِي الْأَجْنَادِ، وَوَلَّى يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ دِمَشْقَ،

فَلَمْ يَزَلْ وَالِيًا حَتَّى مَاتَ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسٍ بِالشَّامِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ^(١).

وقال الواقدي: حدثني رافع بن عميرة الطائي قال حدثني يونس بن عبد الأعلى وقد قرأت عليه بجامع الكوفة قال حدثني عبد الله بن سالم الثقفي عن أشياخه الثقات قال لما كانت الليلة التي مات فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه رأى عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه رؤيا قصها على عمر رضي الله عنه وكانت تلك الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكأني أسمع تكبيرهم في أذني وعند تكبيرهم وزحفهم رأيت حصنا قد ساخ في الأرض حتى لم أر منه شيئا ورأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكأن نارا أمامه وكأنه وقع على النار فانطفأت فقال الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنهم أجمعين أبشر فقد فتح الشام هذه الليلة أو قال يومك هذا إن شاء الله تعالى فبعد أيام قدم عقبة ابن عامر الجهني صاحب رسول الله ﷺ ومعه كتاب الفتح فلما رآه قال: يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة: قال: ما معك من الخبر فقلت: خير وبشارة وإني سأذكرها بين يدي الصديق رضي الله عنه فقال قبض والله حميدا وصار إلى رب كريم وقلدها عمر الضعيف في جسمه فإن عدل فيها نجا وإن ترك أو خلط هلك قال عقبة بن عامر: فبكيت وترحمت على

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد « الطبقة الرابعة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك » مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ ... « يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَقِمَ الْحَدِيثُ (١٠٧٧٨) ».

أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرجت الكتاب فدفعته إليه فلما قرأه نظر فيه وكنتم الأمر إلى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى ورقى المنبر واجتمع المسلمون إليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل والتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب إلى أبي عبيدة رضي الله عليه بتوليته وعزل خالد ثم سلمني الكتاب وأمرني بالرجوع قال فرجعت إلى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما وهربيس فدفعت الكتاب إلى أبي عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر أحدا بموت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم كنتم أمره وكنتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم وبما ملكوا من مرج الديباج واطلاق بنت الملك هرقل وسلم الكتاب إلى عبد الله بن قرط فلما ورد به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنكر الأمر ورجعت حمرة إلى البياض وقال: يا بن قرط أما علم الناس بموت أبي بكر رضي الله عنه وتوليتي أبا عبيدة بن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت: لا فغضب وجمع الناس إليه وقام على المنبر ثم قال: يا معاشر الناس إني أمرت أبا عبيدة الرجل الأمين وقد رأيته لذلك أهلا وقد عزلت خالدا عن أمارته فقال رجل من بني مخزوم أت عزل رجلا قد أشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصر به دينه وأن الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمين أن أنت أغمدت سيفا وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضي الله عنه إلى

الرجل المخزومي فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن، غضب لابن عمه ثم نزل على المنبر وأخذ الكتاب وجعله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه في عزل خالد فلما كان من الغد صلى صلاة الفجر وقام فرقى المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول ﷺ فصلى عليه وترحم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال: أيها الناس إني حملت أمانة عظيمة وإني راع وكل راع مسؤول عن رعيته وقد جئت لإصلاحكم والنظر في معاشكم وما يقربكم إلى ربكم أنتم ومن حضر في هذا البلد فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صبر على أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة» وبلادكم بلاد لا زرع فيها ولا ضرع ولا ماء أوقر به الإبل لآمن مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغنم كثيرة وإني أريدها للخاصة والعامة لأؤدي الأمانة والتوقير للمسلمين وما كرهت ولاية خالد على المسلمين إلا لأن خالدا فيه تبذير المال يعطي الشاعر إذا مدحه ويعطي للمجد والفارس بين يديه فوق ما يستحقه من حقه ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعافهم شيئا وإني أريد عزله وولاية أبي عبيدة مكانه والله يعلم إني ما وليته إلا آمينا فلا يقول: قائلكم عزل الرجل الشديد وولى الأمين اللين للمسلمين فإن الله معه يسدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ جلد آدم منشور وكتب إلى أبي عبيدة كتابا فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على

نبيه محمد ﷺ وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق وإنني أوصيك بتقوى الله الذي يبقي ويفني ما سواه والذي استخرجك من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى وقد استعملتك على جند ما هنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ولا تقل إنني أرجو لكم النصر- فإن النصر إنما يكون مع اليقين والثقة بالله وإياك والتغريب بإلقاء المسلمين إلى الهلكة وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وإنما بينك وبين الآخرة ستر الخمار وقد تقدم فيها سلفك وأنت كأنك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضرتها وهبت زهرتها فأحزم الناس فيها الراحل منها إلى غيرها ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت وما الخنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكثرت في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهم وأما اختصامك أنت وخالد في الصلح أو القتال فأنت الولي وصاحب الأمر وأن صلحك جرى على الحقيقة إنها للروم فسلم إليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين.

وأما هديتك ابنة الملك هرقل فهديتها إلى أبيها بعد أسرها تفريط وقد كان يأخذ في فديتها ما لا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمة ثم دعا بعامر بن أبي وقاص

أخي سعد ودفع الكتاب إليه وقال له: انطلق إلى دمشق وسلم كتابي هذا إلى أبي عبيدة وأمره أن يجمع الناس إليه وقرأه أنت على الناس يا عامر وأخبره بموت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم دعا عمر رضي الله عنه شداد بن أوس فصافحه وقال له: أمض أنت وعامر إلى الشام فإذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس ببايعونك لتكون بيعتك بيعتي.

قال الواقدي: فانطلقا يجدان في السير إلى أن وصلا إلى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما يأمرهم به فأشرف صاحباً عمر رضي الله عنه على المسلمين وقد طالت اعناقهم إليهما وفرحوا بقدميهما فاقبلا حتى نزلا في خيمة خالد رضي الله عنه وقال له عامر بن أبي وقاص: تركته يعني عمر بخير ومعني كتاب وإنه أمرني أن أقرأه على الناس بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واستراب الأمر وجمع المسلمين إليه فقام عامر أبي وقاص فقرأ الكتاب فلما انتهى إلى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد رضي الله عنه وقال: إن كان أبو بكر قد قبض وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لعمر وما أمر به وقرأ عامر الكتاب إلى آخره فلما سمع الناس بما فيه من أمر المبايعة لشداد بن أوس بايعوه وكانت المبايعة بدمشق لثلاث خلت من شهر شعبان سنة ثلاث عشر من الهجرة.

قال الواقدي (رحمه الله): قد بلغني إنه كان على العدو بعد عزله أشد فظاعة وأصعب جهادا لاسيما في حصن أبي القدس (١).

(١) فتوح الشام للواقدي.

● إخلاص سعد بن معاذ: ابن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل ، وهو كبير الأوس ، أسلم وهو بن ثلاثون سنة ، علي يد مصعب بن عمير ، حين بعثه رسول الله ليهيئ له أهل المدينة قبل هجرته إليها ، ولما أسلم رجع إلي قومه فقال: يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا (وأوصلنا (وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبةً ، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة . (١).

ولما أسلم سمعت فریثا هاتفا علی أبي قبيس يقول :
فإن یسلم السعدان یصبح محمد
بمكة لا یخشی خلاف المخالف

فقال أبو سفيان من السعدان ؟ سعد بكر ، سعد تميم ؟
فسمعوا في الليل ، الهاتف يقول :

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا
أجيبا إلى داعي الهدى وتمييا
ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
على الله في الفردوس منية عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدى
جنان من الفردوس ذات رفارف

فقال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ (رضي الله عنهما) (٢).

وكان النبي ﷺ لا تفوته مشاورة السعدين .. وشهد بدرا وأحدا والخندق وفي كل ذلك يجاهد في سبيل الله مخلصا مع رسوله ، ومات سنة ست من الهجرة بعد

(١) حياة الصحابة للكاندهلوي.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي.

غزوة بني قريظة، فعن عبد الله بن كعب بن مالك أنه قال: الذي رمى سعد بن معاذ يوم الخندق حبان بن قيس بن العرقعة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقعة، فقال سعد: عرق الله وجهك في النار، ثم عاش سعد بعد ما أصابه سهم نحوًا من شهر، حتى حكم في بني قريظة بأمر رسول الله ﷺ ورجع إلى مدينة رسول الله ﷺ، ثم انفجر كلمه فمات ليلاً، فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله ﷺ، فقال له: من هذا الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له عرش الرحمن؟ فخرج النبي ﷺ إلى سعد فوجده قد مات «(١)». وهو ابن ست وثلاثون، فعاش في الإسلام (ست سنوات)، مخلصاً لدينه مجاهداً مع نبيه صلى الله عليه وسلم.

سنوات قلائل لكن ممزوجة بالإخلاص، فعند موته اهتز العرش لموته، فعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ متفق عليه (٢).

والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، اهتز للأمر: سر، ارتاح له، نشط، ومنه اهتزت الأرض: أخصبت وأنبئت (٣).

-
- (١) لمستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم _ ذكر مناقب سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن حديث رقم ٤٩٠٩.
- (٢) صحيح مسلم « كتاب فضائل الصحابة » باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله، ورواه البخاري: بلفظ: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.
- (٣) معجم المعاني الجامع على شبكة النت.

ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ " اهْتَزَّ الْعَرْشُ فَرَحًا بِهِ " لكنه تأوله كما تأوله البراء •

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جِنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ الْمُتَأَفِّقُونَ: مَا أَحَفَّ جِنَازَتُهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ " رواه الترمذي (١).

وقيل: المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش .. ويؤيده حديث: مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ قَوْمِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ اسْتَبْرَقَ حِينَ قُبِضَ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ هَذَا الْمَيِّتُ الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَوَجَدَهُ قَدْ قُبِضَ. " أخرجه الحاكم • (٢).

وقيل: هي علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه ليشعر ملائكته بفضله.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، قَالَتْ: لَمَّا تُوفِّيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، صَاحَتْ أُمُّهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا يَرَأُ (٣) دَمْعُكَ وَيَذْهَبُ حُزْنُكَ، فَإِنَّ ابْنَكَ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللَّهُ لَهُ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ " (٤).

(١) مشكاة المصابيح « كتاب المناقب والفضائل » باب جامع المناقب.

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣ / ص ٢٦٠.

(٣) يسكن ويجف وينقطع بعد جريانه.

(٤) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣ / ص ٢٦٣.

• عثمان وبيعة الرضوان: في الحديبية: النبي ﷺ بايع الصحابة علي الموت عندما أشيع أن أهل مكة قتلوا عثمان، فعن جابر، قال: قال النبي ﷺ: "مَنْ صَعِدَ الثَّيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمَرَارِ فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ"، قَالَ جَابِرٌ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا بَنِي الْخُزَرَجِ، ثُمَّ تَتَامَ النَّاسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجُمَلِ الْأَخْمَرِ"، فَقُلْنَا: تَعَالَي يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لِأَنَّ أَجَدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، وَإِذَا هُوَ يُنْشِدُ ضَالَّةً، لَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ إِلَّا مُعَاذُ. رواه مسلم والحاكم في المستدرک علي الصحيحين.

النبي بايع لعثمان ضرب بيده علي يده الأخرى وقال هذه لعثمان، لأنه غائب ولكن نيته لله، بخلاف جد بن قيس حاضر وليس نيته لله.

• قُزَمَانُ: وَكَانَ قُزَمَانُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ أُحُدٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَيَّرَهُ نِسَاءُ بَنِي ظَفَرٍ فَقُلْنَ: يَا قُزَمَانُ، قَدْ خَرَجَ الرَّجَالُ وَبَقِيتُ! يَا قُزَمَانُ، أَلَا تَسْتَحْيِي مِمَّا صَنَعْتَ؟ مَا أَنْتَ إِلَّا امْرَأَةٌ، خَرَجَ قَوْمُكَ فَبَقِيتِ فِي الدَّارِ! فَأَحْفَظْنَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَخْرَجَ قَوْسَهُ وَجَعَبَتَهُ وَسَيْفَهُ - وَكَانَ يُعْرِفُ بِالشَّجَاعَةِ - فَخَرَجَ يَعْدُو حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُسَوِّي صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ مِنْ خَلْفِ الصُّفُوفِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَكَانَ فِيهِ. وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلَ يُرْسِلُ نَبْلًا كَأَنَّهَا الرَّمَاخُ،

وَأَنَّهُ لَيَكَيِّتَ (١) كَتَيْتَ الْجُمَلِ. ثُمَّ صَارَ إِلَى السَّيْفِ فَفَعَلَ الْأَفَاعِيلَ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفْسَهُ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَلَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ كَسَرَ جَفْنَ (٢) سَيْفِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ: الْمَوْتُ أَحْسَنُ مِنَ الْفِرَارِ! يَا آلَ أَوْسٍ، قَاتِلُوا عَلَى الْأَحْسَابِ وَاصْنَعُوا مِثْلَ مَا أَصْنَعُ! قَالَ: فَيَدْخُلُ بِالسَّيْفِ وَسَطَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُقَالَ قَدْ قُتِلَ، ثُمَّ يَطْلُعُ وَيَقُولُ: أَنَا الْغُلَامُ الظَّفَرِيُّ! حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعَةً، وَأَصَابَتْهُ الْجِرَاحَةُ وَكَثُرَتْ بِهِ فَوَقَعَ. فَمَرَّ بِهِ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فَقَالَ: أَبَا الْغَيْدَاقِ! قَالَ لَهُ قُزْمَانُ: يَا لَبِيكَ! قَالَ: هَنِيئًا لَكَ الشَّهَادَةُ! قَالَ قُزْمَانُ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو عَلَى دِينٍ، مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَلَى الْحِفَازِ أَنْ تَسِيرَ قُرَيْشٌ إِلَيْنَا حَتَّى تَطَأَ سَعَفَنَا. فِذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَاحَتَهُ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَنْدَبَتْهُ (١) الْجِرَاحَةُ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ" (٢).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدْعِي الْإِسْلَامَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَأَثْبَتَتْهُ فَبَجَاءَ رَجُلٌ

(١) يقال: كت البعير يكت إذا صاح صياحا ليئا. (الصحيح، ص ٢٦٢).

(٢) الجفن: غمد السيف. (القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٠٩).

(١) «فأذنته» وأندبته الجراحة: صارت فيه الندوب. (القاموس المحيط، ج ١، ص ١٣١).

(٢) كتاب المغازي للواقدي - غزوة أحد - ٢٢٤/١.

مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ فَكَثُرَتْ بِهِ الْجَرَاحُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَابُ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجَرَاحِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَانْتَزَعَ مِنْهَا سَهْمًا فَانْتَحَرَ بِهَا فَاشْتَدَّ رَجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَدَقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ قَدْ انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا بَلَاءُ قُمْ فَأَذِّنْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ" (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدْعِي الْإِسْلَامَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى النَّارِ قَالَ فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَضْبِرْ عَلَى الْجَرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ أَمَرَ بِلَاءٍ فَنادى بِالنَّاسِ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ. متفق عليه.

● إخلاص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: خَطَبَ

(١) صحيح البخاري _ كتاب القدر _ باب العمل بالخواتيم ، وفي غزوة خيبر رقم)

(٣٩٧٦) ، وفي باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢٨٩٧).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنِيرِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ فِي حُطْبَتِهِ: إِنَّ فِي جَنَاتٍ عَذْنٍ قَصْرًا لَهُ خَمْسِائَةُ بَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ خَمْسَةُ آلَافٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: هَنِيئًا لَكَ يَا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْ صَدِيقٍ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَى قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: هَنِيئًا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. ثُمَّ قَالَ: أَوْ شَهِيدٍ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: وَأَنْتَى لَكَ الشَّهَادَةُ يَا عُمَرُ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى هَجْرَةِ الْمَدِينَةِ قَادِرٌ أَنْ يَسُوقَ إِلَيَّ الشَّهَادَةَ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَسَاقَهَا اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى يَدِ شَرِّ خَلْقِهِ: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِلْمُغِيرَةِ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ شَرِيكِ النَّخَعِيِّ، وَهُوَ ثِقَّةٌ، وَفِيهِ خِلَافٌ " (١).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).
وَأَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ وَوَفَاةً بِبَلَدِ نَبِيِّكَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنْتَى يَكُونُ هَذَا؟ قَالَ: يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِذَا شَاءَ " (٣). وقد مات عمر رضي الله عنه شهيدا، قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبه، في صلاة الفجر، وتحققت أمنيته.

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد «كتاب المناقب» باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه «باب فيما ورد من الفضل لأبي بكر وعمر وغيرهما من الخلفاء وغيرهم (١٤٣٧١).

(٢) صحيح البخاري «كتاب فضائل المدينة (١٧٩١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

● إخلاص عبد الله بن جحش: عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: " أَلَا نَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ فَخَلَّوْا فِي نَاحِيَةٍ ، فَدَعَا سَعْدٌ، قَالَ: يَا رَبِّ، إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأُسْهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلَنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ وَآخُذَ سَلْبَهُ، فَأَمَّنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بِأُسْهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلَنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجِدَعُ أَنْفِي، فَإِذَا لَقَيْتُكَ غَدًا، قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟، فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ﷺ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، " قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ، كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنْ أُذُنُهُ وَأَنْفُهُ مُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ (١) .

وأخرجه الحاكم عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: أَلَا نَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ، فَخَلَّوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأُسْهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلَنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلْبَهُ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بِأُسْهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلَنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجِدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقَيْتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَيَقُولُ:

(١) السنن الكبرى للبيهقي - رقم الحديث: ١١٨٣٠.

صَدَقَتْ . قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ كَانَتْ " دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ ، وَإِنْ أُذِنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ " . (١)

• أَصِيرُ بْنُ عَبْدِ الْأَشْهَلِ : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ يَقُولُ حَدَّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ مَنْ هُوَ فَيَقُولُ أَصِيرُ بْنُ عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ قَالَ الْحَصِينُ فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأَصِيرِ قَالَ كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَأَ لَهُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَعَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ ، فَدَخَلَ فِي عَرْضِ النَّاسِ فَقَاتَلَ حَتَّى أَتْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ قَالَ فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ فَقَالُوا وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِلْأَصِيرِ وَمَا جَاءَ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكَرٌ هَذَا الْحَدِيثَ فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو أَحْرَبًا عَلَى قَوْمِكَ أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ قَالَ بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَعَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي قَالَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ فَذَكَّرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " إِنَّهُ لِمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " (١).

• مُخَيْرِيقٍ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ مُحَيْرِيقٌ ، وَكَانَ أَحَدَ

(١) المستدرك على الصحيحين» كتاب الجهاد _ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: مرسل صحيح - إ.هـ. وهكذا أخرجه ابن شاهين، وابن المبارك في الجهاد، كما في الإصابة ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن سعد . (١) مسند أحمد - باقي مسند الأنصار - إنه لمن أهل الجنة .

بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ الْفُطَيْيُونِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ، قَالُوا: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، قَالَ: لَا سَبْتَ لَكُمْ. فَأَخَذَ سَيْفَهُ وَعُدَّتَهُ، وَقَالَ: إِنْ أُصِبتُ فَمَالِي لِمُحَمَّدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَّغْنَا -: "مُخَيَّرِيقَ خَيْرِ يَهُودٍ" (١)، فكل شيء مداره علي النية.

● إخلاص عمر بن عبد العزيز: قال هشام بن عبد الملك بن مروان عن ابن عمه عمر بن عبد العزيز: وَمَا أَحْسَبَ عَمْرَ خَطَا خَطْوَةً قَطُّ إِلَّا وَلَهُ فِيهَا نِيَّةٌ (٢).
● قال سفيان بن عُيَيْنَةَ: أَصَابَتْنِي ذَاتُ يَوْمٍ رَقَّةٌ فَبَكَيْتُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لَرَّقٌ مَعِي، ثُمَّ غَفَوْتُ، فَأَتَانِي آتٌ فِي مَنْامِي فَرَفْسَنِي، وَقَالَ: يَا سَفِيَانُ، خُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَرَاكَ (٣).

● قال ابن المنكدر: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: جِئْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا شَيْخٌ يَدْعُو عِنْدَ الْمِنْبَرِ بِالْمَطَرِ، فَجَاءَ الْمَطَرُ، وَجَاءَ بِصَوْتٍ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، لَيْسَ هَكَذَا أُرِيدُ. فَتَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ دَارَ آلِ حَرَامٍ، أَوْ دَارَ آلِ عُثْمَانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأَجَبَنِي، فَقُلْتُ: أَتَحْجُجُ مَعِي؟ فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ لَكَ فِيهِ أَجْرٌ، فَأَكْرَهُ أَنْ أَنْفَسَ عَلَيْكَ، وَأَمَّا شَيْءٌ آخِذُهُ، فَلَا وَبِهِ.

(١) السيرة النبوية لابن هشام « غزوة أحد » [قَتْلُ مُخَيَّرِيقَ]، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٣١/١.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي، وتاريخ بغداد.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: إِنِّي لِلَّيْلَةِ مُوَاجِهٌ هَذَا الْمُنْبَرِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَدْعُو، إِذَا إِنْسَانٌ عِنْدَ أُسْطُوَانَةٍ مُقَنَّعٍ رَأْسَهُ، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، إِنَّ الْقَحْطَ قَدْ اشْتَدَّ عَلَى عِبَادِكَ، وَإِنِّي مُقْسِمٌ عَلَيْكَ يَا رَبِّ إِلَّا سَقَيْتَهُمْ. قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً، إِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا اللَّهُ، وَكَانَ عَزِيزًا عَلَى ابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، فَقَالَ: هَذَا بِالْمَدِينَةِ وَلَا أَعْرِفُهُ! فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ، تَقَنَّعَ وَانْصَرَفَ، وَاتَّبَعَهُ، وَلَمْ يَجْلِسْ لِلْقَاصِّ حَتَّى أَتَى دَارَ أَنَسٍ، فَدَخَلَ مَوْضِعًا، فَفَتَحَ، وَدَخَلَ. قَالَ: وَرَجَعْتُ، فَلَمَّا سَبَّحْتُ، أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَدْخُلُ؟ قَالَ: ادْخُلْ. فَإِذَا هُوَ يُنَجِّرُ أَفْدَاحًا، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ أَصْلَحَكَ اللَّهُ. قَالَ: فَاسْتَشْهَرَهَا، وَأَعْظَمَهَا مِنِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ إِقْسَامَكَ الْبَارِحَةَ عَلَى اللَّهِ، يَا أَحْيِي، هَلْ لَكَ فِي نَفَقَةٍ تُغْنِيكَ عَنْ هَذَا، وَتُقَرِّغُكَ لِمَا تُرِيدُ مِنَ الْآخِرَةِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ غَيْرُ ذَلِكَ، لَا تَذْكُرْنِي لِأَحَدٍ، وَلَا تَذْكُرْ هَذَا لِأَحَدٍ حَتَّى أَمُوتَ، وَلَا تَأْتِنِي يَا ابْنَ الْمُنْكَدِرِ، فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِنِي شَهَرْتَنِي لِلنَّاسِ. فَقُلْتُ: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ. قَالَ: الْقَنِي فِي الْمَسْجِدِ. قَالَ: وَكَانَ فَارِسِيًّا، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ لِأَحَدٍ حَتَّى مَاتَ الرَّجُلُ. قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: بَلَغَنِي أَنَّهُ انْتَقَلَ مِنْ تِلْكَ الدَّارِ، فَلَمْ يَرِ، وَلَمْ يُدْرَ أَيْنَ ذَهَبَ. فَقَالَ أَهْلُ تِلْكَ الدَّارِ: اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، أَخْرَجَ عَنَّا الرَّجُلَ الصَّالِحَ (١).

● إخلاص رجل من الأعراب: عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، سير أعلام النبلاء للذهبي .

أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبِيًّا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرَعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ: قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: "إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصْدُقْكَ" فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْوَ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيهَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: "اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ" (١).

• جُرَيْجُ الْعَابِدِ نَجَاهُ اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمُهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ: أَجِيبْهَا أَوْ أَصَلِّ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْوهَ الْمَوْسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوه فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي! قَالُوا: نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ...

(١) سنن النسائي « كتاب الجنائز » الصلاة على الشهداء _ رقم الحديث (١٩٥٢)

٢ / ٤٩٧، والبيهقي في سننه ٤ / ٦٦.

رواه البخاري ومسلم.

• **حكاية عابد من بني إسرائيل:** عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَتْ شَجَرَةٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَأَقْطَعَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَجَاءَ لِيَقْطَعَهَا غَضَبًا لِلَّهِ فَلَقِيَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ: إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْبُدْهَا فَمَا يَضُرُّكَ مِنْ عِبَادَتِهَا؟ قَالَ: لَأَقْطَعَنَّهَا. فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: هَلْ لَكَ فِيهَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، لَا تَقْطَعُهَا وَلَكَ دِينَارَانِ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا أَصْبَحْتَ عِنْدَ وِسَادَتِكَ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: أَنَا لَكَ. فَرَجَعَ فَأَصْبَحَ فَوَجَدَ دِينَارَيْنِ عِنْدَ وِسَادَتِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا فَقَامَ غَضَبًا لِيَقْطَعَهَا، فَتَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ: كَذَبْتَ، مَا لَكَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ، فَذَهَبَ لِيَقْطَعَهَا فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ وَخَنَقَهُ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُهُ. قَالَ: أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ أَنَا الشَّيْطَانُ، جِئْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ غَضَبًا لِلَّهِ فَلَمْ يَكُنْ لِي سَبِيلٌ فَخَدَعْتُكَ بِالْدِّينَارَيْنِ فَتَرَكْتَهَا، فَلَمَّا جِئْتُ غَضَبًا لِلدِّينَارَيْنِ سَلَطْتُ عَلَيْكَ (١).

• **قصة غازي في سبيل الله:** يروى عن بعضهم قال: غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت: أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي _ الباب الثالث: في التحذير من فتن إبليس ومكايده ص ٣٢ ، ومكائد الشيطان لأبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

بعثها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: اكتب الغزاة فأملني عليه خرج فلان متنزهاً وفلان مرئياً وفلان تاجراً وفلان في سبيل الله ثم نظر إلي وقال: اكتب فلان خرج تاجراً فقلت: الله الله في أمري! ما خرجت أتجر وما معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو فقال: يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح بها فبكيت وقلت: لا تكتبوني تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال: ما ترى فقال: اكتب خرج فلان غازياً إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى (١).

• ورؤي بعضهم في المنام فقيل له: كيف وجدت أعمالك فقال: كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لفظتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثواباً، فقلت: موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي: إنه قد وجه حيث بعثت به فإنه لما قيل لك: قد مات قلت: في لعنة الله فبطل أجرك فيه، ولو قلت: في سبيل الله لوجدته في حسناتك. وفي رواية قال: وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي. قال سفيان (لما سمع هذا):

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي _ كتاب النية والإخلاص والصدق ١٣ / ٩٠.

ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه (١).

• **قصة تائب:** قيل: كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر- كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر- يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا: أن أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة، حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالإخلاص وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا: أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة (١).

• **قصة صاحب النقب:** كان مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش للمسلمين يحاصرون قلعة عظيمة للروم، ولكن القلعة استعصت على جيش المسلمين لارتفاع أسوارها ولإغلاق جميع المنافذ إليها، الأمر الذي رجح كفة جنود الروم فأخذوا يقذفون جيش المسلمين من أعلاها، فازداد تعب وانهاك جنود المسلمين.

وفي الليل قام أحد جنود المسلمين بالتخفي والصعود إلى قلعة الروم إلى أن وصل باب القلعة وظل ينقب فيه وينقب حتى استطاع أن يُحدث به نقباً ثم رجع دون أن يُخبر أحداً، وعند الغد تأهب المسلمون للقتال كعادتهم ، فدخل هذا البطل من النقب وقام بفتح الباب فتدافع المسلمون وتسلقوا أسوار القلعة

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي _ كتاب النية والإخلاص والصدق ج ١٣ / ص ٦٦.

وما هي إلا لحظات حتى سمع الروم أصوات تكبيرات المسلمين على أسوار قلعتهم وداخل ساحتها فتحقق لهم النصر.

بعد المعركة جمع القائد مسلمة بن عبد الملك الجيش، ونادى بأعلى صوته: مَنْ أحدث النقب في باب القلعة فليخرج لنكافئه.. فلم يخرج أحد! .. فعاد وقالها مرة أخرى، من أحدث النقب فليخرج.. فلم يخرج أحد! .. ثم وقف من الغد وأعاد ما قاله بالأمس.. فلم يخرج أحد!.. وفي اليوم الثالث، وقف وقال: أقسمتُ على من أحدث النقب أن يأتيني أي وقت يشاء من ليل أو نهار.

وعند حلول الليل والقائد يجلس في خيمته، دخل عليه رجلٌ ملثم، فقال مسلمة: هل أنت صاحب النقب؟ فقال الرجل: إنَّ صاحب النقب يريد أن يبر قسم أميره ولكن لديه ثلاثة شروط حتى يلبي الطلب. فقال مسلمة: وماهي؟ قال الرجل: أن لا تسأل عن اسمه، ولا أن يكشف عن وجهه، ولا أن تأمر له بعطاء.

فقال مسلمة: له ما طلب. عندها قال الرجل: أنا صاحب النقب، ثم عاد أدراجه مسرعاً واختفى بين خيام الجيش!

فكان مسلمة بعد ذلك يقول في سجوده: اللهم احشرنى مع صاحب النقب، اللهم احشرنى مع صاحب النقب (١).

● قصة تائب مخلص من بني إسرائيل: أخرج الإمام التقي الحافظ الزاهد

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (٧٤١).

ابن أبي الدنيا في كتابه الدعاء المستجاب: منع بنو إسرائيل القطر من السماء فجاءوا إلى موسى عليه السلام يقولون له: يا كريم الله! ادع لنا ربك أن ينزل الغيث، فدعا موسى ربه وهم يؤمنون خلفه -يقولون: آمين- ولكن الغيث لم ينزل، فأوحى الله إلى موسى: يا موسى فيهم عبد عصائي أربعين سنة مرة فأمره أن يخرج من بين صفوفهم. فالله عز وجل بسبب هذا العاصي حجب الماء، ونادى موسى على العبد العاصي: أيها العبد! اخرج من بين صفوف الناس، فلقد حرمتنا الماء بسبب معاصيك، ووصل النداء إلى العبد بإذن الله، فعلم أنه هو المقصود، فطأطأ الرأس، وقال: يا رب! عبد عصاك الآن يستغفرك ويتوب إليك، رب استرني ولا تفضحني، فاطلع ربنا على صدق توبته وحسن استغفاره، فأوحى إلى موسى: أن ادع الله، وأمن الناس فنزل الماء مدراراً، فقال موسى لربه: العبد لم يخرج يا رب! قال: يا موسى! بسببه سقيتكم الماء، فقال موسى لربه: دعني أنظر إليه، فقال: يا موسى! لم أفضحه وهو عاص، فكيف أفضحه وهو تائب؟ (١).

• المرأة المخلصة التي سقت الكلب:

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ. متفق عليه. (٢).

(١) كتاب التوابين لابن قدامة.

(٢) صحيح مسلم « كِتَابُ السَّلَامِ » بَابُ فَضْلِ سَقْيِ الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهِ... رقم الحديث: ٤١٧١.

وفي صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: " غُفِرَ لِمَرْأَةٍ مُوسِمَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يُلْهَثُ ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَتَزَعَتْ حُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَتَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ (١) .

هذه المرأة مع ارتكابها لهذه الكبيرة " الزنا " وإصرارها عليها حيث أن هذه الكبيرة " الزنا " ديدنها . إلا أن الله ﷻ غفر لها ، بماذا ؟ بشفتها علي مخلوق من خلق ﷻ .. إنها لم تسقى نبيا .. أو صالحا .. أو مجاهدا في سبيل الله .. بل لم تسقى إنسانا .. إنها سقت كلبا . بهذا العمل البسيط المملوء بالإخلاص ، فالله ﷻ غفر لها وأدخلها جنته ، ولعل من ثواب هذا العمل في الدنيا أن رزقها الله ﷻ التوبة النصوح

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : حول حديث المرأة التي سقت الكلب والرجل الذي أمارط الأذى عن الطريق: "فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغُفِرَ لها، وإلا ليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها، وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك.

فإن الإيمان يتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص(٢).

(١) صحيح البخاري « كِتَابُ الْحَجِّ » أَبْوَابُ الْمُحْصَرِّ وَجَزَاءِ الصَّيِّدِ _ رَقْم ٣٠٩٥ .

(٢) منهاج السنة ٢٢١/٦ .

• إخلاص زبيدة أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور: وهي ابنة جعفر أم العزيز الملقبة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور، العباسية الهاشمية القرشية، كانت أحب الناس إلى الرشيد، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر، وكان له معها من الحظايا والجواري والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته، وإنما لقبت زبيدة لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول: إنما أنت زبيدة، لبياضها، فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به، وأصل اسمها: أم العزيز.

وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كثير. نشأت الأميرة زبيدة في قصر جدها الخليفة أبو جعفر المنصور فرأته وهو يؤسس الدولة العباسية، فتعلمت منه القيادة والمبادرة وهي ما زالت في سن صغيرة. فلما صارت شابه تزوجها ابن عمها هارون الرشيد، فأحبها كثيراً، وبنى لها قصرًا جميلًا بالقرب من قصره، فلما دخلت قصرها في أول ليلة، ورأت أن عدد الجواري اللاتي يخدمنها مائة جارية كلفت كل واحدة منهن بقراءة جزء من القرآن، وصار يُقرأ في منزلها القرآن كاملاً كل ليلة. وعندما حبّت مع زوجها هارون فرأت الحجاج يبحثون عن الماء في الحر ولا يجدونه!!!.

فما أن رجعت إلى مدينتها بغداد حتى نادى كبير المهندسين قائلة له: احفر لي نهراً جارياً في مكة.

استغرب كبير المهندسين الفكرة.. فكيف يبني نهراً جارياً في صحراء قاحلة.. وإن استطاع أن يفعل فسيكلفه الأمر كثيراً.. فقال لها مثنياً عزمها عن الفكرة: إن الأمر سيكلفك كثيراً.. فردت عليه كلمتها الخالدة: افعل.. ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً.

وأمام كل هذا العزم والإصرار، لم يجد كبير المهندسين مفرأً من تنفيذ الفكرة فأخذ العمال، وحفر الآبار، وكسّر الجبال، وفتت الصخور، فأخرج من الآبار مياهاً تجري على سطح الأرض صارت تسقي الحجاج مئات السنوات ولم يتوقف دور الأميرة زبيدة في التأثير عند هذا الدور، بل أمرت العمال ببناء الاستراحات على امتداد الطريق من بغداد إلى مكة.. وصار الحاج والمسافر لا يشعر بالوحشة، لأن الاستراحات قد ملأت الطريق.

وسُمي هذا الطريق باسمها طريق زبيدة ولما بلغها معاناة الناس في مكة وتحملهم المشاق في بلد الله الحرام بسبب قلة المياه وارتفاع أسعارها أمرت في البداية ببناء بركة بمكة المكرمة وجلبت إليها مياه عين من داخل حرم مكة المكرمة إلا أن ماءها كان قليلاً ولم يف باحتياجات السكان.

وحينئذ أمرت زبيدة جماعة من المهندسين بجلب مياه العيون من خارج حدود حرم مكة المكرمة وإيصال مياهها إلى داخل منطقة الحرم وبعثت بأموال طائلة لتحقيق هدفها وعلى هذا فقد أخذت الأعمال على طريقين هما عين حنين وعين عرفة وقد غلب اسم «زبيدة» على العين الأولى.

اتجه المهندسون والعمال إلى منطقة عين حنين التي اشترت زبيدة بساينها وأبطلوها وأنشأوا في موضع ذلك سداً لاجتماع السيول المغذية بمياهها لتلك المنطقة وجلبوا المياه عبر القنوات إلى مكة المكرمة وكان ذلك في عام ١٩٤ هـ الموافق ٨٠٩ هـ وتقدر المسافة من المنطقة التي بها موضع نبع عين إلى المسجد الحرام بحوالي ٤١ كم وقد تم بناء القناة بأحجار البازلت واستخدمت النورة في تكوين خليط المونة للصلق أحجار البناء وعملت انفاق في المناطق الجبلية والتي يصعب إزالتها وقد مرت على القناة أعمال اصلاح وترميم في العصور الإسلامية المختلفة إلى ان توقفت مياهها الرئيسية في بداية القرن الرابع عشر للهجرة.

وَقَالَ الْخَطِيبُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: رَأَيْتُ زُبَيْدَةَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَتْ غَفَرَ لِي فِي أَوَّلِ مِعْوَلٍ ضُرِبَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ الصَّفْرَةُ؟ قُلْتُ: دُفِنَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ بِشْرُ الْمُرَيْسِيِّ زَفَرْتُ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ زَفْرَةً فَاقْشَعَرَ لَهَا جَسَدِي فَهَذِهِ الصَّفْرَةُ مِنْ تِلْكَ الزَّفْرَةِ .

وبعد أن ماتت، رآها أحد أبنائها، فقال لها: كيف حالك يا أماء ؟، قالت : غفر الله لي وأدخلني الجنة. فقال: لها بأي شيء يا أماء: قالت: بركعات كنا نُصليها في جوف الليل. قال: والبئر، يا أماء ! قالت: إنا وجدناه لغير الله .

وورد أنها رؤيت في المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، وما نفعتني إلا ركعات كنت أركعهن في السحر.

• المرأة والملك والمسجد:

يحكي أن أحد الملوك أراد أن يبني مسجدا ويسميه باسمه، ليخلد اسمه ، فأمر بلوح من رخام وكتب عليه اسمه، ثم بدأ في البناء ومنع قبول النفقة والمال والمساعدة من الناس ، فما أن تم البناء ، فنام ذات ليلة من الليالي ، فإذا به يرى ملكا من السماء ينزل ويمحو اسمه من علي اللوح ويكتب اسم امرأة ، فاستيقظ مفزوعا وقص علي من حوله الرؤيا ، فقالوا: إنها هي أضغاث أحلام قال: بل اذهبوا وانظروا إلى اللوح، فذهبوا ثم رجعوا . وقالوا: وجدنا اسمك مكتوب كما هو.. ثم في الليلة الثانية رأى نفس الرؤيا، وفعل مثل ما فعل في الليلة الأولى، وفي الليلة الثالثة رأى نفس الرؤيا ، وقد حفظ اسم المرأة ، فقال لمن حوله من الخاصة اذهبوا واسألوا عن اسم هذا المرأة ثم ائتوني بها ، فذهبوا وبحثوا عنها ثم أتوا بها ، فسألها: هل ساهمت بشيء في بناء هذا المسجد، قالت: لا. قال: تذكرني. فقالت: والله ! ما ساهمت بشيء إلا أنني مررت بهذا المسجد وهو يبني فرأيت الدابة التي يحمل عليها اللبن لهذا المسجد مربوطة وبالقرب منها الماء وهي تنظر إليه، فقربت إليها الماء فشربت فقال: أنت فعلت هذا

الفعل لله وأنا بنيت المسجد لغير الله (حتى يخلد اسمي) وأمر أن يُمحى اسمه من علي المسجد ثم يكتب اسمها .

فوائد من كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا:

- عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي لَا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ.
- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟ .
- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ وَدُعَاءَهُ لِلَّهِ وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبُهُ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ، وَلَمْ يُنْسِهْ ذِكْرُهُ مَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ، وَلَمْ يُحْزِنْ نَفْسَهُ مَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ.
- قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الْإِجَابَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْإِخْلَاصِ لَا فُرْقَةَ بَيْنَهُمَا.
- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: إِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْعِبَادِ إِلَيْهِ.
- قَالَ أَبُو حَازِمٍ: عِنْدَ تَصْحِيحِ الضَّمَائِرِ تُغْفَرُ الْكَبَائِرُ، وَإِذَا عَزَمَ الْعَبْدُ عَلَى تَرْكِ الْأَثَامِ آتَتْهُ الْفُتُوحُ.
- قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: لَا تَكُنْ وَلِيًّا لِلَّهِ فِي الْعَلَانِيَةِ وَعَدُوًّا فِي السَّرِيرَةِ.
- قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: لَا تَكُنْ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ، تُظْهِرُ لِلنَّاسِ لِيَحْمَدُوكَ، وَقَلْبُكَ فَاجِرٌ.
- قَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: خَيْرُ الْعَمَلِ أَخْفَاهُ، أَمْنَعُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَبْعَدُهُ مِنَ الرِّيَاءِ.
- قَالَ دَاوُدُ بْنُ الْمُعِيرَةِ: السِّرُّ أَمْلَكُ بِالْعَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسَّرِّ، وَالْفِعْلُ أَمْلَكُ بِالْقَوْلِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ.

- بَكَى رَجُلٌ إِلَى جَنْبِ الْحَسَنِ فَقَالَ: قَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَبْكِي إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ فَمَا يَعْلَمُ بِهِ.
- قَالَ أَبُو التَّيَّاحِ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَتَعَبَّدُ عَشْرِينَ سَنَةً وَمَا يَعْلَمُ بِهِ جَارُهُ.
- قَالَ الْحَسَنُ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَكُونُ عِنْدَهُ الزَّوَارُ فَيُصَلِّي الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ أَوْ الْكَثِيرَةَ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَعْلَمُ بِهَا زَوَارُهُ.
- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَبْكِي عَشْرِينَ سَنَةً وَمَعَهُ أَمْرٌ أَنَّهُ مَا تَعْلَمُ بِهِ.
- قَالَ إِبْرَاهِيمُ التِّمِيمِيُّ: كَانُوا يَكْرَهُونَ إِذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يُظْهَرَ الرَّجُلُ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ.
- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: كُونُوا لِقُبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ هَمًّا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ يَقُولُ { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } (١) .
- عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ الْحَسَنَ فِي أَغْنِي النَّاسِ، أَوِ الْعَمَلَ لَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَيَقَعُ لَهُ الْمَقْتُ وَالْعَيْبُ عِنْدَ النَّاسِ حَتَّى يَكُونَ عَيْبًا، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ أَوْ الْأَمْرَ يَكْرَهُهُ النَّاسُ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَيَقَعُ لَهُ الْمَقَّةُ وَالْحُسْنُ عِنْدَ النَّاسِ " .
- عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَتَّابٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: " مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ.

- عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ : " يَصْعَدُ الْمَلِكُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهَجًا فَإِذَا انْتَهَى إِلَى رَبِّهِ ، قَالَ : اجْعَلُوهُ فِي سَجِّينٍ فَإِنِّي لَمْ أَرِدْ بِهِذَا .
- - بَلَّغَنِي عَنْ ابْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ أَنَّ عَابِدًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبْدَ اللَّهِ فِي سِرِّبٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: وَعِزَّتْكَ رَبَّنَا مَا رَفَعْنَا إِلَيْكَ حَفَاءً. قَالَ: صَدَقْتُمْ مَلَائِكَتِي وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَهُ .
- قِيلَ لِعَطَاءِ السَّلِيمِيِّ: مَا الْحَذَرُ؟ قَالَ: الْإِتِّقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَلَّا يَكُونَ لِلَّهِ.
- عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (١). قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ، قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ .
- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ أَرْجَحَ مِنْ بَاطِنِهِ خَفَّ مِيزَانُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ بَاطِنُهُ أَرْجَحَ مِنْ ظَاهِرِهِ ثَقُلَ مِيزَانُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْجَزَرِيِّ قَالَ: كَانَتْ الْعُلَمَاءُ إِذَا التَّقَوُّا تَوَاصَوْا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَإِذَا غَابُوا كَتَبَ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ: مَنْ أَصْلَحَ سِرِّيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ.

فوائد من كتاب الفوائد لابن القيم (رحمه الله):

١) لو نفع العلم بلا عمل ما ذم الله (ﷺ) أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص، ما ذم الله المنافقين.

٢) العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملاً، يثقله ولا ينفعه.

٣) أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنة، فلا ترى فيه نفسك، ولا الخلق.

٤) لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبّة المدح والثناء والطّمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضبّ والحوث، فإذا حدثتكَ نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطّمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، واقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطّمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص، فإن قلت: وما الذي يسهل عليّ ذبح الطّمع والزهد في الثناء والمدح قلت: أمّا ذبح الطّمع فيسهله عليك يقيناً أنّه ليس شيء يطمع فيه إلا وبید الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه، وأمّا الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنّه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضرّ دمه ويشين إلا الله وحده، قال ذلك الأعرابي للنبي ﷺ: إن مدحي زين وذمي شين، فقال النبي ﷺ: «ذلك الله عز وجل».

فإذا حَدَّثْتَكَ نَفْسُكَ بِطَلَبِ الْإِخْلَاصِ؛ فَأَقْبِلْ عَلَى الطَّمَعِ أَوَّلًا فَادْبَحْهُ
بِسَكِّينِ الْيَأْسِ، وَأَقْبِلْ عَلَى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ فَازْهَدْ فِيهَا زُهْدَ عُشَّاقِ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ؛ فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكَ ذَبْحُ الطَّمَعِ وَالزُّهْدُ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ سَهْلٌ عَلَيْكَ
الْإِخْلَاصُ. فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيَّ ذَبْحَ الطَّمَعِ، وَالزُّهْدَ فِي الثَّنَاءِ
وَالْمَدْحِ؟ قُلْتُ: أَمَّا ذَبْحُ الطَّمَعِ؛ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ عِلْمُكَ يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ
يُطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبَيْدِ اللَّهِ وَحَدَهُ خَزَائِنُهُ؛ لَا يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ، وَلَا يُؤْتِي الْعَبْدَ مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ.
وَأَمَّا الزُّهْدُ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ؛ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ
مَدْحُهُ وَيَزِينُ، وَيُضُرُّ ذَمُّهُ وَيَشِينُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ لِلنَّبِيِّ:
«إِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ، وَذَمِّي شَيْنٌ فَقَالَ: ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» رواه أحمد والترمذي، وهو
صحيح.

فازْهَدْ فِي مَدْحٍ مَنْ لَا يَزِينُكَ مَدْحُهُ وَفِي ذَمٍّ مَنْ لَا يَشِينُكَ ذَمُّهُ، وَارْغَبْ
فِي مَدْحٍ مَنْ كُلُّ الزَّيْنِ فِي مَدْحِهِ وَكُلُّ الشَّيْنِ فِي ذَمِّهِ، وَلَنْ يَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا
بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ فَمَتَى فَقَدْتَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ كُنْتَ كَمَنْ أَرَادَ سَفَرًا فِي الْبَحْرِ
فِي غَيْرِ مَرْكَبٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ
لَا يُوقِنُونَ) (١)، وَقَالَ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
وَكَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ) (٢). (٣).

(١) سورة الروم – الآية ٦٠ .

(٢) سورة السجدة – الآية ٢٤ .

(٣) كتاب الفوائد لابن القيم .

فوائد من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي:

- (١) إذا أتاكَ الشيطان وأنت في الصلاة فقال: إنك مرء، فزدها طولا.
- (٢) وقال قائل: دلوني على عمل لا أزال به عاملا لله تعالى، فقليل له: انو الخير، فإنك لا تزال عاملا وإن لم تعمل. فالنية تعمل وإن عدم العمل.
- (٣) إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي.
- (٤) المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.
- (٥) أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل.
- (٦) تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.
- (٧) الإخلاص يميّز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم.
- (٨) مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص.
- (٩) من شاهد في إخلاصه الإخلاص، فقد احتاج إخلاصه إلى الإخلاص.
- (١٠) الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط.

فوائد من كتاب الزهد لابن المبارك في الإخلاص:

- (١) يروى عن الثوري أنه قال: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليها جميعا.
- (٢) عن الحسن أنه قال: كنت مع ابن المبارك فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

(٣) روي عن النعيم بن حماد أنه قال: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقليل له ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) روي عن عبدة بن سليمان أنه قال: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه وقتله، فازدحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟.

(٥) روي عن المبارك أنه قال: سمعت جعفر بن حيان يقول: ملاك هذه الأعمال النيات، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله.

(٦) كان أحد الحكماء يقول: إذا كان المرء يحدث في المجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإذا كان ساكتا فأعجبه السكوت فليحدث.

(٧) روي عن مطرف بن عبد الله الشخير أنه قال: لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما فأصبح معجبا.

(٨) عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: " إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ جَارُهُ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقِهَ الْفَقْهَ الْكَثِيرَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ

لِيَصِلِيَ الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ الزُّوْرُ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا
مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ يَقْدُرُونَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي سِرٍّ فَيَكُونَنَّ عَلَانِيَةً
أَبَدًا، وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتُ، إِنْ كَانَ
إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: {
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (١)، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحًا وَرَضِيَ قَوْلَهُ، فَقَالَ: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) (٢).

(٩) عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ إِذَا قَالَ، قَالَ اللَّهُ، وَإِذَا عَمِلَ، يَعْمَلُ اللَّهُ.
(١٠) وعن ابنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُسَمِّعٍ، وَلَا مُرَاءٍ، وَلَا
لَاعِبٍ، وَلَا دَاعٍ، إِلَّا دَاعِيًا دُعَاءً ثَبَتًا مِنْ قَلْبِهِ "

درر من أقوال العلماء في الإخلاص:

- قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ إِذَا أَتَاكَ الشَّيْطَانُ وَأَنْتَ فِي صَلَاةٍ، فَقَالَ: إِنَّكَ مُرَاءٍ
فَزِدْهَا طَوْلًا، وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ تَرَكَ الْعِبَادَةَ خَوْفًا مِنَ
الرِّيَاءِ، فَيَحْمَلُ هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ أَحْسَوْا مِنْ نَفْسِهِمْ بِنَوْعٍ تَزِينٍ فَقَطَعُوا.
- وقال قائل: وقال بعضهم: دُلُّوني عَلَى عَمَلٍ لَا أَرَاهُ بِهِ عَامِلًا لِلَّهِ تَعَالَى
فَقِيلَ لَهُ: انْوَ الْخَيْرَ فَإِنَّكَ لَا تَرَاهُ عَامِلًا وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ، فَالْنِيَةُ الصَّالِحَةُ بِعَمَلٍ.

(١) سورة الأعراف - الآية ٥٥.

(٢) سورة مريم - الآية ٣.

○ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنِّي لَأَسْتَجِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتَّى فِي أَكْلِي وَشُرْبِي وَتَوَمِّي وَدُخُولِي لِلْخَلَاءِ وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

○ الصادق هو الذي لا يُبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يجب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يجب الزيادة عندهم وليس هذا من علامات الصادقين (١) .

○ والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (٢) .

○ وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته (٣) .

○ ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق (٤) .

○ اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد، فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه، فإنه لا ينجي من عذاب الله إلا إياه (٥) .

○ فمن كان مخلصاً في أعمال الدين يعملها لله كان من أولياء الله المتقين (٦) .

(١) ابن القيم – مدارج السالكين (٢/٢٨٩)، (٣/١٨٦) .

(٢) ابن تيمية / النبوات ص / ١٤٧ .

(٣) ابن تيمية / الفتاوى ١٩٨/١٠ .

(٤) ابن رجب كلمة الإخلاص ص/٣١ .

(٥) ابن رجب كلمة الإخلاص ص ٥٤ .

(٦) ابن تيمية الفتاوى (٨/١) .

- إذا حسنت السرائر أصلح الله الظواهر (١) .
- صِحَّةُ الْفَهْمِ وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ وَلَا أَجَلُ مِنْهُمَا ، بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ وَطَرِيقُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ حَسَنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ وَهُمْ أَهْلُ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَصِحَّةِ الْفَهْمِ: نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ ، وَيُمَدُّهُ: حُسْنُ الْقَصْدِ، وَتَحَرِّيَ الْحَقِّ، وَتَقْوَى الرَّبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيَقْطَعُ مَادَّتَهُ: اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَإِثَارَ الدُّنْيَا، وَطَلَبَ مُحَمَّدَةَ الْخُلُقِ، وَتَرَكَ التَّقْوَى (١) .
- فَإِنَّ الصَّادِقَ مَطْلُوبُهُ رِضَا رَبِّهِ، وَتَنْفِيزُ أَوْامِرِهِ، وَتَتَّبِعُ حَاجَتِهِ. فَهُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهَا يَسِيرُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا. وَيَسْتَقِلُّ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا فَبَيْنَا هُوَ فِي صَلَاةٍ إِذْ رَأَيْتُهُ فِي ذِكْرِ ثُمَّ فِي غَزْوٍ، ثُمَّ فِي حَجٍّ. ثُمَّ فِي إِحْسَانٍ لِلْخَلْقِ بِالتَّعْلِيمِ وَغَيْرِهِ، مِنْ أَنْوَاعِ النَّفْعِ. ثُمَّ فِي أَمْرِ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ. أَوْ فِي قِيَامٍ بِسَبَبٍ فِي عِمَارَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، ثُمَّ فِي عِبَادَةِ مَرِيضٍ، أَوْ تَشْيِيعِ جَنَازَةٍ. أَوْ نَصْرِ مَظْلُومٍ - إِنْ أُمِكنَ - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ وَالْمَنَافِعِ .. (٢).

(١) ابن تيمية الفتاوى (٢٧٧/٣).

(١) ابن القيم - أعلام الموقعين (٦٩/١).

(٢) ابن القيم - مدارج السالكين (٢٨٦/٢).

- فمن أصلح سريره فاح عير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر (١).
- الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات هو سبيل الخلاص، والإسلام مركب السلامة، والإيمان خاتم الأمان (٢).

* نمرات الإخلاص:

١. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ يَمْنَعُ التَّاجِرَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَلَا يَحُونُ الَّذِي يَأْتِمُنُهُ فِي صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْبِضَاعَةِ، أَوْ قِيَمَتِهَا.
٢. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبُهُ عَلَى إِجَادَةِ الْعَمَلِ وَأَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا فِيهِ.
٣. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّهُ يَمْنَعُ الْكَاتِبَ أَنْ يَقْلِبَ بَعْضَ الْحَقَائِقِ أَوْ يَكْسُوَهَا لَوْنًا غَيْرَ لَوْنِهَا.
٤. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى تَجَنُّبِ الْغِشِّ فَكُلُّ غَشَّاشٍ فَهُوَ لَيْسَ بِمُخْلِصٍ، وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».
٥. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ.
٦. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ سَوَاءً.
٧. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى تَنْظِيمِ أَعْمَالِهِ.
٨. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّ الْمُتَّصِفَ بِهِ يَكُونُ مُقَدَّرًا مَرْمُوقًا بَعِينَ الْاِحْتِرَامِ وَالْإِجْلَالِ.

(١) ابن الجوزي - صيد الخاطر ص ٢٢٦.

(٢) ابن القيم - مفتاح دار السعادة (١/٧٤).

٩. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الرِّشْوَةِ.
١٠. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَزَيْرًا أَوْ رَئِيسًا أَوْ مُدِيرًا أَنْ يَتَحَرَّى لِلْأَعْمَالِ الْأَتَقَى وَالْأَرْضَى، الَّذِي تُوجَدُ فِيهِ الْمُؤَهَّلَاتُ حَقِيقَةً، وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ وَالْحَفَظُ وَالْعِلْمُ. عَامِلًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ».
١١. وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّ الْعَمَلَ الْخَالِصَ الْقَلِيلَ مِنْهُ يَجْزِي كَمَا فِي حَدِيثٍ مُعَاذٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «أَخْلِصَ الْعَمَلَ يُجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ».
١٢. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَتَخَلَّصُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَمَّا قَالَهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ}.
١٣. وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ يُمَيِّزُ الْعَمَلَ مِنَ الْعُيُوبِ كَتَمْيِيزِ نَفْسِهِ وَجُمُوعِهَا لِلْعَمَلِ لِيَتَّقَى عَلَى الْعِبَادَةِ يَكُونُ نَوْمُهُ عِبَادَةً (١).
١٤. تَعْظِيمُ الْعَمَلِ: فَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ (٢).
١٥. يَنَالُ بِهِ الْعَبْدُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ: فَعَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ " (١).

(١) موارد الظمان لدروس الزمان للمسلمان.

(٢) جامع العلوم والحكم ١ / ١٣ .

(١) رواه مسلم (١٩٠٨).

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ " (١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ " (٢).

وَعَنْ سَعِيدِ الطَّائِي، أَبِي الْبَحْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو كَبْشَةَ الْأَنْتَارِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ أَفْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً، فَصَبَرَ عَلَيْهَا، إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوَزْرُهُمَا سَوَاءٌ. (٣).

(١) المرجع السابق (١٩٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٣) وقال حسن صحيح .

(٣) أخرجه أحمد ٢٣١/٤ (١٨١٩٤) و"الترمذي" ٢٣٢٥ قال الشيخ الألباني: صحيح انظر

حديث رقم : ٣٠٢٤ في صحيح الجامع.

١٦. **حصول الأجر:** فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ" (١).

١٧. **غفران الذنوب وإن كانت من الكبائر:** فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ. فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ - ويجوز بكسر الكاف -، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتْ الْبَطَاقَةُ. فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ" (٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي - فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ

(١) رواه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأخرجه أحمد وابن ماجه.

الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَرَ لَهُ " . رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ " . رواه البخاري ومسلم .

١٨ . تحويل العادات إلى عبادات: مثل الطعام والشارب والنام ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

١٩ . النجاة من الفتن: نجى الله سيدنا يوسف عليه السلام بإخلاصه من فتنة امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢) .

٢٠ . الحصانة من الشياطين: فالشيطان استثنى المخلصين من الغواية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٣) .

٢١ . يدفع الوسواس: عن أبي سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس والرياء .

(١) سورة الأنعام - الآية ١٦٢ .

(٢) سورة يوسف - الآية ٢٤ .

(٣) سورة يوسف - الآية ٢٤ .

٢٢. النجاة من الشدائد: مثل الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة فنجاهم الله بصالح أعمالهم.

٢٣. دخول الجنة: فعن جابر بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن يعني معاذًا، أنه قال وهو مريض: اكشفوا عني القبة حتى أحدثكم حديثًا لولا ما أنا عليه لم أحدثكم، فأنشأ أبو عبد الرحمن، فقال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ" (١).

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قِيلَ: وَمَا إِخْلَاصُهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢).

٢٤. النجاة من عذاب الله: قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ

(١) السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله ٥/٧٠ - رقم (2355).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: ٢/ ٥٦ (١٢٣٥)، المعجم الكبير للطبراني: ٥/ ١٩٧

رقم (٥٠٧٤)، الدعاء للطبراني رقم (١٤٧٥).

قَدَّرُوها تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْسًا كَانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيها تُسَمَّى
سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا *
وَإِذا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
وَحُلُّوا أَساورَ مِنْ فِضَّةٍ وَسِقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذا كانَ لَكُمْ جَزاءً
وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١﴾.

٢٥. الحصول على نصره الله: عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ
لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ
هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ (٢).

*** وصايا المشايخ للأحباب بالإخلاص في العمل:**

وصية الشيخ إلياس (رحمه الله):

كانت أحوال أمم الأنبياء عامة بأنه كلما بعد عنها زمن النبوة فتصبح
أمورها الدينية خالية من الروح والحقيقة بحيث تصبح كعادات تقليدية محضة،
فكانت تأديتها كعادة تقليدية.

فلإصلاح هذه الضلالة كانت تبعث الأنبياء الذين كانوا يبطلون هذه
العادات التقليدية ويرشدون الأمة إلى الحقيقة الواقعية وروح الشريعة الحقيقية.
فأخيراً لما بعث رسول الله ﷺ فكانت حالة الأقوام التي كانت لها علاقة

(١) سورة الإنسان - الآيات من ٨ ؛ ٢٢.

(٢) سنن النسائي « كتاب الجهاد » الاستنصار بالضعيف رقم ٣١٧٨.

بالأديان السماوية في زمانه ﷺ نفس تلك الحالة المذكورة بأن الأمور الدينية التي بقيت لديها مما أتوا به أنبياءهم كأنها عادات تقليدية خالية من الروح، فكانت تظن أنها هي الشريعة وأصل الدين.

فأبطل رسول الله ﷺ تلك المألوفات التقليدية فقام بتعليم أصل حقائق الدين وأحكامه، وأن الأمة المحمدية أيضاً ابتليت في هذا المرض حتى في عباداتها أصبحت تقليدية إلى حد أن تعليم الدين أيضاً الذي كان من المفروض أن يكون سبباً لإصلاح جميع مثل هذه المفاصد فأصبح في بعض المدن عادة تقليدية، ولكن لأن سلسلة النبوة قد انتهت الآن فمسئولية مثل هذه الأمور حملت على علماء الأمة الذين هم نائبين عن النبي ﷺ، فإنما الواجب عليهم أن يركزوا إلى إصلاح ذلك الضلال وفساد الحال.

وطريقته هو تصحيح النية: لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم اللاهية والإخلاص وفقدان شأن العبودية، فتصحيح النية يعود تجاه الأعمال إلى الله البتة، فتتولد فيها الحقيقة بدل العادات الروتينية، فيكون صدور جميع الأعمال بالحماسة على العبودية وعبادة المعبود.

فالمقصود أن أهم واجب علماء هذه الأمة الحاملين للدين في هذا الزمن أن يبذلوا جهدهم في تركيز اتجاه الناس إلى تصحيح نياتهم ويحاولوا أن يتولد فيهم الإخلاص واللاهية والحقيقة في الأعمال. (١).

(١) ملفوظات الشيخ إلياس _ وسر وحدة الأمة الإسلامية في رحاب الإخلاص وتصحيح النية ماهية الإخلاص ص ١٩.

وقال الشيخ رحمه الله: قد أذيع في القرآن والحديث باهتمام خاص أن الدين يُسرّ (أعني يسيراً وسهلاً) فيقتضى هذا أن كلما كان الأمر أهمّاً من الآخر كان أيسراً حسب أهميته.

لأن تصحيح النية والإخلاص لله من أهم الواجبات في الدين، بل من روح جميع أمور الدين فلذا هذا سهل جداً ولأن هذا الإخلاص لله هو حاصل ومقصود السلوك والطريق كله، فعلم من هذا بأن السلوك أيضاً أمر سهل، ولكن ليعلم أن جميع الأمور بأصولها وبطرقها الوضعية تكون سهلة، فمهما كانت الأمور يسيرة فإذا صيرت بغير طريقتها فحينئذ تتعسر.

فمن خطأ الناس الآن أنهم يرون التقليد على الأصول هو الصعب فيتهربون منه مع أن مهما كان الأمر يسيراً لم يبلغ مرامه إلا بالمشي على تقليدات أصوله، فالطائرة والباخرة والقطار والسيارة لا تسير إلا بالأصول حتى الطبخ والخبز لم يجهز إلا بالأصول.

أقول : إذا تقيدنا بالأصول بتصحيح النية والإخلاص وترسيخ الإيمان في القلب لنكون مصداقاً لقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ " فيتحقق لنا أن الدين يسرّ. (١).

ويقول الشيخ / محمد إلياس الكاندهلوى — رحمه الله — : زينوا أعمالكم بالإخلاص ، فإن العمل القليل بالإخلاص يأتي بثمار كثيرة حسنة

(١) كتاب ملفوظات الشيخ إلياس (رحمه الله) .

تسبب البركة والخير في الدارين ، أما الأعمال بدون تصحيح النية فلا تنفع في الدنيا ولا في الآخرة .

إن الرسول (ﷺ) حينما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن طلب معاذ رضي الله عنه النصيحة ، فأمره رسول الله (ﷺ) بالاهتمام ب (الإخلاص في أمور الدين) وقد كثرت الأحاديث الشريفة عن النبي (ﷺ) في هذا الموضوع ، فالأهم والأصل في جميع الأمور هو تأدية كل الأعمال بالإخلاص ، بعيداً عن المظاهر والرياء ، وهذا هو سر النجاح في الأعمال ، فبقدر ما يكون الإخلاص في الأعمال يكون الفوز والنجاح وظهور البركات بنفس القدر (١).

ويقول الشيخ / محمد إلياس الكاندهلوي - رحمه الله - عن قوله تعالى في الآية الكريمة: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (٢) يقول : إنها تؤكد ان رضا الله سبحانه وتعالى عن الأعمال يقوم على شرطين هامين أساسيين :

أولهما : العمل الصالح ، ومن المعروف أن الأمر لن يكون صالحاً إلا إذا كان مطابقاً للكتاب والسنة .

والثاني : أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى ، فإن اشترك فيه

(١) سر وحدة الأمة الإسلامية في رحاب الإخلاص وتصحيح النية ماهية الإخلاص ص ٢٤ .

(٢) سورة الكهف - الآية ١١٠ .

شئ يخر لإرضاء غيره أو الإهتمام بالمنفعة المادية ، فهذا مناف للإخلاص لله ، وهو أيضا مرادف للشرك ، كما أنه عمل مردود غير مقبول ، وملعون عند الله ، لأن عبادة اهواء النفس هي روح الكفر والشرك والسم الزعاف لحياة المؤمن ، حيث يقضى على الإخلاص في الأعمال التي يقوم بها العبد خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى (١).

ويقول الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله): إن تصحيح النية والإهتمام بها لأمر بالغ الأهمية في حركتنا الإيمانية، ويجب على القائمين بهذه الأعمال الإيمانية أن يضعوا نصب أعينهم - في جميع الحركات والسكنات - طاعة الله سبحانه وتعالى وطلب رضاه جل وعلا، فبقدر ما تكون تلك الناحية - ويقصد بها الشيخ (الطاعة المخلصة لله سبحانه وتعالى) - قوية في النفس خالصة لله يجزى الإنسان بنفس القدر .

ومن المعروف أن الركيزة الأساسية والقانون العام في جزاء الأعمال هو أن يقوم الإنسان ببذل الجهود المتفانية في إعلاء كلمة الحق ، ويضحى في سبيله بنفسه وماله خالصا لوجه الله تعالى ، دون النظر إلى المنافع المادية والمصالح الشخصية ، ودون أن يحدد النتائج لتلك الأعمال من عند نفسه .

وإذا كان الأمر كذلك، كان له عند الله الأجر العظيم، أما إذا قام المرء ببذل الجهود في أعمال الخير، عند ظهور المنافع والمصالح المادية أو المعنوية، فمن

(١) المرجع السابق ص ٢٥ .

الطبيعى أن يقل أجرها عند الله، لأن تلك المنافع والمصالح - التى تظهر بسبب جهود السابقين - تشترك كذلك فى الغرض الحقيقى بعد ظهور نتائجها المثمرة، حيث كان الغرض الحقيقى ابتغاء وجه الله فقط، أما بعد ظهور النتائج النافعة، اشتركت المنفعة المادية مع الإخلاص لوجه الله، ولذلك قلت درجة اللاحقين عن السابقين .

وعلى سبيل المثال انظروا إلى فتح مكة فالأجر الذى كان قبل الفتح فى التضحية بالأموال والأنفس لم يكن مثله فى التضحيات أو بذل الجهود بعده لأن صورة النصر والحكم قد وضحت فى الأذهان بعد الفتح.

إذا لم تكن صورة النجاح والنصر واضحة - مثل ذلك - قبل الفتح فلذلك قال جل وعلا: { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (١) ولم تكن توجيهات الشيخ محمد إلیاس للعامة من القائمين فى هذا المجال فحسب، بل كان يوجه أقرب الأقربين له من العلماء وغيرهم إلى التشجيع المعنوى القوى لمن بذلوا الجهود فى مناطقهم فى البداية، قائلا: بأن هؤلاء هم مؤسسوا الحركة، التى ينسبها الناس إلى دوننا مبرر، فلولاهم ما كنت أستطيع القيام بشىء، ولهم علينا حقوق كثيرة، ولا أستطيع الإيفاء بها مهما فعلت، فالذين يحبوننى فى الله عليهم أن يؤدوا حقوق هؤلاء

(١) سورة الحديد - الآية ١٠ .

القدماء - ولو شقوا على أنفسهم - وذلك بأن يوجهوا حبهم إلى هؤلاء المؤسسين الأصليين للحركة ، فإنهم هم السابقون في هذا العمل ، ولا يستوى اللاحقون بهم بعد ما أثمرت نتائج العمل) .

ولما كان منهج الشيخ العملى هذا معتمدا على التقوى والتوكل والإخلاص ، المتمثل فى قول : (إن أجرى إلا على الله) كان لزاما على الشيخ أن يشرح معانى تلك الحقائق السامية التى تعتبر العمود الفقرى فى مجال الدعوة والإصلاح .

ولذلك نرى أن الشيخ محمد إلباس رحمه الله ، بذل أقصى جهوده فى شرح معانى تلك الأمور الهامة حتى يفهم الجميع وأكد - مرارا وتكرارا - للخارجين فى سبيل الله ألا يطمع أحد فى كسب المال ولا يستغل هذا السبيل - بأى شكل من الأشكال - للكسب المادى ، فيقول : من أين تأتى النقود ؟ ، فلا مال ولا نقود ، لأن تحمل مسؤولية هذا العمل لا يتعلق بالأجر المادى ، فإن الأجور عند الله ، وهى أكثر مما يحصيها الإنسان بمقاييس عقله .

إن كثيرا من الناس يتركون بيوتهم وأهاليهم من أجل الحصول على لقيات من حطام الدنيا ألم ترو أن مئات الآلاف من المسلمين فى جنود الإنكليز وضعوا أنفسهم أمام المدافع والدبابات ، ويعيشون فى المخابىء المظلمة الموحشة ليلا ونهارا ، معرضين أنفسهم للموت طيلة الوقت الذى يعيشونه ، وسط أنباء الخراب والدمار ، وكل ذلك لأجل الحصول على لقمة العيش فقط .

فهل يمكن للمؤمنين أن يستعدوا للقيام فى سبيل (إعلاء كلمة الحق)

خالصة لوجه الله الكريم ، ولو لبعض الوقت ، مثلما يقوم الإنسان ببذل جهوده -مظهرا إخلاصه التام- في سبيل كسب المادة ؟) .

ولقد كثرت أقوال الشيخ في هذا المجال كما كان ابنه الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوى يشرح هذه الحقيقة طوال حياته موجهها الناس إلى التوكل واليقين الكامل بما وعد الله سبحانه وتعالى من أجر وثواب في الدنيا والآخرة .

فمثلا يقول : إن الإخلاص هو شرط لقبول تلك الأعمال ، وشرط لما وعد الله سبحانه وتعالى من أجر وثواب ونعم ، فإن جميع الأسباب التي تستخدم في سبيل الوصول إلى حقيقة كلمة التوحيد و (الصلاة) مثل التعليم والمسائل الدينية والفضائل والذكر والخروج في سبيل الله وغيرها كلها تحتاج إلى أن تكون فيها (النية الخالصة لوجه الله تعالى) لأن اليقين بما وعد الله سبحانه وتعالى في حياة الآخرة بما فيها الخيرات والنعم يجب أن يكون مرسخا في قلب العامل قبل العمل وأثناءه مراعى في ذلك عدم كون النية موجهة لتلك الأمور ، بل خالصة لوجه الله الكريم طالبا رضاه سبحانه .

فاليقين له حدود ومعايير ثابتة، ولا يمكن الوصول إلى حقائق تلك الأمور الحسنة إلا إذا كان اليقين في حدوده المعينة له ، مع كون النية الخالصة مبلورة في حدودها المعينة لها ، فخذوا حذرکم ولا تضيعوا الإخلاص في شدة (اليقين) حتى لا تكون النية ملتفتة إلى (أجر الآخرة فقط) ولا تضيعوا (اليقين) في شدة (الإخلاص) بل يجب الموازنة بينهما ، أى بين (الإخلاص) و (اليقين) والمراد بذلك هو ألا يكون الهدف الأصلي والنهائي هو دخول الجنة والخلود

فيها أو العتق من النار ، بل يكون الهدف المنشود (رضا الله سبحانه وتعالى) دون أن ينسى النعم التي وعد الله المؤمنين المخلصين في الآخرة .

ويقول الشيخ محمد إلياس - رحمه الله - : إن نصيب المخلصين الصادقين في بذل الجهود ليس إلا الحصول على رضا الله ، أما الفتوح والمال والثروة والعون والمساعدة فأول من يستحقها هم الضعفاء والمؤلفة قلوبهم .

وفي تشجيع وتأليف قلوب الأفراد الجدد في الحركة أو الذين تحملوا الشدائد في هذا الطريق في فترة بداية الحركة كانت للشيخ ترغيبات خاصة ، ومنها : قوله إن من يبدأ العمل في منطقته لأول مرة ويحتمل في سبيله الشدائد فله أجر من عند الله عز وجل يتفرد في نوعيته عن أجر من إلتحق معه بالعمل بعد ظهور البركات والنتائج (١).

وصية الشيخ يوسف (رحمه الله): لجماعة الحج والعمرة المتجهة إلى بلاد الحجاز: يكون عندنا في كل عمل عاطفة إرضاء الله ﷻ ، ولا يكون مقصدنا في أي عمل طلب الدنيا والشهرة ، فالعمل القليل مع مرضاة الله ﷻ يكون سببا لجلب نعمه ، والأعمال العظيمة بغير رضوانه تكون سببا للعذاب والنقمة .
ولتصحح نياتنا نجعل الشوق والرغبة في قلوب الناس ولتصحح نياتهم بالدعوة لذلك .

نراقب أعمالنا قبل العمل وفي أثناء العمل ، ونستغفره بعد العمل ، ونتضرع إلى الله تعالى بأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل .

(١) سر وحدة الأمة الإسلامية في رحاب الإخلاص وتصحيح النية من ص ٢٦ : ٣٠ .

وصية الشيخ محمد عمر البالبوري (رحمه الله):

إخواني وأحبابي في الله: لا بد من قوة الإيمان وصفة الاحتساب، وصفة الإحسان مع الإخلاص، فيكون العمل على نهج النبي ﷺ، يقول النبي ﷺ: " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي " البخاري ، ويقول ﷺ: " خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ " رواه الترمذي .

فجميع الأعمال على نهج النبي ﷺ ، وإذا تحققت في صلواتنا وأعمالنا تكون الأعمال حقيقية ، وتقبل عند الله عز وجل .

لذلك يجب أن نعمل الأعمال بنية:

أولاً: اليقين: على وعد الله ووعدده، لمرضاة الله تعالى.

ثانياً: الإتيان: أي تعمل العمل على هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثالثاً: الإحسان: أن تعمل العمل كأنك ترى الله تعالى، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

رابعاً: الاحتساب: فإن ذلك العمل لن يكافئني عليه إلا الله تعالى في الآخرة، ونعلم هذا بعلم الفضائل.

خامساً: الإخلاص: فلا عمل إلا لوجه الله تعالى.

سادساً: الافتقار: أي نحن الذين نحتاج إلى الله عز وجل، والله تعالى هو

الغنى، ونحن أحوج ما نكون إلى قبول أعمالنا لذلك يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١)

سابعاً: الاستغفار: وذلك لجبر العمل إذا شابه شائبة.

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي.

ثامنا: مجاهدة النفس.

فلو تمرنا على ذلك تكون كل أعمالنا على صفة الصلاة، فتكون مقبولة عند الله تعالى، وبعد هذه الأعمال المقبولة تأتي المعاملات الحسنة بين الناس.

وبخمس أشياء في أعمالنا تكون أعمالنا قوية:

نجتهد حتى في صلاتنا، فإن شاء الله تعالى تكون صلاتنا حقيقية، وبها تقضى حاجتنا: أن يكون اليقين صحيحا.. وأن تكون الأشواق حقيقية.. وأن تكون الطريقة صحيحة وهي طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم.. ويعمل العمل بالإحسان وإخلاص النية .

ومعنى اليقين الصحيح :

- (١) أن يكون يقينه على الله، لا يكون يقينه على الأشياء، فبهذا يكون إيمانه قويا .
- (٢) أن تكون أشواقه صحيحة ؟.
- (٣) أن يعمل هذا العمل بالشوق، يعنى أن يتيقن على وعد الله ووعد رسوله ﷺ، لأن الله تعالى وعد على الأعمال.
- (٤) أن تكون أعمالنا على طريقة الرسول ﷺ، صلاتنا على طريق الرسول ﷺ، الزواج لا يكون على طريق العوام، بل على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم.
- (٥) أن نعمل كل عمل بالإحسان واستحضار فضيلته، ولا نعمل بالغفلة، مثلا في الدعاء لا يكون المرء غافلا، بل يستحضر عظمة الله، وأن الله يتقبل منه .
- (٦) أن تكون أعمالنا لله تعالى، لا لأي غرض من الدنيا أو لأي مخلوق.

وهناك أعمال ظاهرة إيمانية: مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها، كذلك

هناك أعمال باطنية إيمانية: مثل اليقين والتقوى والإحسان والإخلاص وغيرها، والأعمال الظاهرية لا تقبل إلا بقدر قوة الأعمال الباطنية القلبية، فعلى قدر اليقين والإخلاص تقبل الأعمال، مثل قارئ القرآن باليقين والإخلاص يقال له كما جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا" رواه أبو داود (١)، والآخر: "وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ"، رواه مسلم (٢) لأنه بدون اليقين والإخلاص.

وهذه الدعوة المباركة على رأس كل مكلف من أمة النبي ﷺ ، ولكن حتى يتحمل الإنسان هذا الجهد فلا بد من التربية والتدرج، ولا بد من التعاهد والملاحظة، حتى تأتي الثمرة، فهنا الإنسان مثل الأرض - كما قلنا - ولا بد للأرض أن تنبت حتى يظهر الجهد والنتيجة، لذلك الدين مثل الشجرة، أي شجرة الدين بفوائدها ومنافعها، وهي لا تنبت إلا بالهدوء، والدين في حياتنا لا بد أن يأتي بالهدوء، فهنا ننظر إلى أول شيء تحتاجه الشجرة التربة، فلا بد لهذه التربة أن تهيأ حتى تستقبل البذور فنعطئها السبخ حتى تقوى وتشرب الماء لتأخذ كفايتها، وتكون الأرض

(١) سنن أبي داود « كتاب الصلاة » باب تفریع أبواب الوتر « باب استحباب الترتیل فی القراءة .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (مشكاة المصابيح « كتاب العلم ١/٧١).

آنذاك صالحة لاستقبال البذرة، وبعد البذرة نسقيها الماء ثم نعطيها السهاد، ونراعى الزراعة الصيفية والزراعة الشتوية، بعد فترة تبدأ زراعة الأشجار والنخيل في الظهور فيظهر أول شيء الساق، ثم أغصان ومنها أوراق، وبعد ذلك ثمار الفاكهة المتنوعة، هكذا شجرة الدين التي تكون بنية الجهد لنشر دين الله تَعَالَى، فالأرض هي قلوب ونفوس وعقول المسلمين، فلا بد من تهيئة تلك الأرض بالزيارات ونشر- المحبة ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم، والماء هو حلقات التعليم، والسهاد هو التضحية بالنفس والأموال والعواطف والجو المناسب لشجرة الدين هو الدعاء والبكاء أم الله تَعَالَى والتوجه إليه، ثم يأتي الجذر من أسفل والساق من أعلى، فالجذر هو كلمة التوحيد والإيمان، والساق هي العبادات وهي أركان الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج، وأما الأغصان والأوراق فهي المعاملات والمعاملات وفيها الصدق وحفظ اللسان وغض البصر وغيره، ثم تأتي الثمار والفاكهة التي نتلذذ بها وهي الإخلاص، فهنا تأتي شجرة الدين وفيها يكون الدين الكامل في حياتنا فتكون حياة إسلامية كاملة.

فالإخلاص في هذا الجهد أن ننفي أنفسنا، فلو هدى الله على أيدينا الناس فلا ننسب ذلك لأنفسنا مِنْ الله تَعَالَى، جعلني فيه سببا ليأجرني فيه الله سبحانه تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (١)، وجزاء العمل في تلك التجارة بالإخلاص هو: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٢)، فهل بعد تلك المكانة الرفيعة من مكانة، ففيها لا يبلى الثياب ولا يفنى الشباب،

(١) سورة النحل - الآية ٥٣ .

(٢) سورة الصف - الآية ١٢ .

ولا ينفد النعيم، ثم يقول سبحانه: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (١)، فهنا في العاجلة النصر والفتح في الدنيا، وما النصر الحقيقية إلا إعلاء كلمة الله تعالى، والفتح فهو فتح القلوب، لأن البلاد تأتي بطبيعة الحال تبعا لذلك .

ولو نظرنا في نظام الحكومات، لوجدنا النظام، وهذا النظام ليس من كمال الإنسان لأن النحل عندهم الملكة، والجنود والشغالات، وهناك عمل دائب، صنع النحل وبناء الخلايا وتجهيز غذاء الملكات، وكيف يطير النحل بعيدا لأخذ رحيق الشمار والورود؟ والنحلة التي تأتي برحيق غير طيب، يأتي الجلادون بين يدي الملكة ويقتلون، وعندهم أيضا الانتخاب فالأصلح هو الذي يتصدر أو يمسك الملك والكل يعم .

في نظام الحكومة والسياسة بسبب عدم الفهم يأتي من يقول: (أنا خير من يمثلكم)، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٢).

وإذا نجح يأتي فيه العجب والكبر، وهذا العجب بين الديوك حينها يدخلونها معركة، فالديك الذي يفوز يرفع عنقه، ويعجب بنفسه، ويفرد جناحه، ويمشى متبخرًا، ويظن أنه أكبر من كل شيء، كما يتصور الإنسان أنه بتشديد نسان أن يعمل عملا ما فلا بد أن يتفكر في النتيجة مثل المسافر، فهو يعين المكان ثم يتفكر في الوسيلة التي تقله، جهد الدين والدعوة جهد كل مسلم ، ولكن لابد من أن نعين المقصد وهو طلب رضا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

(١) سورة الصف _ الآية ١٣ .

(٢) سورة النجم _ الآية ٣٢ .

(١)، ولكن كيف نتحصل على مرضاته سبحانه وتعالى؟ الله تعالى اختار لنا طريقاً أخبر بها فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢)، اختار لنا الدين على طريق الرسول ﷺ، كيف تكون حياتنا حياة إسلامية صحيحة؟ كل الأمور التي نقوم بها في حياتنا تكون حسب أوامر الله تعالى وطريق النبي ﷺ، إذا تحقق فينا هذا في أكلنا وشرابنا وزواجنا وشغلنا فكل هذا يكون ديناً، كيف يتحقق هذا فينا وفي أزواجنا وأهلينا وجميع العالم؟ .

الذي يخرج في سبيل الله تعالى ونيته غير سليمة، وعندما يخرج ويجهده الله تعالى يعطيه الإخلاص ويصح نيته، فلا بد من المراقبة للنية، مع الاستمرار في التضحية، ونخاف على أنفسنا، ونخاف على نيتنا أن تتغير، لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام خاف من ذلك ودعا ربه وسأله ألا يعبد هو وبنوه الأصنام فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣).

وأخيراً: نختتم باب الإخلاص: بقول الحق ﷻ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١)

إن لم يكن الله فعلك خالصاً فكل بناء قد بنيت خراباً

(١) سورة التوبة – الآية ٧٢.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٩.

(٣) سورة إبراهيم – الآية ٣٥ .

(١) سورة يونس – الآية ٦١ .

الإكرام وحسن الخلق | الإخلاص وتصحيح النية | الدعوة إلى الله

الصفة السادسة

الدعوة إلى الله



إشراقه قدسية

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِيهِ يَخَاطَبُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَحِبُّهُ بِحُبِّكَ، قَالَ: يَا دَاوُدُ، أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ نَقِيُّ الْقَلْبِ، نَقِيُّ الْكَفَّيْنِ، لَا يَأْتِي إِلَى أَحَدٍ سُوءًا، وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا يَزُولُ، وَأَحَبُّنِي وَأَحَبُّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَحَبَّبَنِي إِلَى عِبَادِي، قَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَحِبُّكَ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ، فَكَيْفَ أُحِبُّكَ إِلَى عِبَادِكَ؟ قَالَ: ذَكَرَهُمْ بِآيَاتِي وَبِآلَائِي وَنِعْمَائِي، يَا دَاوُدُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا أَوْ يَمْشِي مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ إِلَّا أَثْبَتُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ " .. رواه البيهقي وابن عساكر [حديث قدسي].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدعوة إلى الله

تمهيد

كان أوائل هذه الأمة معروفين بالجهد للدين، حتى تخلل هذا الجهد في شرايينهم ودمائهم، حتى أصبحت التضحية بالمال والنفس والوظيفة والأهل والمنصب شيئاً محبوباً لديهم وسهلاً عليهم، وأصبح انقطاعهم عن الجهد لإقامة الدين ولو للحظة بسيطة، شيئاً لا يمكن تحمله، ولم تكن دعوتهم فقط بالكتابة والخطابة، ولكن بالتضحيات المتواصلة ترعرعت ونشأت هذه الدعوة من جهدها.

والتضحية هي طريق إبراهيم عليه السلام لحصول معية الخالق لأداء الدعوة المحمدية للإسلام إلى المخلوق بجهد متواصل، وبهذا الجهد خضع نظام الكائنات تحت أقدامهم، وكان خالق الكائنات ينصرهم ويؤيدهم، فالدعوة إلى الله عز وجل هي جوهر امتيازي لهذه الأمة يضمن لها عزها ورفعتها، شريطة أن لا تكون بالطرق الموجودة المخالفة، بل على منهاج النبوة وأسوة الصحابة الكرام رضي الله عنهم،

يعني أن تكون الدعوة بدون مقابل، وعلى صورة النفر الجماعي، كما قام بها أصحاب الدعوة في القرن الأول الهجري (١).

وجهد الدين، ودعوة الدين هي لإصلاح نفوسنا ولتربيتنا أولاً.. لأنه إذا لم تصلح نفوسنا ولم نتربى تربية إيمانية، لا نستطيع أن نقوم بالواجب، مثل المريض لا يستطيع أن يقوم بالوظيفة لأنه مريض! المريض لا يقدر على القيام والركوع أو السجود بسبب المرض هكذا الذي ما صلحت نفسه لا يستطيع أن يقوم بالواجب.. ضروري أن نتحصل على قوة.. أول شيء من الفوائد يعود علينا إذا قمنا بالترتيب الصحيح.

لأن الدين والحق أولاً.. قلب المسلم يحمل الحق ويتقبل الحق.
فإذا هو حامل الحق يستطيع أن يعطي للثاني.. أما إذا كان ليس عنده فكيف يعطي للثاني! وفاقد الشيء لا يعطيه (قاعدة).

هكذا الباطل أولاً يخرج منا ومن قلوبنا، ثم يخرج عن العالم.. عندنا باطل موجود.. ما هو الباطل الذي عندنا؟ (هو حب الدنيا)، هذا أكبر باطل! والإنسان يحب الراحة.. راحة النفس! مثلاً إنسان يحب المال فهذا باطل أم حق؟ { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } (٢)، فإذا لم يقم بالمجاهدة ولم يضحى براحة نفسه، فكيف يأتي الحق؟ مثلاً إذا كان الكأس مملوءاً بالماء وأنت أردت أن

(١) الفهم العميق في الدعوة وبيان منهج النبوة في الدعوة (من كلام الشيخ الأنصاري) بقلم المؤلف.

(٢) سورة يونس - الآية ٣٢.

تصب فيه شيئاً آخر.. ممكن؟ لا يمكن.. إن لم تفرغ هذا الكأس أولاً.
أي لابد أن تفرغ منه شيئاً ثم تصب فيه.. هكذا القلب، أولاً يفرغ من هذا
الباطل ثم يأتي فيه الحق.. فإذا الإنسان لم يقم بالحق معناه القلب حامل للباطل
إما راحة النفس أو المال أو أي شيء آخر!.

فالمجاهدة أن يضحى بهذا الشيء، لطاعة الله تعالى يعني يقوم بالطاعة
ويضحى.. فيخرج الباطل من القلب ويأتي الحق ونور الحق كذلك الجهد
بالاستمرار وليس فقط برأيه.. ليس برأي نفسه بل برأي غيره.. مثال، الذي
يريد العلاج فهذا يعالج نفسه بنفسه، فهل هذا ممكن؟ غير ممكن! أنت المريض
وأنت المعالج في نفس الوقت.. سبحان الله.. هذا الإثم! هذا ليس بترتيب.. لا
بد أن يكون المريض شخص والمعالج شخص آخر ينظر إليه ويشخص حالته
ثم يعالجه، فإذا قبل المريض هذه القاعدة سيشفى بإذن الله تعالى.. كل واحد
يمشي برأيه (مريض) غير مهتدي هو ماشي برأيه.. فهذه الأشياء نحن نتعلمها
في سبيل الله حتى يأتي عندنا قبول الحق.. والذي لا يقبل الحق يقبل الباطل هذه
(قاعدة) إما الحق وإما الباطل.. إما الهدى وإما الضلال (فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا
الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (١).

لذلك نحن في هذا السبيل نشجع أنفسنا إلى الحق، فنحن إلى الحق نقبل
بدون التردد، وبدون الملل أو علل.. هذا الجهد لهذا.. نعم هذا الجهد يصلح

نفوسنا.. وجميع الأصول والآداب لا تنطبق إلا بعد إصلاح النفس.. والأصول والآداب تنطبق في الحياة.. متى تنطبق؟ بعد إصلاح النفس... مثال ثوب نريد أن نصبغه عند الصباغ ونريد أن نصبغه بالأحمر فهو أولاً يغسله وينظفه تماماً ثم بعد ذلك يصبغه بهذه الطريقة الثوب يقبل الصباغة، أما إذا كان فيه بعض الأوساخ فهل يقبل الصبغ؟ هكذا الأصول والآداب لا تنطبق إلا بعد إصلاح النفس.. هذه قاعدة كلية.. الحق سهل ولكن مع النفس صعب.. إذا كان الإنسان متبع نفسه لا يقبل الحق.. وإلا الدين يسر لكن مع النفس يكون الدين أصعب شيء! وأصعب شيء قبول الحق مع النفس (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١). مصيبة وهلاك.

فنحن بالاستماع عندما نقوم بهذا الجهد مع المشورة والأصول والآداب مع التضحية.. فأولا نحن نستفيد، يعني نخرج من الهوى إلى الهدى.. وإلا تحت الهوى أي نعيش تحت الهوى.

الصحابة رضوان الله عليهم قاموا بالجهد في أحوال مختلفة، في العسر واليسر والمنشط والمكره والفقر والغنى... الصحابة قبلوا هذه الأشياء يعني تحت الأمر، كما قال قائلهم: عُبَادَةُ بَنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمُنْشَطِ وَالْمُكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا..... إلخ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٢).

(١) سورة يوسف - الآية ٥٣.

(٢) مشكاة المصابيح» كتاب الإمارة والقضاء - رقم الحديث: ٣٦٦٦.

في جميع الأحوال هم تحت الطاعة وتحت الأمر، لأنهم صلحت نفوسهم، " فَاتَّمَّ الْمُؤْمِنُ كَالْجُمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا أَنْقَادَ (١).!! فالجمل يحمل المتاع ويعبر الصحراء .. فهكذا الإنسان يحمل المسؤولية ويعبر الصحراء ليس عنده اعتراض لهذه مسؤولية.

فيعطي ما يجب هذا مطلوب لهذا الجهد..المؤمن يكون عنده طاعة فقط، وهذا يأتي بإصلاح النفس، إذا ما صلحت النفوس بذل المال وبذل النفس تحت الطاعة.. طاعة الله وطاعة الرسول..بذل المال والنفس لا ينحرف ولا يتجاوز، وإذا تجاوز يفيق!! عنده اعتراف بالتقصير.

لذلك نخرج في سبيل الله ونقوم بالجهد مرات ومرات وليس مرة واحدة.. الاستمرار مثل الغذاء والدواء، بالاستمرار حتى يزول المرض وتأتي القوة.. بالغذاء والدواء ! هكذا كل يوم وكل أسبوع وكل شهر وكل سنة.. يوميا أسبوعيا شهريا وسنوياً.. ونقوم بهذا الجهد حتى يأتي الخير..صلاح الناس مثل تنظيف الثياب... بالأعمال الانفرادية والأعمال الاجتماعية. إذا قمنا بالأعمال الانفرادية تأتي الاستقامة وإذا قمنا بالأعمال الاجتماعية تأتي التربية.

والذي لم يقم بالأعمال الاجتماعية فهو شارد.. شارد غير مربوط! وحياته غير مرتبة.

(١) مسند أحمد بن حنبل «مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... «مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ» حَدِيثُ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ... - رقم الحديث: ١٦٨١١.

ولكن بالأعمال الاجتماعية تكون الحياة مرتبة، مثل اللبنة على اللبنة يكون الحائط... بالاستمرار وبالدوام.

الأعمال الاجتماعية هي لترتيب الأعمال الانفرادية (لاستقامتنا) وهذا الشيء يريد ترابط مع العمل وأهل العمل لأن النفوس تتأثر بالمصاحبة (البيئة) إذا كانت البيئة من الصالحين فهو يكون من الصالحين.

هذه الملاحظات تكون ضرورية جداً لأن الدعوة ليست صعبة هي سهلة ولكن مع هذه الأشياء (جهد.. توضيح).

تحتاج النفس إلى الاستعداد فإذا حدث الاستعداد تقوم بالواجب ((هذه حياة شخصية لي)) وتكون تحت الشرع ينظر ما هو الحلال؟ وما هو الحرام؟ وما هو الممنوع؟ وما هو المسنون؟ هذا في الحياة الشخصية ((مأكلاً مشرباً ملبساً.. كل شيء)) ينظر حتى يكون تحت الشرع.. هذا واجب في الحياة الشخصية، والذي ليس عنده خبر يسأل العلماء.. يسأل أهل الخبر.. هل هذا صحيحاً أم ليس بصحيح؟.. إلى أن تكون حياتك الشخصية حسب الشرع.

الحياة العامة الاجتماعية نقوم فيها بالتوضيح.. التوضيح للدين بالنفس والمال.. ونَتَحَرَّك ونُحَرِّك. نُحَرِّك الخير.. نُحَرِّك الإيمان.. بالحلقات بالزيارات باللقاءات بالذاكرات فتأتي قوة جديدة للإيمان.. الإيمان الموروث موجود عندنا.. وهو ضعيف جداً ليس فيه قوة حتى يقيم على الطاعة.. إيمان موروث فلا يقيمنا على الفرائض ولا يجنبنا المحرمات.. صاحب الإيمان الموروث يرى أن

هذا حرام لكن يرتكبه.. عنده إيمان موروث.. فهو يحتاج إلى قوة مثل الدم الجديد من الخارج.. القديم ليس فيه قوة حتى يقوم بالوظيفة فيحتاج إلى دم جديد فيه قوة، عندما تأتي قوة يتحرك.. هكذا الإسلام الجديد بالمجاهدة والقديم بالوراثة.. سهل الاتصال بينهما.. فعنده قوة فيقوم بالواجب وإلا هو جامد مرهون.

كنا في الخارج في أوروبا وكان معنا شاب في المدرسة الثانوية.. بعد عشرين يوما هو يقول لنا أريد مشورة.. يعني أريد أن أكتب رسالة إلى أبي أكتب له فيها بعض الأشياء.. فذكر لنا أنه منذ سنوات يوجد هجران بيني وبين والدي.. لا كلام ولا سلام.. الآن هو تأثر بهذا الشيء وكأن تحرك شيئا في داخله وبدأ يشعر هنا بالتقصير باتجاه أبيه.. هذا مثال.. لأنه كان إيمانه موروث لا يحرك فيه أي شيء.. اليوم هو يتحرك فقلنا له اكتب وأرسل ثم ذكر حكايات هكذا.. هكذا مسائل عائلية.. هكذا كثير من الأشياء وجدنا أن الإيمان الموروث لا يحرك.. ضعيف جداً، بل يحتاج إلى قوة، فإذا أدخلت قوة من الخارج بالمجاهدة فإن الإيمان يتحرك ويحرك الإنسان إلى طاعة الله عز وجل.

عندئذ نحن نستفيد من هذه الدعوة.. كم من التقصيرات في المعاشرات، وفي المعاملات، وفي العبادات، وفي الأخلاقيات موجودة.. ليس عندنا شعور حتى نفهم.. فهذا العمل مثل الدواء.. كيف.. عندما نأخذ الدواء.

جاء في ركبته الألم وقال له الطبيب أنت تأخذ الحبوب، فإن المرض في الركبة

فوصل فائدة الدواء إلى الركبة ليس إلى مكان آخر.. هذا نظام الله تعالى وصل الدواء إلى مكان المرض.. فهكذا هذا العمل فإذا كان الإنسان مبتلى بأي مرض فالدواء يشفي هذا المرض بإذن الله تعالى.

هكذا..عندي تقصير في كذا وكذا..هكذا نخرج للعلاج، نقوم بالجهد في هذا العمل بالقلب والقالب.. لأن هذا القلب إذا كان غير مقبل إذا فهو مقصر! القلب ليس مقبل فهو مقصر فيتقلب لأن القلب ليس مقبل، فنقبل بالقلب، بعد الاستمرار القلب يقبل.. بدون الاستمرار والدوام القلب لا يقبل! الإنسان لما يقيد جسده فإن القلب يكون مقيد.. مثلاً.. إذا أنت تقوم بالعمل أربعين يوماً فعندها تقرأ القرآن فالقلب يتأثر... الآن صار له علاقة.. وإلا القلب ليس له علاقة لماذا؟ لأنه لم يقيد جسمه! لذلك أولاً نقيّد أجسامنا في الأعمال فيكن للقلب علاقة مع هذا العمل.

لذلك نخرج أربعين يوماً..أربعين يوماً ندعو، أربعين يوماً في مجالس العلم، أربعين يوماً نذكر الله، يوماً خدمة، أربعين يوماً طاعة الأمير، أربعين يوماً نقرأ القرآن.. أربعين يوماً تحت المشورة، يُشير وَيَسْتشير، لا يخالف المشورة.. المجاهدة لإصلاح النفس، فيأتي العلاج.

هذا معنى الخروج فليس معناه إتمام المدة بل إتمام العمل..فهو إتمام المدة مع إتمام العمل.. أربع شهور في العمل (هذه مجاهدة) فيتحرك ويحرك.. تحمل المسؤولية يعني يتحرك ويحرك..الرسول(ﷺ) كان يتحرك ويحرك، يخرج

ويخرج.. شيئان متلازمان بعضهما البعض.

ونقوم ونستقيم على العمل ونقيم الناس على العمل، فنتحرك ونحرك الناس في سبيل الله فيأتي الإيمان الجديد ويخرجنا من هذه الظلمات، مع الطاعة والمشورة والأصول، وليس بدون الأصول في سبيل الله.. وبدون الأصول تكون الفتن، ومع الأصول تكون التربية والترقي، وبدون الأصول فتنة وتفرق.

نتعلم الأصول في سبيل الله ونكون محتاجين ومفتقرين إليها.. فإذا صرنا محتاجين ومفتقرين عندئذ نكون مستفيدين.. وإن كنا غير ذلك فلن نستفيد لأننا غير محتاجين (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) (١).

المحتاج والطالب حالب.. أي مستفيد.. بعد الجهد يصبح الإنسان طالب.. بعد الجهد يفتح عليه المنافع فيصبح قلبه طالب.. وإذا قمنا بالجهد نصبح طالبين.. ((هذه نعمة من الله)) الطلب صادق والرغبة كذلك تكون صادقة.. بالفضائل تتولد فينا الرغبة الصادقة.

على قدر الجهد على قدر التعب يأتي عندنا الطلب الصادق.. والطلب الصادق نعمة من الله، كذلك الجوع نعمة.. كما أن الطعام نعمة فإن الجوع نعمة.. فالتعب نعمة لأن لولاه ما كانت الراحة.. فالذي يتعب يجد طعم الراحة.. الله عز وجل خلق الجنة لماذا؟ (للراحة) فمن الذي يرتاح؟ سوى الذي تعب! تعب في أمر الله تعالى (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ

إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (١). هكذا يقولون أهل الجنة.

"الْغَفُورُ" للتقصير، "الشَّكُورُ" لأنه شاكر يعرف قدر طاعتنا، طاعة العباد عنده خير.. فالذي يقوم بالطاعة يعطى له الأجر.. فالذي يتعب هو الذي يرتاح.. لذلك نتعب في الدنيا لدين الله عز وجل.. يعني نستقيم وننصر دين الله.. ليس ليوم أو يومين بل الحياة كلها.. ولذلك نشجع أنفسنا حتى لا يأتي الكسل ودائمًا نعيش في بيئة صالحة حتى تأتي القوة.. فالدعوة هذه هي السبب في إيجاد البيئة الصالحة.. بيئة فيها إيمان أعمال أخلاق، والذي يعيش فيها هو الذي يستفيد منها.. لذلك نتحرك بأموالنا وأنفسنا.. نبذل النفس، والذي ضحى براحة النفس والمال فإن شاء الله يخرج حب الدنيا من قلبه، والقلب يحمل حب الله ورسوله ويتبع السنة... هكذا في العمل نستفيد وكل يوم نقوم بالأعمال، وبعد الرجوع نقوم بالعمل في البيت في الحارة في البلد... نقيم هذه الأعمال! .

قديمًا كانت البيوت مثل المساجد تقيم أمورنا.. كل شيء من المسجد.. البيت تحت إدارة المسجد... السوق كذلك كل شيء تحت إدارة المسجد... فعن الأصبغ بن نباتة، قال: خَرَجْتُ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى السُّوقِ، فَرَأَى أَهْلَ السُّوقِ وَقَدْ حَازُوا أَمْكَتَهُمْ ، فَقَالَ: " مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا: هَذَا السُّوقُ، وَقَدْ حَازُوا أَمْكَتَهُمْ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَهُمْ، سَوْقُ الْمُسْلِمِينَ كَمْصَلِّ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَبَقَ

إِلَى شَيْءٍ، فَهُوَ لَهُ يَوْمُهُ حَتَّى يَدَعَهُ " (١).

سوق المسلمين كمصلى المصلين لأن فيها الشرع، فيها الأمانة، فيها الأدب، فيها الذكر، فيها تطبيق الوحي.. فيها القرآن يُتلى.. فما هو حال أسواقنا اليوم. مسجد البيت كان معروفاً عند المسلمين حتى المرأة تعتكف في مسجد بيتها.. اليوم مسجد البيت غير معروف.. المطبخ معروف في البيت.. والمسجد غير معروف.. ليس مكان للمسجد في البيوت.

لما تتغير البيئة، إن شاء الله ترجع المساجد للبيوت، فيأتي الخير في جميع الشئون.. يتحرك الناس للدين.. ينتشر الدين في العالم كله.

لذلك نكون جماعة المسجد ونجتهد حول المسجد ثم نحرك الناس حول المسجد.. لغير هذا المكان ثلاثة أيام، أربعين يوماً، أربعة أشهر، كل يوم ساعتين ونصف، لزيارة أهل البيوت المجاورة.

نقيم هذه الأعمال لنصرة الدين، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ: " لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا " (٢).
وَفِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى: لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ (٣).

(١) الأموال لابن زنجويه « كتابُ فتوح الأرضين وسُنَنِهَا وَأَحْكَامُهَا ... » بابٌ : في شِراءِ أَرْضِ الْعُنُوتَةِ الَّتِي أَقْرَأَ... رقم الحديث: ٢٨٣.

(٢) صحيح البخاري « كتاب الجهاد والسير » باب لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ (٢٩١٢)، صحيح مسلم « كتاب الإمارة » باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح (١٣٥٣).

(٣) سنن الترمذي « كتاب السير » باب مَا جَاءَ فِي الْهِجْرَةِ (١٥٩٠).

فبقي الاستنفار والنصرة.. " لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا " (١). هكذا الترتيب في الخروج.. مقصد الحياة ومسؤولية الحياة (٢).

الشيخ عبد الوهاب (حفظه الله) يقول: الذى يقوم الليل ويدعو الناس في النهار الله يعطيه السيادة الروحية.
ويقول أحد مشايخنا في الهند: نحن هنا لترسيخ الأمر الذى خرج من عقول وقلوب المسلمين ونسوا أنهم نسوه .. فأصبح نسيا منسيا، نحن هنا لترسيخ عظمة الله وفكر الآخرة في عقول وقلوب المسلمين.



(١) صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب المبايعة بعد فتح مكة (١٨٦٤). ورواه البخاري عن ابن عباس: (لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا).
(٢) من بيان للشيخ إبراهيم كجرات.

الآيات التي تحث على الدعوة

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦).

(١) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٤) سورة التوبة - الآية ٧١ .

(٥) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٦) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (١)

الدعوة إلى الله (عز وجل)

هي عبارة عن رد الشاردين من عبیده الآبقين عن طاعته سبحانه وتعالى إلى طاعته، فالله ﷻ ربنا وسيدنا وولي نعمتنا وولي أمرنا، ونحن عبیده، فقد يابق من يابق منا، ويشكر من يشكر، لعوامل كثيرة، ومن أظهرها أن هناك عدواً لله، كاشف الله بالعداوة وصارحه بها، وأقسم بربنا أن يضل عبیده ويغويهم ما أمكنه الإضلال والإغواء، فلا يشعر عبد الله إلا وقد أسر وأخذ، فترك خدمة سيده، وأصبح يخدم عدوه، تمرد على طاعة مولاه، وأصبح عبداً طيعاً يعبد ويخدم عدو الله، فالوساطة في هذا الشأن من أفضل الأعمال، أن يراك ربك تتوسط بينه وبين عبیده الشاردين العاصين المتمردين فتردهم إليه واحداً واحداً وجماعة بعد أخرى.. فلهذا شرف الدعوة إلى الله شرف عظيم (٢).

وتنقسم إلى قسمين:

(١) الدعوة إلى الله: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣)، وهي الكلام عن الله (عز وجل) وذلك ببيان قدرة الله وعظمة الله ونعمه وآلاءه وبره وإحسانه وكرمه وجوده.

(١) سورة العصر – الآيات من ١ : ٣ .

(٢) الشيخ أبو بكر جابر الجزائري.

(٣) سورة القصص – الآية ٨٧.

(٢) والدعوة إلى السُّبُل الموصلة إلى مرضاة الله: وهي العبودية الكاملة لله تعالى: من عبادات ومعاملات ومعاشرات وأخلاق ودعوة إلى الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

مقصد جهد الدعوة إلى الله (عز وجل)

إحياء الدين كله في العالم كله إلى قيام الساعة ومع ذلك ننوي رضا الله سبحانه وتعالى: قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَمْرُ الْبَالْمَبُورِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): إذا أراد الإنسان أن يعمل عملاً ما، فلا بد أن يتفكر في النتيجة مثل المسافر، فهو يعين المكان ثم يتفكر في الوسيلة التي تقله، فجهد الدين والدعوة جهد كل مسلم، ولكن لا بد من أن نعين المقصد وهو طلب رضا الله تعالى، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٢).

ولكن كيف نتحصل على مرضاته سبحانه وتعالى؟

الله تعالى اختار لنا طريقاً أخبر بها: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٣)، اختار لنا الدين على طريق الرسول ﷺ، كيف تكون حياتنا حياة إسلامية صحيحة؟ كل الأمور التي نقوم بها في حياتنا تكون حسب أوامر الله تعالى وطريق النبي ﷺ، إذا تحقق فينا هذا في أكلنا وشربنا وزواجنا وشغلنا فكل هذا يكون

(١) سورة النحل - الآية ١٢٥.

(٢) سورة التوبة - الآية ٧٢.

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٩.

ديننا، كيف يتحقق هذا فينا وفي أزواجنا وأهلينا وجميع العالم ؟. لذلك يجب من الحركة في كل مكان في مدينتنا وباقي المدن والبلدان، حتى يصير الناس على أقل تقدير مصلين، ثم بالجهد - إن شاء الله تَعَالَى - يأتي في حياتهم الدين الكامل.

ولابد أن يكون مقصدنا كمقصد الصحابة رضي الله عَنْهُمْ ، فهموا أن الدين نزل لهم وهم العرب، باللغة العربية دستور القرآن، على نبي عربي، وكلفهم الله من فوق سبع سموات، لذلك لابد أن نجتهد للدعوة ونضحي لها، ولكن مقصد الدعوة إلى الله تَعَالَى، هو إحياء الدين كله في العالم كله إلى يوم القيامة، ولكن الدين لا ينتشر فجأة، بل بهدوء مثل الشجرة فهي لا تخرج فجأة بل جذور، ثم ساق وأغصان وأوراق، وقبل هذا إصلاح التربة وسقى الماء، الله تَعَالَى أرى رسوله ﷺ خزائنه، وأعطاه مفاتيحها وهي الصلاة فقال (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) (١)، فالصحابة التزموا الصلاة، واستعانوا بربهم فاستجاب لهم، والصلاة سبب استفادة من قدرة الله تَعَالَى وخزائنه، مثل الزراعة للاستفادة من خيرات التربة.

الرسول ﷺ علم الصحابة رضي الله عَنْهُمْ فأصبح عندهم خمسة أشياء فيها القوة بالإخلاص وهي: إيمانيات، عبادات، معاشرات، معاملات، أخلاق. ولا بد من وضع النية الراسخة الجازمة أن حياتنا كلها تكون للدعوة، وفي

(١) سورة البقرة - الآية ٤٥.

النية أن تكون هذه الأمة مشغولة في الدعوة إلى آخر العمر وإلى يوم القيامة، ولما نقوم للدعوة نقوم بالهدوء، ونتصبر للمدد الطويلة، فنعتاد أعمال الإيمان، ولما نخرج أربعة أشهر أو ثلاثة أو شهرين، الباقي في جهد المقام، ثم نوبة في الأهل ونوبة في الدين للدعوة، حتى نصل إلى النصف من الرجال يخرجون في سبيل الله تَعَالَى، والنصف في الأعمال والأشغال الدنيوية، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لَحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَالَ: "لَيَنْبَعَثَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالْآخَرُ بَيْنَهُمَا" رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

وعلينا أن نجتهد على أنفسنا وعلى الناس حتى يأتي فينا الإيمان والعمل الصالح، فيراعى أمر الله تَعَالَى، الغنى يعطى حقوق الفقير، والفقير يعف ولا يسأل إلا الله تَعَالَى، أنه سمع في حلقة التعليم عن فضل التعفف وعدم سؤال الناس شيئاً.

وأن ندعو إلى الله ونخرج في سبيله، بالنفس والوقت والمال الحلال، وذلك لإصلاح أنفسنا ولتذكير إخواننا المسلمين، وحتى لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ ولا شعرٍ إلا ويدخله هذا الدين. إ.هـ.

قال الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله) : للجماعة الخارجة خارج الهند: أنتم تخرجون إلى خارج البلاد لإصلاح ما بالداخل، ثم أضاف قائلاً: نجتهد بالدعوة في النهار ونجتهد بالدعاء والتضرع بالليل يأتي نور الهداية، ومن يجتهد

(١) صحيح مسلم « كتاب الإمارة - حديث رقم: (١٨٩٦).

في النهار ولا يتضرع إلى الله في الليل يخاف عليه أن يصيبه الكبر لأن عدم الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه يدل على أن الداعي يتكل على نفسه وجهده .

وإن كان الدعاء بالتضرع إلى الله سبحانه في الليل وليس هناك جهد بالنهار فقد خالف الداعي سنة الله سبحانه وتعالى، مثل هذا الداعي كمثّل من يريد الأولاد ولم يتزوج ويسأل الله أن يرزقه الأولاد، رغم أن الله سبحانه قادر على هذا ولكنه ليس من سنة الله سبحانه في الخلق.

إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزق الأولاد بخلاف الأسباب وبدون الأسباب كمثّل سيدنا آدم (عليه السلام) خلقه الله من لا شيء، وسيدنا عيسى عليه السلام خلقه بخلاف الأسباب من أم بلا أب وهذا بقدرته ولكنه جعل سنة خلق الناس إلى يوم القيامة أن يتزوج الناس، وهكذا الهداية سنة الله سبحانه فيها هي الجهد والدعاء إلى يوم القيامة.

ولا بد أن نفهم أن أول ما نزل على النبي ﷺ أمر الدعوة، ثم أمر قيام الليل وهذه الأسس قام عليها الدين، ولذا وظيفة الداعي المجاهدة في النهار وفي الليل، والذي يجتهد في الليل والنهار الله يعطيه قوة في روحه وعقله وجسده، وبقوة الروح يسحب الداعي الناس إلى أوامر الله. إ.هـ.



الأمر بالدعوة إلى الله (عز وجل)

(١) الأدلة من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).
قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: هذه الآية اشتملت على التكليف بثلاثة أشياء، أولها: الدعوة إلى الخير ثم الأمر بالمعروف، ثم النهي عن المنكر، ولأجل العطف يجب كون هذه الثلاثة متغايرة، فنقول: أما الدعوة إلى الخير فأفضلها الدعوة إلى إثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات وإنما قلنا إن الدعوة إلى الخير تشتمل على ما ذكرنا لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٣).

إذا عرفت هذا فنقول: الدعوة إلى الخير جنس تحتها نوعان: أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي وهو بالمعروف. والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس أولاً ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان. اهـ.
ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه عليه السلام كان إذا خرج إلى الغزو لم يتخلف عنه إلا منافق أو صاحب عذر.

(١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

(٢) سورة النحل - الآية ١٢٥.

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٨.

فَلَمَّا بَالَغَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي عُيُوبِ الْمُتَافِقِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: وَاللَّهِ لَا نَتَخَلَّفُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ مَعَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَا عَنْ سَرِيَّةٍ .
فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْمَدِينَةَ، وَأَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَى الْكُفَّارِ، نَفَرَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا إِلَى الْغَزْوِ وَتَرَكُوهُ وَحْدَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْفِرُوا بِكُلِّيَّتِهِمْ إِلَى الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَصِيرُوا طَائِفَتَيْنِ؛ تَبْقَى طَائِفَةٌ فِي خِدْمَةِ الرَّسُولِ، وَتَنْفِرُ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى الْغَزْوِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ وَقَهْرِ الْكُفْرِ، وَأَيْضًا كَانَتْ التَّكَالِيفُ تَحْدُثُ وَالشَّرَائِعُ تَنْزِلُ، وَكَانَ بِالْمُسْلِمِينَ حَاجَةٌ إِلَى مَنْ يَكُونُ مُقِيمًا بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَيَتَعَلَّمُ تِلْكَ الشَّرَائِعَ، وَيَحْفَظُ تِلْكَ التَّكَالِيفَ وَيُبَلِّغُهَا إِلَى الْغَائِبِينَ، فَثَبَّتَ أَنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْوَاجِبُ انْقِسَامَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قِسْمَيْنِ؛ أَحَدُ الْقِسْمَيْنِ يَنْفِرُونَ إِلَى الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ، وَالثَّانِي: يَكُونُونَ مُقِيمِينَ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ، فَالطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ إِلَى الْغَزْوِ يَكُونُونَ نَائِبِينَ عَنِ الْمُقِيمِينَ فِي الْغَزْوِ، وَالطَّائِفَةُ الْمُقِيمَةُ يَكُونُونَ نَائِبِينَ عَنِ النَّافِرِينَ فِي التَّفَقُّهِ، وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَتِمُّ أَمْرُ الدِّينِ بِهَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ .

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ احْتِمَالَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ الطَّائِفَةُ الْمُقِيمَةُ هُمُ الَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَمَّا لَازَمُوا خِدْمَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَشَاهَدُوا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فَكُلَّمَا نَزَلَ تَكْلِيفٌ وَحَدَّثَ شَرْعٌ عَرَفُوهُ وَضَبَطُوهُ، فَإِذَا رَجَعَتِ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ مِنَ الْغَزْوِ إِلَيْهِمْ، فَالطَّائِفَةُ

الْمُقِيمَةُ يُنْذِرُونَهُمْ مَا تَعْلَمُونَهُ مِنَ التَّكَالِيفِ وَالشَّرَائِعِ، وَبِهَذَا التَّفْرِيرِ فَلَا بُدَّ فِي الْآيَةِ مِنْ إِضْهَارِ، وَالتَّقْدِيرِ: فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ وَأَقَامَتْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُ الْمُقِيمُونَ فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ، يَعْنِي النَّافِرِينَ إِلَى الْغَزْوِ، إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ مَعَاصِيَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ التَّعَلُّمِ.

وَالْإِحْتِمَالُ الثَّانِي: هُوَ أَنَّ يُقَالَ: التَّفَقُّهُ صِفَةٌ لِلطَّائِفَةِ النَّافِرَةِ وَهَذَا قَوْلُ الْحُسَيْنِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ حَتَّى تَصِيرَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ فُقَهَاءَ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ التَّفَقُّهُ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُمْ يُشَاهِدُونَ ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ الْعِدَّةَ الْقَلِيلَ مِنْهُمْ يَغْلِبُونَ الْعَالَمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهُمْ بِالنُّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ وَأَنَّهُ تَعَالَى يُرِيدُ إِعْلَاءَ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَقْوِيَةَ شَرِيعَتِهِ، فَإِذَا رَجَعُوا مِنْ ذَلِكَ النَّفَرِ إِلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ أَنْذَرُوهُمْ بِمَا شَاهَدُوا مِنْ دَلَائِلِ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَالظَّفَرِ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ، فَيَتْرَكُوا الْكُفْرَ وَالشَّكَّ وَالنِّفَاقَ، فَهَذَا الْقَوْلُ أَيْضًا مُحْتَمَلٌ، وَطَعَنَ الْقَاضِي فِي هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: لِأَنَّ هَذَا الْحَسَّ لَا يُعَدُّ فَقْهًا فِي الدِّينِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ عَنْهُ بِأَنَّهُمْ إِذَا شَاهَدُوا أَنَّ الْقَوْمَ الْقَلِيلَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ سِلَاحٌ وَلَا زَادٌ يَغْلِبُونَ الْجَمْعَ الْعَظِيمَ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَثُرَ زَادُهُمْ وَسِلَاحُهُمْ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ، فَحِينَئِذٍ انْتَبَهُوا لِمَا هُوَ الْمُقْصُودُ وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ مِنَ الْبَشَرِ، إِذْ لَوْ كَانَ مِنَ الْبَشَرِ لَمَا غَلَبَ الْقَلِيلُ الْكَثِيرَ، وَلَمَّا بَقِيَ هَذَا الدِّينُ فِي التَّزَايِدِ وَالتَّصَاعُدِ كُلِّ يَوْمٍ، فَالْتَبَهُ لِقَهُمْ هَذِهِ الدَّقَائِقُ وَاللَّطَائِفُ لَا شَكَّ أَنَّهُ تَفَقَّهُ.

وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُقْصُودُ مِنَ التَّفَقُّهِ وَالتَّعَلُّمِ دَعْوَةُ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَإِرْشَادُهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، لِأَجْلِ أَنَّهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْذَرُوهُمْ بِالْأَمْرِ الْحَقِّ، وَأُولَئِكَ يَحْذَرُونَ الْجَهْلَ وَالْمَعْصِيَةَ وَيَرْغَبُونَ فِي قَبُولِ الدِّينِ.

فَكُلُّ مَنْ تَفَقَّهَ وَتَعَلَّمَ هَذَا الْغَرَضِ كَانَ عَلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ وَطَلَبَ الدُّنْيَا بِالْأَمْرِ كَانَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١).

٢) الأدلة من السنة النبوية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي .

وفي رواية بلفظ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ » (١).

وعن زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ، زَوْجِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا فَرِيعًا، مُحَمَّرًا وَجْهَهُ، يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيُلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ. فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ" وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ، وَالتَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْحَبْتُ. متفق عليه.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يُلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى قَوْلِهِ فَاسْقُوتُونَ) ثُمَّ قَالَ: "كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرَّنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرَنَّ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا" وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ (ﷺ) بِنَحْوِهِ زَادَ: "أَوْ لِيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ" (٢).

(١) رياض الصالحين - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٢) سنن أبي داود « كتاب الملاحم » باب الأمر والنهي - رقم ٤٣٣٦ .

وَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (١).

وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ " (٢).



الدعوة والإيمان

هناك فاصل زمني طويل بين الإيمان ونزول الأحكام، وليس هناك فاصل بين الإيمان والدعوة؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء للدعوة إلى الله. وكان كل نبي يُعَلِّمُ أُمَّتَهُ بعد الإيمان بالأحكام، ولكن الله عز وجل بعد بعثة محمد (ﷺ) أمره أَنْ يُعَلِّمَ أُمَّتَهُ بعد الإيمان بالدعوة إلى الدين، ثم علَّمَهُمْ فيما بعد أحكام الدين في المدينة؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء لنشر الدين في العالم.



(١) صحيح البخاري – رقم ١٢ .

(٢) متفق عليه.

حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ (رَحِمَهُ اللَّهُ) فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٢٠) :
فَالدَّعْوَةُ وَالْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِغَايَةِ الْحُبِّ لِلَّهِ وَغَايَةِ الذُّلِّ لَهُ فَمَنْ ذَلَّ لَهُ مِنْ غَيْرِ
حُبٍّ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا بَلْ يَكُونُ هُوَ الْمُحْبُوبَ الْمُطْلَقَ ؛ فَلَا يُحِبُّ شَيْئًا إِلَّا لَهُ وَمَنْ
أَشْرَكَ غَيْرَهُ فِي هَذَا وَهَذَا لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَقِيقَةَ الْحُبِّ فَهُوَ مُشْرِكٌ ؛ وَإِشْرَاكُهُ يُوجِبُ
نَقْصَ الْحَقِيقَةِ . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ } الْآيَةُ .

وَالْحُبُّ يُوجِبُ الذُّلَّ وَالطَّاعَةَ وَالْإِسْلَامَ : أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ فَمَنْ
اسْتَسْلِمَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ وَكِلَاهُمَا ضِدُّ الْإِسْلَامِ .
وَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَتَحْقِيقِ هَذَا تَحْقِيقُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ .
وَمِنْ الْمَحَبَّةِ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ؛ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ
بِتَصْدِيقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَطَاعَتِهِمْ بِمَا أَمَرُوا بِهِ فَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى وَمَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَمِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ النَّهْيُ عَنْهُ وَمِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ
أَنْ يَفْعَلَ الْعَبْدُ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَتْرُكَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ
وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ (ﷺ) مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَمِنْ
سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ ؛ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَحَبَّ إِلَيْهِ بِمَا سِوَاهُمَا .

وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ (ﷺ) وَهُمْ أُمَّتُهُ وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ

بَذَلِكْ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) فَهَذِهِ فِي حَقِّهِ (ﷺ) وَفِي حَقِّهِمْ قَوْلُهُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٣). وَهَذَا الْوَاجِبُ وَاجِبٌ عَلَى مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ: وَهُوَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ يَسْقُطُ عَنِ الْبَعْضِ بِالْبَعْضِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤)، فَجَمِيعُ الْأُمَّةِ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي الدَّعْوَةِ: فَبِهَذَا إِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَالْوَجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُحِبَّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: وَأَنْ يُبْغِضَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَلَا يَجُوزُ

(١) سورة الأعراف - الآية ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١١٠.

(٣) سورة التوبة - الآية ٧١ .

(٤) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ الْأَصْلَ فِي الدِّينِ لِشَخْصٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَقُولَ إِلَّا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١).

وسئل الشيخ ابن باز (رحمه الله): نود من ساحتكم أن تبينوا لنا حكم الدعوة إلى الله عز وجل وأوجه الفضل فيها؟ .

فقال: أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وأنها من الفرائض.

والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

ومنها قوله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٤).
ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥).

فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر والواجب كما هو معلوم هو اتباعه والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام كما

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية «أصول الفقه.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

(٣) سورة النحل - الآية ١٢٥.

(٤) سورة القصص - الآية ٨٧.

(٥) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار
التي يقوم فيها الدعاة.

فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض
كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقي ذلك الواجب وصارت الدعوة في
حق الباقي سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً.

وإذا لم يقيم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم
عاماً وصار الواجب على الجميع وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته
وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم
بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله
عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول (ﷺ) قد بعث الدعاة وأرسل الكتب إلى
الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل (٢).

قال الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن منزلة الفرائض أعلى بكثير
من درجة النوافل بل نعتقد أن المقصود من النوافل هو تكملة الفرائض أو

(١) سورة الأحزاب - الآية ٢١.

(٢) حوار عكاظ مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - مجموع فتاوى
ومقالات متنوعة الجزء الخامس.

تلافي النقائص التي تحصل في تأدية الفرائض، فالمقصود أن الفرائض أصلٌ توابعها وفروعها.

ولكن أحوال بعض الناس أنهم لا يهتمون في الفرائض وينشغلون باهتمام كبير في النوافل.

فكما أنكم تعلمون أن الدعوة إلى الخير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقصودي أن جميع شعب التبليغ من أهم الفرائض، ولكن كم عدد الذين يؤدون هذه الفريضة ؟، وأما المشتغلين والمنهمكين في (الأعمال أو العبادات) والأذكار النفلية ليسوا بقليل.

وقال الشيخ عبد الوهاب (أمير الدعوة بباكستان): وقد سُئل يوما عن الدعوة هل هي فرض ؟. فقال: لو قلت أن الدعوة فرض فقد ظلمتها، فإنها أم الفرائض بحياتها تحيا كل الفرائض وبموتها تموت كل الفرائض في الأمة.. فهي مثل الأم: لو موجودة يوجد الأبناء ويكونون في أحسن حال.. ولكن لو ماتت الأم لتغير حال الأولاد من الأحسن إلى الأسوأ.

وتكلم يوما فقال: للأسف نحن اليوم نجلس نستغفر الله من الذنوب والمعاصي التي ارتكبتها، ونسينا أن نستغفر الله من المعصية الكبرى وهي ترك الدعوة إلى الله، التي بسبب تركها ظهرت الكبائر والفواحش في أمة النبي (ﷺ) (١).

(١) كتاب فرضية الدعوة إلى الله (من أقوال الشيخ عبد الوهاب) ص ٤ .

الدعوة إلى الله وظيفه الرسول وأمته

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن وظيفة الرسول العربي (ﷺ) واضحة من آية: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

وكذلك من آية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢)، فوظيفة الرسول (ﷺ) وظيفه أمته تتضح من هاتين الآيتين المباركتين، بالإضافة إلى كثير من الآيات الأخرى التي تؤكد نفس الموضوع وتوضح نفس المطلوب، فمن اتبع الرسول ودعا الناس إلى الله وعمل صالحا فهو أحسن الناس وأعظمهم، والأمة التي أخرجت للناس تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، هي خير أمة أخرجت لجميع الأمم التي عرفتها البشرية .

ولن تكون الدعوة مباركة ولا الأعمال صالحة إلا باتباع الطريق الذي اختاره النبي (ﷺ) بإذن ربه، ولا يمكن هذا الإتيان إلا بالاطلاع على الأحكام الإلهية ومتطلباتها ومقتضياتها في ضوء الكتاب والسنة، ولا يتم ذلك إلا بتحصيل (العلم الأساسي) ولذلك يجب تحصيل العلم بأساسيات الدين على جميع أفراد الأمة .

حيث إن العلم وسيلة إلى الإيمان الصحيح، والعلم مع الإيمان الصحيح يؤدي إلى بناء مجتمع راق سليم ومتقدم، يضمن الأمن والاستقرار والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

(١) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

كان هذا هو المغزى الأساسي لقول سيد المرسلين وخاتم النبيين (ﷺ)، حين أعلن فرضية تحصيل العلم على كل مسلم ومسلمة، ورفض المجتمع الذي كان يخيم عليه الجهل، وعزم على بناء مجتمع متعلم راق يقود البشرية ويدعوها إلى الخير، ويعلمها طرق الفلاح والسعادة الأبدية.

شروط يجب أن تتوفر في الداعي إلى الله

- ١) الإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى: أن تخرج من حظوظ نفسك ومن إرادة غير الله، لا تدعو لتحصل على مال، ولا لتحصل على جاه، ولا شرف ولا صيت ولا ذكر، هذه كلها معوقات وأهلها منجرفون معها، الداعي حسبته شرفاً أن أصبح - كما قدمنا - واسطة بين الله وعباده، لا هم له إلا إرضاء مولاه فقط، أما أن يرائي في دعوته حتى يصبح يدعو إلى النقيض لنفسه فقد هلك.
- فلا بد من الإخلاص والتجرد، وليس هذا بالمستحيل ولا بالصعب؛ فإن الله ما كلفنا المستحيل ولا كلفنا شاقاً؛ بل التكاليف كلها وإن كانت من الكلفة والمشقة، ولكنها ميسورة وسهلة لمن استعان الله عز وجل، وطلب أن يعينه.
- ٢) الحكمة في الدعوة إلى الله: فالداعي ينبغي أن يكون مشبعاً بروح الحكمة، والحكمة قد تكون في بدنك، لا تقل: لا بد من قراءة بقراط وسقراط وفن الأولين، الحكمة مودعة في الصمت، من لازم الصمت أجرى الله على لسانه الحكمة، والحكمة ثمرة التقوى.

٣) اليقين والعلم: فالعلم الحق هو الذي يغير نظريات الإنسان ومجرى سلوكه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)، حتى قالوا: العلم الخشية، فمتى وجدت الخشية فالعلم حاضر، وهو كذلك والله العظيم، لو وجدت الأمي ترتعد فرائضه من خشية الله؛ يخشى أن ينظر نظرة لا ترضي الله، أو يعمل شيئاً يسخط الله، فاعلم أنه هو العالم، عرف أيقن بوجود الله وجماله وكماله، وما لديه وما عنده، وترى الرجل يتلو ما يتلو ويقرر ما يقرر ويتصرف في معارف العلوم ويمحو ويكتب، وهو لا يستطيع أن يضبط نفسه ساعة، وتراه كاهمل في المعاصي والموبقات، فهل هذا عالم؟ ما علم، علمه سطحي، ما هو بيقيني.

أيام كان يطلب العلم لله، ويعكف عليه طالبه، يجلسون عليه السنين لا يضطر للإجابة، إذ هم فقط يتعلمون ليعرفوا الله ويذكروه، ليستقيموا على المنهج الذي يعبدونه به، فلما أصبح التعليم شهادات تصل بالطالب إلى وظيفة، من هنا أصبح العلم -يقيناً- علوماً سطحية في آذان المسلمين، ما تعمقت ولا توصلت إلى وجدانهم، وإن رأيت أناساً صالحين فاعلم أنهم ما أخذوا هذا من العلم، أخذوه من المجاورة أو التربية أو المجالسة لأبائهم أو مشايخهم، أما العلم الذي تلقوه فما ينتج خشية ولا يولد التقوى؛ لعله معروفة: فعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ

(١) سورة البقرة - الآية ١٧٨.

وَرَسُولِهِ فَهَجَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ. " (١)، لو تجتمع الدنيا كلها على نقض هذه القاعدة والله ما نقضوها، ولم يختلف الأمر أبداً: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى).

فإذا كنا نطلب العلم للوظيفة فعلى العلم السلام، وعلى العمل كذلك السلام؛ لأننا أصبحنا ما نعبد الله بهذا العلم، وإذا هان هذا في الذكران فما بالنا في الإناث؟! الإناث يتعلمن ويتسابقن لأي غاية؟ ليعبدن الله؛ لتتمكن الحشية من قلب أمة الله فتخر صارخة إذا ذكر الله؟ اللهم لا، لأي شيء إذن؟ للتيهان والضياع، هل بلغكم أن من المتعلقات المتخرجات في العالم الإسلامي ربانيات كالزهراء وعائشة؟ لا؛ لأن العلم ما طلب لله؛ طلب إما لوظيفة أو لسمعة أو شهرة، وما لم يكن كذلك لا يكمل تقواه.

ومن هنا نقول: بعد العلم اليقين، يجب أن تكون علومنا يقينية، ما ندعو ونحن شاكون في الله، ما نخوف من عذاب الله ونحن غير مطمئنين إلى وجود هذا العذاب، ما نرغب في النعيم العلوي ونحن غير موقنين بأن هناك نعيماً، لا ندعو إلى الإصلاح عن طريق كتاب الله وسنة نبيه ونحن غير موقنين أن الإصلاح من طريقهما، لا بد من مستوى اليقين، كما نقول: أقسم بالله الذي لا

(١) رواه إمام المحدثين: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَةَ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ الْقُشَيْرِيِّ النَّيسَابُورِيِّ فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ (رياض الصالحين - باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأقوال والأحوال البارزة والخفية).

إله غيره، ما كمل إنسان ولا سعد في الدنيا والآخرة إلا على الإيمان وصالح الأعمال، إلا بعد أن يخلص من أضرار الشرك والمعاصي، لن يستطيع أحد أن يقنعنا أن شعباً أو أمة يمكنها أن تكمل أو تسعد على غير الإيمان وصالح الأعمال يقيناً، فلهذا إذا دعوت أنا فإنما أدعو النقيض وهو الشاك، فالذي يدعو وهو شاك ما ينفع، لا بد من اليقين.

فهذه الدعوة لا بد من مراعاة العلم فيها، فالعلم ضروري، فلو أن واحداً قام الآن وقال: معشر المستمعين الكرام! إن هناك مآدبة فاخرة عظيمة، تعالوا، فتشرب أعناقنا ونخرج: أين الوليمة؟ أين المآدبة؟ فيقول: ما أدري، سمعت بها، أين هي؟ ما استطاع أن يأخذ بنا إلى هذه المآدبة، كيف يكون موقفه معنا؟ أضلنا، فتننا وحرنا، فلا بد لمن يدعو إلى وليمة أن يعرف دارها برقمها، بطريقها الأقرب إليها؛ لتكون دعوته دعوة حقيقية نافعة .

أما أن يدعو وهو جاهل فإنه يتعب الناس ويحيرهم، ولا تقولن: ومن أين لنا العلم؟ العلم ميسور، فعن مغيرة قال: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: "بِلِسَانٍ سَوُولٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ" (١).

أي: كثير السؤال، وعقول كثير العقل والضبط.

ولهذا أقول دائماً للمؤمنين في مثل هذه المجالس: لسنا في حاجة ماسة إلى مدارس ومعاهد وكليات أبداً، تلك للصناعات، أما بالنسبة إلى الطريق إلى الله

(١) أخرجه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة ٩٧٠/٢.

والفوز برضا الله فلا نفتقر إلى كل هذا أبداً، اعمل بفأسك ومسحاتك طول النهار، وإذا أردت أن تعبد الله بشيء اسأل العالم: كيف أعمل لربي؟ فإذا قال: افعل كذا فعلت، ولم يحل بينك وبين الفعل الدنيا كلها، وقد ضربنا أمثلة لهذا: عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي (ﷺ): أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: " الصلاة على وقتها "، قلت: ثم أي؟ قال: " بر الوالدين "، قلت: ثم أي؟ قال: " الجهاد في سبيل الله "، قال: حدثني بهن ولو استزدته لرأيتني مُتَّفِقاً على صحته.

فالسائل لا يترك ذلك العمل حتى يموت.. كما جاء عن عمرو بن أوس، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مريضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه، قال: سمعت أم حبيبة، تقول سمعت رسول الله (ﷺ)، يقول: " من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهن بيت في الجنة "، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله (ﷺ)، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة، وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس. (١).

ويسأل أحدهم: رسول الله (ﷺ) كما جاء: عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال سألت رسول الله (ﷺ) أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال قلت له: إن ذلك لعظيم، قال قلت ثم

أَيُّ، قَالَ: " ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَافَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ " قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ، قَالَ: " ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ "؟ (١)، فلا يقرب الذنب حتى يموت.

فعلومنا ومعارفنا الموصلة لأرواحنا، إلى ذلك الكمال لا تفتقر أبداً إلى هذه المدارس والكلليات، وليس هذا تثبيطاً لعزائم الناس، ولكن نقول: ما هي بحاجة أبداً، أصحاب الرسول ﷺ أكثرهم أميون، لم يعرفوا القلم ولم يكتبوا به، لكنهم أصدق هداة الأنام، مصابيح الدجى، أناروا الحياة؛ لأن هذا العلم ما يفتقر إلا إلى الإخلاص والصدق والتطبيق، ليست العلوم معارف فقط تتراكم، وأصحابها والعياذ بالله تعالى مقطوعو الصلة عن الله، لا يربطهم بالله رابط الدعوة تفتقر إلى العلم، من دعا إلى شيء يكون قد علمه وعرفه، هذه المعرفة حتى لا يخوف الناس ويقول: يجب أن تدرسوا وترقوا وتتنقلوا من مدرسة إلى أخرى.

أبداً، اسألوا، تعلموا، تأتى بالرجل وتقول له: أي عبد الله! اقرأ على القرآن، أسمعني كلام الله، فيقرأ آيات فتنبع في نفسك، وتشع أنواره في قلبك، وإذا بك مزدهر النفس مجرد أن تسمع فقط، أما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (١)، سمع وفهم وعرف، إن شاء الهداية اهتدى، وإن رضي بالضلال بقي على ضلاله، فهو السماع فقط.

(١) صحيح مسلم «كتاب الإيمان» باب كَوْنِ الشَّرِّكَ أَفْبَحُ الذُّنُوبِ وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ - رقم الحديث: (٨٦)، سنن أبي داود «كتاب الطلاق» باب فِي تَعْظِيمِ الزَّانَا (٢٣١٠).
(١) سورة التوبة - الآية ٦.

فالذي يعوزنا أو ينقصنا هو الصدق، أما العلوم والمعارف فهي متوفرة والأعمال قلت، فمن هنا أقول: العلم يا من يدعو إلى الله! اعلم ثم ادع، كيف تعلم؟ اسأل، تعلم، جالس الصالحاء والعلماء وتعلم، عرفنا أميين ما قرأوا ولا كتبوا، يقول لك: الآية الفلانية في السورة الفلانية، والله العظيم، ولم يحمل القلم، ولم يعرف الألف ولا الباء.

واحذر من الجهل؛ فإن الجاهل بالشيء لا يستطيع أن يهدي به وهو جاهل به، ولا ينفع أبداً، فلا بد من العلم، وطلب العلم فريضة، ليس على اختياري، كل مؤمن يجب أن يعرف الطريق إلى الله، يعرف محاب الله ومكارهه، يعرف الله أولاً بأسمائه وصفاته، فإذا عرف دعا (١).



(١) من كلام الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (مفرغ من إحدي محاضراته).

ثمرة القيام بعمل الدعوة إلى الله

(١) حصول الخيرية: قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): أَنَّهُ فِي حُجَّةِ حَجَّهَا رَأَى مِنَ النَّاسِ سُرْعَةً فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا . رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ .

وَمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِذَلِكَ أَشَبَّهَ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ [لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] (٢) وَلِهَذَا لَمَّا مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ شَرَعَ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْكِتَابِ وَتَأْنِيهِهِمْ ، فَقَالَ: (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ) أَي: بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ (ﷺ) (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) أَي: قَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ وَالْفُسْقِ وَالْعِصْيَانِ: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١)(٢).

(١) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٩ .

(١) سورة المائدة - الآية ٧٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم « تفسير سورة آل عمران » قوله تعالى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " .

وقال الإمام السعدي (رحمه الله): وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمُسْتَعِدَّةُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ هُمْ خَوَاصُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الْفَائِزُونَ بِالْمَطْلُوبِ، النَّاجُونَ مِنَ الْمَرْهُوبِ. (١).

ومن لطيف ما قاله معالي الشيخ صالح آل الشيخ غفر الله له: قال العلماء: قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان لأن الإيمان بالله قاصر على من آمن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤمن وإيمانه تعدى خيراً فنشر ما آمن به، ولذلك قدّم على سائر المؤمنين (٢).

(٢) حصول الفلاح في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣).

(٣) حصول الرحمة: قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

(٤) حصول الأجر بلا حدود: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)، قالها نوح وقالها هود وقالها صالح

(١) تفسير السعدي « تفسير سورة آل عمران.

(٢) الدعوة إلى الله فضلها وثمراتها لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ [شرط مفرغ على المكتبة الشاملة بشبكة الإنترنت].

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

(١) سورة التوبة - الآية ٧١.

(٢) سورة الشعراء - الآية ١٠٩ .

وقالتها الأنبياء، وقالها خاتمهم محمد (ﷺ): ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١) ، فإذا كان الله هو الذي يُعطي الداعي إلى الله أجر الدلالة عليه فكم يعطي وهو مالك الملك، وقد قال لحبيبه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٢). فلا يعلم أجر الداعي إلا هو سبحانه وتعالى.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». أخرجه مسلم.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ خَيْبَرَ: «انْفُذْ عَلَى رَسُولِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». متفق عليه.

(٥) الحصول على نصره الله: فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى

(١) سورة الشورى - الآية ٢٣ .

(٢) سورة الضحى - الآية ٥ .

وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَلْتَنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». متفق عليه.

٦) بالدعوة إلى الله (عز وجل): يتحصل الداعي الهداية والاستقامة، وزيادة الإيمان، وزيادة العمل الصالح، وحسن العمل، وتنوع العمل، وكثرة العمل، وكمال اليقين.

٧) بالدعوة إلى الله (عز وجل): يتحصل الداعي على العزة: مثل صهييب وبلال وعمار وخباب والمقداد.

٨) الدعوة إلى الله (عز وجل): الله يكرم الداعي إليه بأربع خصال: الْمَحَبَّةُ فِي قُلُوبِ الْبَرَّةِ وَالْهُيْبَةُ فِي قُلُوبِ الْفَجَرَةِ وَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالثِّقَةُ فِي الدِّينِ.

٩) الدعوة إلى الله (عز وجل) سببا لنجاة الأمة من الهلاك: قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ

رَبُّكَ لِيُنْهَكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١﴾ .

جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ بَيَانِ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ بِظُلْمِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ؛
لِلْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمْ جَمَاعَاتٌ وَأَحْزَابٌ أُولُوا بَقِيَّةٍ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْفَضَائِلِ
وَالْقُوَّةِ فِي الْحَقِّ يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ لَمَا فَشَا فِيهِمْ، وَأَفْسَدَهُمْ وَإِذَنْ لَمَا هَلَكُوا، فَإِنَّ
الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْأُمَمَ مِنَ الْهَلَاكِ مَا
دَامُوا يُطَاعُونَ فِيهَا بِحَسَبِ سُنَّةِ اللَّهِ، كَمَا أَنَّ الْأَطِبَّاءَ هُمُ الَّذِينَ يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ
الْأُمَمَ مِنْ فُشُوِّ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْبَةِ فِيهَا، مَا دَامَتِ الْجُمَاهِيرُ تُطِيعُهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ
بِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْوَقَايَةِ قَبْلَ حُدُوثِ الْمَرَضِ، وَمِنْ وَسَائِلِ الْعِلَاجِ وَالتَّداوِي بَعْدَهُ،
فَإِذَا لَمْ يَمْتَثِلِ الْجُمْهُورُ لِأَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ فَعَلَ الْفَسَادُ فَعَلَهُ فِيهِمْ، وَقَدْ فِيهِمُ الْوُعَاظُ
وَالْفُقَهَاءُ مِنْ خَلَفِنَا الْجَاهِلِ مَا كَانَ يَفْهَمُهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ بَرَكَاتِ الصَّالِحِينَ
الْمُتَقَدِّمِينَ وَحَفِظَ اللَّهُ الْأُمَمَ بِهِمْ، فَظَنُّوا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمُ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ
وَقِرَاءَةِ الْأَوْرَادِ وَالْأَحْزَابِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ، وَضَرَبَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ
الْمَثَلَ بِقَوْلِهِ فِي الرَّوَاجِرِ:

لَوْ لَأَنَاسٌ لَهُمْ وَرَدٌّ يَقُومُونَا * * * وَآخِرُونَ لَهُمْ سَرَدٌ يَصُومُونَ

لَدَكْدَكَتْ أَرْضُكُمْ مِنْ تَحْتِكُمْ سِحْرًا * * * فَإِنَّكُمْ قَوْمٌ سَوْءٌ لَا تُطِيعُونَا (١)

وفي حديث السفينة: عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَقَائِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ

(١) سورة هود - الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

(١) كتاب: الحاوي في تفسير القرآن الكريم لعبد الرحمن بن محمد القماش إمام وخطيب
بوزارة الأوقاف الإماراتية- في إمارة رأس الخيمة (بموقع «نداء الإيمان» بشبكة الإنترنت).

فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَّادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجُوا وَنَجَوُا جَمِيعًا" (١).

١٠ بالدعوة إلى الله (عز وجل) ينجو الداعي من الخسران: قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٢)

١١ بالدعوة إلى الله (عز وجل) ينور قبر الداعي إليه: فعَنْ كَعْبٍ، قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُوسَى، تَعَلَّمَ الْخَيْرَ وَعَلَّمَهُ النَّاسَ فَإِنِّي مُنَوِّرٌ لِمُعَلِّمِي الْخَيْرِ وَمُتَعَلِّمِيهِ فِي قُبُورِهِمْ حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشُوا بِمَكَانِهِمْ " (١).

١٢ الداعي إلى الله (عز وجل) لا يدود في قبره: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمُؤَدَّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّهِيدِ الْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ، إِذَا مَاتَ لَمْ يُدَوَّدْ فِي قَبْرِهِ " (٢).

وَعَنْ عِكْرِمَةَ يَرْفَعُهُ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ يُقْضَى لَهُ بِالرَّحْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُؤَدَّنُونَ وَأَوَّلُ

(١) صحيح البخاري - بَابُ هَلْ يُفْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِنْهَامِ فِيهِ - رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٣٦١).

(٢) سورة العصر - الآيات من ١ : ٣ .

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ، حلية الأولياء لأبي نعيم « كَعْبُ الْأَحْبَارِ - رَقْمُ الْحَدِيثِ:

. ٧٧٣٢

(٢) أخرجه الطبراني .

المُؤَذِّنِينَ مُؤَذِّنُو مَكَّةَ، قَالَ: وَالْمُؤَذِّنُونَ أَطُولُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالْمُؤَذِّنُونَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ أَذْنَوْا فَنَادَوْا بِالْأَذَانِ وَالْمُؤَذِّنُونَ لَا يُدَوِّدُونَ
فِي قُبُورِهِمْ" (١).

وأعطى هذه الفضيلة لأنه يدعو إلى الله ﷻ في اليوم خمس مرات ،
فكيف بمن هو مشغول بعمل الدعوة إلى الله ﷻ في ليله ونهاره .

١٣) بالدعوة يتحصل الداعي على رضا الله سبحانه وتعالى.

١٤) بالدعوة يتحصل الداعي على صلاح نفسه.

١٥) بالدعوة يتعلق الداعي بربه جلا وعلا.

١٦) يتحصل الداعي على محبة الله عز وجل ومحبة الخلق له.

١٧) يتحصل على معية الله عز وجل.

١٨) الداعي يقضى الله جميع حوائجه بالدعاء.

١٩) يأتي في قلبه الشفقة والرحمة على جميع الخلق.

٢٠) يعلم أن الدعوة هي الطريق الوحيد لتكميل الدين في حياتنا ونشره في العالم.

٢١) بالدعوة يتحصل الداعي على السعادة والطمأنينة والراحة والرفعة.

٢٢) بالدعوة يرزق الداعي استجابة الدعاء: عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنَّ قَدْ حَضَرَهُ شَيْءٌ، فَتَوَضَّأَ، وَمَا كَلَّمَ
أَحَدًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ

(١) إعراب القرآن للنحاس» شرح إعراب سورة فصلت» قوله تعالى [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا].

وَأَنْتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلُ أَنْ تَدْعُونِي، فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ "، فَمَا زَادَ عَلَيْهِنَّ حَتَّى نَزَلَ (١).

(٢٣) الداعي: يتحصل صفات الأنبياء، ويحشر معهم.

(٢٤) الداعي: يتحصل الفردوس الأعلى في الآخرة: فعَنْ قَتَادَةَ: الْفِرْدَوْسُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَفْضَلُهُ، وَعَنْ كَعْبٍ: لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَفِيهَا الْأَمْزُونُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ الْفِرْدَوْسُ هُوَ الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ، وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْهَا الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّ فَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " (١). (٢).

(١) صحيح ابن حبان «كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ» بَابُ الصَّدَقِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ ... «ذَكَرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ ... رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٢٩٢.

(١) مسند أحمد بن حنبل «مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ...» مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ «حَدِيثُ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ _ رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٢٢٠٨٦، سنن الترمذي» كتاب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب ما جاء في صفة درجات الجنة _ رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٢٣٥٠، ولفظ الترمذي: عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ = دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ وَمِنْهَا تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب «سورة الكهف» قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا).

- (٢٥) الدعوة إلى الله (عز وجل) تثمر لصاحبها الثبات على الهدى.
- (٢٦) الدعوة إلى الله (عز وجل) تثمر البركة في عقب الداعي وأهله.
- (٢٧) الدعوة إلى الله (عز وجل) يصلح بها حال المجتمع المحيط بالداعية وقد تتعدى بركة الدعوة إلى أماكن كثيرة، قال تعالى على لسان نبي الله عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (١).
- (٢٨) الدعوة إلى الله (عز وجل) طريق لدخول الناس في دين الله وصلاح المجتمعات.
- (٢٩) الدعوة إلى الله (عز وجل) طريق لتقليص المنكرات وقطعها.
- (٣٠) الدعوة إلى الله (عز وجل) سبيل لرد دعوات المضلين ودحضها.
- (٣١) الدعوة إلى الله (عز وجل) سبيل في استمرار الدين وثباته في المجتمعات.
- (٣٢) الدعوة إلى الله (عز وجل) سبيل في عزة الإسلام ورفع شأنه ونشره.
- (٣٣) الدعوة إلى الله (عز وجل) سبيل قيام الدين الذي ارتضاه للناس رب العالمين.
- (٣٤) الدعوة مهمة الأنبياء والمرسلين: كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١).
- قال الإمام السعدي (رحمه الله): فكلُّ الرُّسُلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مَعَ كُتُبِهِمْ زُبْدَةُ رِسَالَتِهِمْ، وَأَصْلُهَا الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ أَنَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ

(١) سورة مريم – الآية ٣١.

(١) سورة الأنبياء – الآية ٢٥.

المُعْبُودُ، وَأَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَةٌ. (١).

ولاشك أن القيام بهذه المهمة فيها شرف الاتباع لهم والافتداء بهم.

(٣٥) الدعوة إلى الله تجلب رحمة الله: يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ (٢). فانظر كيف جعل الله الرحمة لأولئك الدعاة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وانظر كيف بدأ الله بذكر الدعوة قبل ذكر الصلاة والزكاة مما يدل على أهميتها.

(٣٦) أنها استجابة لنداء الرب تعالى، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (١).

قال ابن عاشور (رحمه الله): فَهَذَا النَّصْرُ الْمَأْمُورُ بِهِ هُنَا نَصْرُ دِينِ اللَّهِ الَّذِي آمَنُوا بِهِ بِأَنْ يَثْبُوهَ وَيُثَبِّتُوا عَلَى الْأَخْذِ بِهِ دُونَ اكْتِرَاثٍ بِمَا يُلَاقُونَهُ مِنْ أَدَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ (٢).

(٣٧) أنها سبب للثبات على الدين، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٣). فليبشر كل من سار في قافلة الدعوة أن يمنحه الله

(١) تفسير السعدي «تفسير سورة الأنبياء» تفسير قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون.

(٢) سورة التوبة _ الآية ٧١ .

(١) سورة الصف _ الآية ١٤ .

(٢) التحرير والتنوير «سورة الصف» قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله.

(٣) سورة محمد _ الآية ٧ .

على الدين وقوة التمسك بالدين جزاءً لجهوده الدعوية، وهذا شيء نراه في واقعنا للعلماء الكبار والدعاة الذين خدموا الدين، فهم أقوى الناس ثباتاً على مر الزمن، وقرأ في أخبار العلماء كأحمد بن حنبل الذي نصر الدين يوم فتنة خلق القرآن، فكانت الثمرة له أن ثبته الله على الدين ومنحه الصبر على فتنة السجن والجلد، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية الذي نصر الدين بمؤلفاته في الرد على كافة أصحاب الديانات والمذاهب الباطلة ونصر الدين بنشر العلم لعامة الناس في كافة المجالات، فكانت الثمرة له أن ثبته الله لما سجن وكان من أقوى الناس ثباتاً في أشد المواطن، وصدق الله ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١).

(٣٨) الدعوة تهذب النفوس وتزكيها، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (٢).

(٣٩) أنها أفضل الأعمال وأحسن الأقوال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (٣)، وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه

(١) سورة محمد - الآية ٧ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٦٤ .

(٣) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

بِكُلِّ طَرِيقٍ يُوجِبُ تَرْكَهُ، خُصُوصًا مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى أَصْلِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَتَحْسِينِهِ، وَمُجَادَلَةِ أَعْدَائِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالنَّهْيُ عَمَّا يُضَادُّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ (١).

٤٠ تبقى صحيفته الداعي مفتوحة بعد موته إلى يوم القيامة لتلقى الأجور: فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْئًا. رواه مسلم.

فسيدنا عمرو بن العاص فاتح مصر كان إسلامه على يد النجاشي ملك الحبشة، كما جاء في مسند الإمام أحمد: عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ قَالَ لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخُنْدَقِ جَمَعْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرُونَ مَكَانِي وَيَسْمَعُونَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُمْ تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا مُنْكَرًا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرُونَ فِيهِ قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ قَالَ رَأَيْتُ أَنَّ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ عِنْدَهُ فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفَ فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهِدِي لَهُ وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ

(١) تفسير السعدي « تفسير سورة فصلت » تفسير قوله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عَنْقَهُ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِصَدِيقِي أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ أَهْدَيْتَ لَكَ أَدَمًا كَثِيرًا قَالَ ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا فَأَعْطَانِيهِ لِأَقْتُلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا قَالَ فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَن قَدْ كَسَرَهُ فَلَوْ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَ فَقَالَ لَهُ أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ قَالَ قُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكْذَاكَ هُوَ فَقَالَ وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطْعِمْنِي وَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ وَلَيُظْهَرَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ قَالَ قُلْتُ فَبَايَعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَالَ نَعَمْ فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأُسْلِمَ فَلَقِيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ فَقُلْتُ أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمُنْسِمُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٍّ أَذْهَبُ وَاللَّهِ أُسْلِمَ فَحَتَّى مَتَى قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ

مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ قَالَ فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَا أَذْكَرُ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَمْرُو بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا قَالَ فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَمُّ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ كَانَ مَعَهُمَا أَسْلَمَ حِينَ أَسْلَمَ (١).

قال العلماء: فكل من دخل في الإسلام من أهل مصر حتى قيام الساعة أعمالهم في صحيفة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ومن معه من الصحابة الذين فتحوا مصر، وعمرو بن العاص وكل من دخل في الإسلام من أهل مصر حتى قيام الساعة أعمالهم الصالحة في صحيفة النجاشي رحمه الله.

وهكذا الداعي تفتح صحيفته بعد موته لتلقي الحسنات ممن كان سببا لهم في الخير، ففي الحديث: عن فضالة بن عبيدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ " وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ " قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَجَابِرٍ وَحَدِيثُ فَضَالَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (١)

(١) مسند أحمد « مسند الشاميين » حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ (١٧٣٢٣)، تاريخ الطبري ، السيرة النبوية لابن هشام.

(١) سنن الترمذي « كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم _ باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا _ رقم الحديث: (١٦٢١) ..

(٤١) أنها سبب لمحبة الله (عز وجل)، فعن ابن عمر، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرورٌ تُدخله على مسلم، أو تخلصه عنه كربة، أو تظرد عنه جوعاً، أو تقضي عنه ديناً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كتم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يشتها، أثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام" (١).

ولاشك أن أعظم النفع للناس هو نفعهم في تصحيح معتقدهم ودينهم ورفع مستوى الإيمان لديهم وتزكية أخلاقهم وسلوكهم، ومحاربة الباطل والشهوات التي تعترضهم، وإذا كان نفع الناس بتوفير الطعام لديهم وأمور حياتهم فيه من الأجور ما فيه، فكيف بإطعام قلوبهم وتغذية أرواحهم بزيادة الإيمان الذي به حياتهم الحقيقية (٢).

(٤٢) الدعوة نوع من أنواع الإحسان، والله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) المعجم الكبير للطبراني _ رقم الحديث (١٣٤٧٨)، المعجم الأوسط للطبراني _ رقم الحديث (٦١٩١)، التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني _ رقم الحديث (٨٨)، تاريخ دمشق لابن عساكر _ رقم الحديث (٦٩٤٥٠)، والحديث حسنه الألباني.
(٢) عشرون دليلاً على فضل الدعوة _ سلطان بن عبد الله العمري.

المُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

٤٣) القيام بالدعوة سبب لثناء الرب ﷻ واستغفار الملائكة وسائر المخلوقات للداعي: فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَضَّلُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُم " ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتِ، لَيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

قال العلماء: الصلاة من الله تعني (الثناء) ومن الملائكة وغيرهم من المخلوقات تعني (الاستغفار)، وما أعجب هذا الحديث لمن تأمله، أن تفوز بثناء الرب تعالى، واستغفار الملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى وتفوز أيضا باستغفار المخلوقات كبارها وصغارها، كل هذا بسبب أنك قمت ببرنامج دعوي وتعليمي لعباد الله، يا الله، ما أعظم هذه الفضائل، ولكن أين المتنافسون والباحثون عن المعالي؟ (١).

٤٤) يتحصل الداعي على نضارة الوجه: فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نِصْفَ النَّهَارِ، قُلْنَا: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لَشَيْءٍ سَأَلَهُ عَنْهُ؟ فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: نَعَمْ سَأَلْنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا

(١) سورة البقرة - الآية ١٩٥.

(١) المرجع السابق.

سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، قَرَّبَ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ،
وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ (١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ
مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، قَرَّبَ مُبَلِّغٍ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ
مَاجَةَ (١).

قال ابن القيم (رحمه الله): في شرح حديث: ثلاث لا يُعَلَّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ
الْمُؤْمِنِ (: فَمَرَاتِبُ الْعِلْمِ هِيَ سَمَاعُهُ وَعَقْلُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَهُ عَقَلَهُ قَلْبُهُ وَاسْتَقَرَّ فِيهِ
كَمَا يَسْتَقَرُّ الشَّيْءُ فِي الْوِعَاءِ، ثُمَّ تَعَاهَدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَنْسَاهُ فَيَذْهَبَ، ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ يُبَلِّغُهُ وَيُبَيِّنُهُ فِي الْأُمَّةِ لِتَحْصُلِ الثَّمَرَةُ الْمَقْصُودَةُ، فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ
دَخَلَ تَحْتَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ جَمَالَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَإِنَّ النَّصْرَةَ هِيَ
الْبَهْجَةُ وَالْحُسْنُ الَّذِي يُكْسَاهُ الْوَجْهَ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ، وَابْتِهَاجُ الْبَاطِنِ بِهِ وَفَرَحُ
الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ وَالتَّذَادُهُ بِهِ.

٤٥) الداعي إلى الله (عز وجل) منقذ للبشرية من النار: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ

(١) سنن الترمذي _ رقم الحديث (٢٥٩٩)، سنن أبي داود _ رقم الحديث (٣١٧٧)، سنن
ابن ماجه _ رقم الحديث (٢٢٦)، سنن الدارمي _ رقم الحديث (٢٣١)، صحيح ابن حبان _
رقم الحديث (٦٨٦)، السنن الكبرى للنسائي _ رقم الحديث (٥٦٤٤)، مسند الإمام أحمد _
رقم الحديث (٢١٠٥٥)، المعجم الكبير للطبراني _ رقم الحديث (٤٧٥٣، ٤٧٨٨، ٤٧٨٩)
، المعجم الأوسط للطبراني _ رقم الحديث (٧٤٦٤)، مسند أبو داود الطيالسي _ رقم الحديث
(٦١٤).

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب العلم _ رقم الحديث (٢٣٠) .

الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مِثْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبُنَّهُ فَيَتَفَحَّمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَحَّمُونَ فِيهَا. هَذِهِ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ، وَلِمُسْلِمٍ نَحْوَهَا، وَقَالَ فِي آخِرِهَا: قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ: هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ! فَتَغْلِبُونِي. تَفَحَّمُونَ فِيهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

٤٦) الدعوة إلى الله (عز وجل) من أكبر أسباب زيادة الحسنات: فعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعٍ بَرٍّ مِنْ صَاعٍ تَمَرِهِ حَتَّى قَالَ " وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ". قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجُزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ. حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة _ رقم الحديث (١٤٩) .

مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

٤٧) بالدعوة إلى الله (عز وجل) يحفظ الدين: فرسول الله ﷺ بجهد المتواصل في مكة والمدينة خلال ثلاث وعشرون سنة ترك كل فرد من أفراد الأمة عالماً بدينه عاملاً به داعياً إليه.. ولكن اليوم بسبب الترك المتواصل لجهد الدين وعدم القيام بالدعوة، خرج الدين من حياة المسلمين حتى الصلاة أول علامات الإيمان كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَتَعَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الْآيَةِ) (١). خرجت من حياة الأمة إلا من رحم الله.

ولا تقوى وتحى الأعمال والصفات في حياتنا وحياة الناس إلا بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): سألني سائل، فقال لي: اليوم انتشرت المعصية في كل مكان في العالم، فكيف يأتي الإسلام؟، فقلت له: بشيئين: الدعوة والدعاء.. فالله سبحانه وتعالى كما جعل الأثر في الأشياء، جعل الأثر في الأعمال.. فمثلاً: أثر الثلج: البرودة، وأثر النار: الحرارة، فأثر الدعوة

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة _ رقم الحديث (٢١٠).

(١) سنن ابن ماجه « كتاب المساجد والجماعات » باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة (٨٠٢).

والدعاء: الهداية، وأثر التقوى: { يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (١).

٤٨ (الدعوة إلى الله (عز وجل) تعبيد الخلق للخالق، وتقوية لعلاقتهم به: وهذا من أحسن الأعمال وأشرفها، وهل كانت وظيفة الرسل إلا ذلك؟ وهنيئاً لمن كانت حياته في تحقيق المراد الرباني من خلق الخلق وإيجادهم.

٤٩ (الدعوة نوع من أنواع الجهاد الذي يحبه الله .

٥٠ (من الناس من يحمل هم الإسلام، ومن الناس من يحمل الإسلام همه.. والفرق بينهما كبير.

♣ وعن ثمرات الدعوة إلى الله (عز وجل): يقول شيخنا أبو الحسن الندوي (رحمه الله): وكان لذلك نفع ملموس قد تجلّى في ناحيتين :

الأولى: أن المتطوعين الذين قضوا قسطاً صالحاً من أوقاتهم تغييروا في أنفسهم، عرفوا مبادئ الدين وأحكامه الأولية واستيقظت فيهم العاطفة الدينية وهبت عليهم نفحة من نفحات الحياة الإسلامية .

وقد رأينا طلائع هذه الحياة وآيات النهضة الدينية في ميوات فرأينا تغييراً مشاهداً في المعتقد والأعمال والأخلاق، رأينا مدارس تشيد ومساجد تبنى وتعمّر وجنایات تقل وتندر، وفتناً تضحّل، وبدعاً تموت، وتقاليد جاهلية ترتفع، ودعوات دينية وتعليمية تثمر وتزدهر، ونفوساً جامحة تلين وقلوباً جانية

ترق وعيوناً تذرف، وهمماً تعلوا في سبيل الدين وإجلالاً لأهل العلم والدين وخضوعاً للحق مما لو جاهد الإنسان الواحد منها بالاستقلال لاستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً .

ورأينا كذلك في أوساط المتصلين بهذه الدعوة والحركة والمتطوعين لها من الناشئة الجديدة والطبقة المثقفة والموظفين والتجار آثار الانقلاب الديني، رأينا وحشة عن الدين تزول وتتبدل بالأنس، وتنافراً بين طبقتي المتدينين والمتمدنين أو المتنورين – كما يسمون أنفسهم – يرتفع وإجلالاً لشعائر الإسلام وتعظيمها يحل محل الاستهزاء والسخرية منها، ورغبة في تعلم الدين ومعرفة أحكامه تشتد وتلح إلى غير ذلك مما يمتازون به عن أقرانهم وأترابهم وزملائهم .

الثانية: أن الجماهير من المسلمين لم يزالوا يبتعدون عن الدين بالتدرج حتى أصبحوا في واد والدين في وادٍ وتشاغل عنهم العلماء وأصحاب الإصلاح والتعليم حتى انفصلوا عنهم في كل شيء وأصبح هؤلاء أمة وأولئك أمة، تختلف الأولى عن الثانية في العادات واللباس ومظاهر الحياة واللغات واللهجات، وأصبح هؤلاء العامة بجهلهم فريسة لكل صائد وأتباع كل ناعق تنهشهم سباع المادية وتغير عليهم لصوص الدين، وأخيراً فشلت فيهم دعوة الشيوعية ووجدت أنصارها في عامة المسلمين مرتعاً خصباً، ولكننا نتوقع أن هذه الدعوة الدينية والحركة الصحيحة والاتصال بالجماهير والطبقات المنحطة

في العلم والدين والمعاش مباشرة وبذل النصح لها يصد هذا التيار إن شاء الله ﷻ ويكون سداً منيعاً في وجه الحركات اللادينية.

عرفنا كذلك أنه لا يزدهر مشروع إصلاحى أو تكميلي إلا بالدعوة الدينية الأولى عن طريق التحريض والدعاية لا على طريق النظام والسياسة في البداية، فالحياة المدنية في الإسلام مبنية دائماً على أساس الحياة المكية، وكل مؤسسة لا تقوم على أساس الدعوة والتحريض الديني ولا تسبقها جهود في تمهيد الأرض، إلى انهيار في العاجل أو الآجل، اقتنعنا بهذه المبادئ وجربناها في بلاد بعيدة عن مركز الإسلام، في أرض وعرة قد أهملت منذ زمن طويل فرأينا الغراس يثمر والجهد القليل يأتي بحاصل كبير (١).

ويقول أيضاً (في كتابه الممتع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين): وقد تكلم عن فتح المسلمين لبلاد العالم ونشرهم للهداية في جميع أنحاء الأرض فقال: فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية، والداعي إلى دار السلام، والقائد إلى الجنة، والمعلم للحضارة، والأستاذ في الأدب.

هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية، وهي القيادة التي يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص، ويعضوا عليها بالنواجذ، ويسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآبار والأبناء، ولا يجوز لهم - في شريعة العقل والدين والغيرة - أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان، ففيها عوض عن

(١) التبليغ بين يديك (روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله) بقلم المؤلف .

كل قيادة مع زيادة، وليس في غيرها عوض عنها وكفاية ، وهي القيادة التي تشمل جميع أنواع القيادة والسيارة، وهي تسيطر على القلوب والأرواح، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح.

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب، وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الأول: الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتنبيهها والتفاني في سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة.

وبذلك - من غير قصد وإرادة لنيل هذه القيادة وتبوءها - تخضع لهم الأمم الإسلامية في أنحاء العالم ، وتهالك على حبهم وإجلالهم وتقاليدهم، وبذلك تفتح لهم أبواب جديدة وميادين جديدة في مشارق الأرض ومغاربها ، الميادين التي استعصت على غزاة الغرب ومستعمره وثارة عليه، وتدخل أمم جديدة في الإسلام، أمم فتية في مواهبها وقواها وذخائرها، أمم تستطيع أن تعارض أوروبا في مدنيته وعلومها إذا وجدت إيماناً جديداً، وديناً جديداً، وروحاً جديداً، ورسالة جديدة.

إلى متى أيها العرب تصرفون قواكم الجبارة التي فتحت بها العالم القديم في ميادين ضيقة محدودة؟ وإلى متى ينحصر هذا السيل العرم - الذي جرف بالأمس بالمدينيات والحكومات - في حدود هذا الوادي الضيق ، تصطرع أمواجه ويلتهم بعضها بعضاً؟ إليكم هذا العالم الإنساني الفسيح الذي اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته ، وكانت البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد في

تاريخ أمتكم وفي تاريخ العالم جميعاً، وفي مصيركم ومصير العالم جميعاً فاحتضنوا هذه الدعوة الإسلامية من جديد وتفانوا في سبيلها وجاهدوا فيها وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (١). (٢).

• ويقول المفكر الإسلامي الشيخ/ وحيد الدين خان: إن مسئولية المسلمين ورسالتهم هي الدعوة إلى الله أي تبليغ رسالته، وأن نجاحهم يوم القيامة وما يخولهم للحصول على المكانة العالية في الآخرة وليكونوا حقاً من أتباع رسول الإسلام ﷺ كل ذلك يعتمد على قيامهم بهذه المهمة .

هذا ما عبرت عنه هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (٣).

رغم أن هذه الآية تخاطب الرسول محمد ﷺ إلا أنها تخص أتباعه أيضاً، إن أول شيء تدعوننا إليه الآية هو تبليغ رسالة الله إلى الناس، إنها المهمة التي يريد الله منا أن نقوم بها، فطبقاً للقرآن جعل الله هذه الأمة هي الأمة الوسط ليكونوا

(١) سورة الحج - الآية ٧٨ .

(٢) التبليغ بين يديك (روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله) بقلم المؤلف .

(٣) سورة المائدة - الآية ٦٧ .

شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليهم، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (١) كما بين الحديث: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَجِبَتْ" ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَتْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: "وَجِبَتْ" فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجِبَتْ؟ قَالَ: "هَذَا أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ". رواه البخاري (١).

وفي سنن النسائي: الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ" (٢).

وفي مسند أحمد: أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ (٣) (٤).

(١) سورة البقرة - الآية ١٤٣ .

(١) صحيح البخاري - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ - رقم الحديث: ١٣٠١ .

(٢) سنن النسائي - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ ١٩٣٣ .

(٣) مسند أحمد - بَاقِي مُسْنَدِ الْمُكْثَرِينَ - مَنْ أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ - رقم الحديث: ١٢٥٢٦ .

(٤) وفي رواية لأحمد: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ جَلَسَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَجْلِسًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُهُ تَمَرٌ عَلَيْهِ الْجَنَائِزُ قَالَ فَمَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنَوْا خَيْرًا فَقَالَ: وَجِبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنَوْا خَيْرًا فَقَالَ وَجِبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَقَالُوا خَيْرًا فَقَالَ وَجِبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَقَالُوا هَذَا كَانَ أَكْذَبَ النَّاسِ فَقَالَ إِنَّ أَكْذَبَ النَّاسِ أَكْذَبُهُمْ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مَنْ كَذَبَ عَلَى رُوحِهِ فِي جَسَدِهِ قَالَ قَالُوا أَرَأَيْتَ إِذَا شَهِدَ أَرْبَعَةً قَالَ وَجِبَتْ قَالُوا أَوْ ثَلَاثَةً قَالَ وَثَلَاثَةٌ =

إنها حقيقة معروفة أنه عندما يناط بشخصٍ ما منصباً من المناصب لحمل مسؤولية معينة فإن مستقبله بالكامل يعتمد على مدى نجاحه أو فشله في هذه المهمة، وعند نجاحه في أداء المهمة التي أوكل بها عندئذ يستحق كل التقدير والعلاوات والجوائز، أما إذا فشل في مهمته وأهمل مسؤوليته التي أوكلت له، فإنه حتى ولو قام بأعمالٍ أخرى عالية الأهمية فإنه لن يكون مستحقاً للتقدير والجزاء الحسن في نظر خالقه تعالى.

فعلى هذا الأساس يجب على المسلمين أن ينظروا في الوعيد الذي توعد الله به من سبقهم من أهل الكتاب عندما توقفوا عن تبليغ رسالة الله إلى البشر . قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (١) .

إن الذين يحملون مسؤولية تبليغ كتاب الله إلى الناس ثم يفسلون في ذلك فلا قيمة لهم عند الله، وأن الاهتمام بأنشطةٍ أخرى والانشغال بها بدلاً من القيام بتبليغ كلمة الله وتسمية مثل هذه الأنشطة بالدعوة إلى الله إنما يزيد الجرح نزفاً.

وَجَبَتْ قَالُوا وَاتْنَيْنِ قَالَ وَجَبَتْ وَلَئِنْ أَكُونَ قُلْتُ وَاحِدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ قَالَ فَقِيلَ لِعُمَرَ هَذَا شَيْءٌ نَقُولُهُ بِرَأْيِكَ أَمْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (مسند أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند الخلفاء الراشدين - إن أكذب الناس أكذبهم على الله ثم الذين يلونهم - رقم الحديث: ٣٩١).

(١) سورة آل عمران - اليتان ١٨٧، ١٨٨.

إن أمثال هؤلاء لن تكون لهم قيمة عند الله كمبلغين لرسالته.

يواجه المسلمون مشاكل عديدة ولكنهم ليسوا في حاجة لأن يصرفوا طاقاتهم في حل هذه المشاكل هذا ما بينه القرآن، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (١).

لقد منح الله المسلم مفتاح جميع الأبواب ألا وهي الدعوة إلى الله فهي التي تحل لهم كل مشاكلهم .

على سبيل المثال يحتاج الإنسان إلى أشياء عديدة في حياته اليومية، ولكنه بدلاً من أن يحل كل مشكلة على حدة يعمل من أجل الحصول على المال لأنه يدرك أن بحصوله على المال سيحصل بعد ذلك على كل متطلباته ، إن الشيء نفسه صحيح بالنسبة للدعوة أيضاً.

إن كل المشاكل التي يواجهها المسلمون لها حلٌ مشتركٌ واحدٌ ألا وهو القيام بدعوة الناس إلى الله أ.هـ.



من أفواه الدعاة إلى الله (عز وجل)

- ✓ حاجة النفس من الطعام سد الجوع، ومن اللباس ستر العورة، ومن السكن بيت يقي الحر والقر، وأما شهوة النفس فليس لها حدود.
- ✓ خروجنا في سبيل الله لتأتي حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١) في حياتنا وحياة الناس جميعاً.
- ✓ لا يمكن أن تأتي أعمال الرسول ﷺ في حياتنا بأحوال فرعون وقارون.
- ✓ لا يقوم بحق الدين إلا من أحاط بالدين من كل جوانبه.
- ✓ الصحابة رضي الله عنهم كان زواجهم على السنة فكان زواجهم سبب الغنى، وأما نحن فلأن زواجنا بعيداً عن السنة فصار زواجنا سبباً للفقرة.
- ✓ الأصل أن الجهد جهدنا ولكن إذا رأينا جهد أهل الباطل، فلا بد أن نزيد في جهدنا.
- ✓ لو الدعاة في العالم اجتهدوا في بلد واحد ما غطوا حاجة ذلكم البلد.
- ✓ إذا أعطانا الله نعمه ولم نشكر الله عليها فقد يسلبها الله منا.
- ✓ جهدنا ليألف الناس جهدنا حتى ولم يخرجوا فنحن نعيش فترة الغربة.
- ✓ هذا الجهد ليس للانتماء ولكن لتحمل المسؤولية.



التوفيق في الدعوة إلى الله

التوفيق في الدعوة إلى الله (عز وجل): **علي الله تَجَلَّى** : ويظهر ذلك في كلام خطيب الأنبياء شعيب مع قومه، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١).

والتوفيق عزيز لذلك لم يذكر إلا في مقام الدعوة إلى الله لأنه أعلى المقامات،

لأنه مقام الأنبياء وأتباعهم الذين حملوا فكر الهداية للإنسانية.



عقوبة ترك الدعوة إلى الله (عز وجل)

(١) **اللعن والطرْد** (من رحمة الله تعالى) : قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١).

(٢) **الاستبدال**: قال تعالى: { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } (٢).

(٣) **العداوة والبغضاء والفرقة والخلاف والعذاب في الدنيا والآخرة** : قال الله تعالى: { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (٣).

وقال الله تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ { (٤).

(٤) **التدمير والهلاك في الدنيا**: قال الله تعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { (٥).

(١) سورة المائدة - الآية ٧٨.

(٢) سورة محمد - الآية ٣٨.

(٣) سورة المائدة - الآية ١٤.

(٤) سورة آل عمران - الآية ١٠٤ ، ١٠٥.

(٥) سورة الأنعام - الآية ٤٤ ، ٤٥.

٥) نزول العذاب والهلاك وعدم استجابة الدعاء: فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ

ﷺ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ وَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ " رواه الترمذي .

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمَدَاهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذُّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِهِ وَلَا بَدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ. فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكَوْهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ " رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ " . رواه ابن ماجه، والترمذي وصححه.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: " إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " وَفِي أُخْرَى لَهُ: " مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيَّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيَّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " . وَفِي أُخْرَى لَهُ: " مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي أَكْثَرَ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ " .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَا مِنْ

رَجُلٌ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يُغَيِّرُونَ ، إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بَعْقَابٌ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا " . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَةَ .
وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا مَوْلَى لَنَا أَنَّهُ سَمِعَ جَدِّي ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ " رَوَاهُ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي مَهَّتُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا ، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَآكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، فَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . قَالَ : فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ : " لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ أَطْرًا " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ وَفِي رِوَايَتِهِ قَالَ : " كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ، أَوْ لِيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ .
* ما حدث لبني إسرائيل بسبب ترك الدعوة :

قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٣﴾ (١).

والسبت هو أول أيام الأسبوع، تعظمه اليهود، زاعمة أن الله استراح فيه بعد خلقه السموات والأرض، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٢) أي تعب، وألزمهم الله عقوبة لهم، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا افْتَرَضَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ الَّذِي افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فِي عِيدِكُمْ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ - فَخَالَفُوا إِلَى السَّبْتِ فَعَظَّمُوهُ، وَتَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ. فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا لُزُومَ السَّبْتِ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ فِيهِ، فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ لَهُمْ فِي غَيْرِهِ.

وَكَانُوا فِي قَرْيَةٍ بَيْنَ أَيْلَةَ وَالطُّورِ، يُقَالُ لَهَا: مَدِينٌ؛ فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي السَّبْتِ الْحَيْتَانِ: صَيْدَهَا وَأَكْلَهَا. وَكَانُوا إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ أَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ شُرَعًا إِلَى سَاحِلِ بَحْرِهِمْ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ السَّبْتُ ذَهَبْنَ، فَلَمْ يَرَوْا حُوتًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ أَتَيْنَ شُرَعًا، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ السَّبْتُ ذَهَبْنَ، فَكَانُوا كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ وَقَرِمُوا إِلَى الْحَيْتَانِ، عَمَدَ رَجُلٌ مِنْهُمُ فَأَخَذَ حُوتًا سِرًّا يَوْمَ السَّبْتِ، فَخَزَمَهُ بِخَيْطٍ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْمَاءِ، وَأَوْتَدَ لَهُ وَتَدًا فِي السَّاحِلِ فَأَوْثَقَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ. حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ جَاءَ فَأَخَذَهُ، أَيُّ: إِنِّي لَمْ أَخُذْهُ فِي

(١) سورة الأعراف - الآيات من ١٦٣: ١٦٦.

(٢) سورة ق - الآية ٣٨.

يَوْمَ السَّبْتِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ فَأَكَلَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ الْآخِرِ، عَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ، وَوَجَدَ النَّاسَ رِيحَ الْحَيْتَانِ، فَقَالَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ : وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْنَا رِيحَ الْحَيْتَانِ، ثُمَّ عَثَرُوا عَلَى صَنِيعِ ذَلِكَ الرَّجُلِ . قَالَ: فَفَعَلُوا كَمَا فَعَلَ ، وَصَنَعُوا سِرًّا زَمَانًا طَوِيلًا لَمْ يُعَجِّلِ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ حَتَّى صَادُواهَا عِلَانِيَةً وَبَاعُوهَا بِالْأَسْوَاقِ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَقِيَّةِ: وَيَحْكُمُ ، اتَّقُوا اللَّهَ . وَنَهَوْهُمْ عَمَّا يَصْنَعُونَ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ تَأْكُلِ الْحَيْتَانِ ، وَلَمْ تَنْهَ الْقَوْمَ عَمَّا صَنَعُوا. ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبَّكُمْ﴾ وَلَسَخَطْنَا أَعْمَالَهُمْ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَبَيَّنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْبَقِيَّةُ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَفَقَدُوا النَّاسَ فَلَمْ يَرَوْهُمْ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ لِلنَّاسِ لَشَأْنًا! فَاَنْظُرُوا مَا هُوَ. فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ فِي دُورِهِمْ، فَوَجَدُوهَا مُغْلَقَةً عَلَيْهِمْ، قَدْ دَخَلُوهَا لَيْلًا فَغَلَّقُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، كَمَا يُغْلِقُ النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِيهَا قَرْدَةً، وَإِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ الرَّجُلَ بِعَيْنِهِ وَإِنَّهُ لِقَرْدٌ، وَالْمَرْأَةُ بِعَيْنِهَا وَإِنَّهَا لِقَرْدَةٌ، وَالصَّبِيُّ بِعَيْنِهِ وَإِنَّهُ لِقَرْدٌ. قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَوْلَا مَا ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ أَنْجَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ السُّوءِ لَقُلْنَا أَهْلَكَ الْجَمِيعَ مِنْهُمْ، قَالَ: وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) (٢).

قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ

(١) سورة الأعراف- الآية ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف- الآية ١٦٣.

فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (قَالَ: فَهُمْ أَهْلُ أُيْلَةٍ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ، فَكَانَتِ الْحَيَتَانِ إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ - وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ أَنْ يَعْمَلُوا فِي السَّبْتِ شَيْئًا - لَمْ يَبْقَ فِي الْبَحْرِ حُوتٌ إِلَّا خَرَجَ، حَتَّى يُخْرِجَنَّ خَرَاطِيمَهُنَّ مِنَ الْمَاءِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ لَزِمْنَ مَقَلَّ الْبَحْرِ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُنَّ شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ يَوْمُ السَّبْتِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ [كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ]) . فَاشْتَهَى بَعْضُهُمُ السَّمَكَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَحْفَرُ الْحَفِيرَةَ، وَيَجْعَلُ لَهَا مَهْرًا إِلَى الْبَحْرِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ فَتَحَ النَّهْرُ فَأَقْبَلَ الْمَوْجُ بِالْحَيَتَانِ يَضْرِبُهَا حَتَّى يُلْقِيَهَا فِي الْحَفِيرَةِ، فَيَرِيدُ الْحُوتُ أَنْ يُخْرَجَ، فَلَا يُطِيقُ مِنْ أَجْلِ قَلَّةِ مَاءِ النَّهْرِ، فَيَمْكُثُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ جَاءَ فَأَخَذَهُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشْوِي السَّمَكَ فَيَجِدُ جَارُهُ رِيحَهُ فَيَسْأَلُهُ فَيُخْبِرُهُ، فَيَضَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَ جَارُهُ، حَتَّى فَشَا فِيهِمْ أَكُلُ السَّمَكَ، فَقَالَ لَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ: وَيَحْكُمُ! إِنَّمَا تَصْطَادُونَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ، فَقَالُوا: إِنَّمَا صَدَنَاهُ يَوْمَ الْأَحَدِ حِينَ أَخَذْنَاهُ. فَقَالَ الْعُلَمَاءُ لَا وَلَكِنَّكُمْ صَدْتُمُوهُ يَوْمَ فَتَحْتُمْ الْمَاءَ فَدَخَلَ، قَالَ: وَغَلِبُوا أَنْ يَنْتَهُوا. فَقَالَ بَعْضُ الَّذِينَ نَهَوْهُمْ لِبَعْضٍ: (لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) يَقُولُ: لِمَ تَعْطُوهُمْ، وَقَدْ وَعَظْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُطِيعُواكُمْ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: (مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

(١) (١) فَلَمَّا أَبَوْا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نُسَاكِنُكُمْ فِي قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ. فَكَسَمُوا الْقَرْيَةَ بِجِدَارٍ، فَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ بَابًا وَالْمُعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ بَابًا، وَلَعَنَهُمْ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ مِنْ بَابِهِمْ، وَالْكَفَّارُ مِنْ بَابِهِمْ، فَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَلَمْ يَفْتَحِ الْكَفَّارُ بَابَهُمْ، فَلَمَّا أَبْطَأُوا عَلَيْهِمْ تَسَوَّرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطَ، فَإِذَا هُمْ قِرْدَةٌ يَثْبُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَفَتَحُوا عَنْهُمْ، فَذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (١) وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: (لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (٢) فَهُمْ الْقِرْدَةُ.

قُلْتُ : وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَيِّمَةِ بَيَانُ خِلَافِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مِنْ أَنَّ مَسْخَهُمْ إِنَّمَا كَانَ مَعْنَوِيًّا لَا صُورِيًّا بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَعْنَوِيٌّ صُورِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٦) الأمة بترك الدعوة إلى الله يصيبها ثلاث آفات:

الأولى: العناية بالدنيا، وإهمال الآخرة.

الثانية: صرف الأموال والأوقات والأفكار في غير مصلحة الدين.

الثالثة: الاقتداء بالكفار في طريقة الحياة، والتعلم لديهم، لنقل طريقة حياتهم إلى بلاد المسلمين. (٣).

(١) سورة الأعراف- الآية ١٦٤.

(١) سورة الأعراف- الآية ١٦٦.

(٢) سورة المائدة- الآية ٧٨.

(٣) موسوعة الفقه الإسلامي لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري.

الرابعة: الوقوع في الفتن: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ، وَفَسَقَ شَبَابُكُمْ، وَتَرَكْتُمْ جِهَادَكُمْ ؟ " ، قَالُوا: وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟، قَالَ: " نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ " ، قَالُوا: وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟، قَالَ: " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ " ، قَالُوا: وَكَائِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟، قَالَ: " نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ " ، قَالُوا: وَمَا أَشَدُّ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟، قَالَ: " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَرَأَيْتُمُ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا ؟ " ، قَالُوا: وَكَائِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " نَعَمْ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بِي خَلَفْتُ ، لِأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةٌ، يَصِيرُ الْحَلِيمُ فِيهِمْ حَيْرَانًا (١) .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَيْكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي الْفِتْنَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ " قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا قَالَ يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ قَالَ لَا بَلْ يُكْسَرُ قَالَ ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ قُلْنَا عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ قَالَ نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ فَهَبْنَا أَنْ

(١) سورة الأعراف - الآيتان ١٦٥ ، ١٦٦ .

نَسَأَلُهُ وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ مَنْ الْبَابُ قَالَ عُمَرُ. صحيح البخاري (١).

نواقض الدعوة

١. الرياء وعدم الإخلاص.

٢. وأكل الدنيا بالدين.. وبيع كلام الله ورسوله بالأجرة.

٣. والدعوة إلى النفس وحب الشهرة، والله أمرنا أن ندعو إليه، ولا ندعو إلى غيره.

٤. والدعوة إلى حمية الجاهلية والعصبية كمن يدعو إلى حزب أو طائفة أو جماعة.

٥. ولا يقبل الدعوة من غيره (١).

♣ من ترك أصول الدعوة، ودعا على هواه، ابتلي بأفات كثيرة منها: تزكية

النفس.. والعجب والكبر.. والحرص على الجاه والمنصب.. واحتقار

الآخرين.. والنظر في عيوب الدعاة إلى الله.. والإنفاق على شهواته، وترك

الإنفاق على الدين.. وثقلت عليه الفرائض والأعمال الصالحة.. وتوسع في

المباحات.. وهانت عليه إضاعة الأوقات في الجدل والشهوات. (٢).



(١) سورة الأعراف - الآيتان ١٦٥ ، ١٦٦ .

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

عقوبة من لم يطابق قوله فعله

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحَمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ ! مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي رَجُلًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ . " رَوَاهُ فِي " شَرْحِ السُّنَّةِ " وَالْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ " وَفِي رِوَايَتِهِ قَالَ : " خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ . "

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْ أَقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا ، قَالَ : يَا رَبِّ ! إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلَانٌ : لَمْ يَعِصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ . " قَالَ : " فَقَالَ : أَقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِي سَاعَةٍ قَطُّ " . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ . (١) .



(١) الأحاديث في باب صفة الدعوة من كتاب : مشكاة المصابيح _ كتاب الآداب _ باب الأمر بالمعروف ٣ / ١٤٢١ .

علامة وجود الدعوة إلى الله (عز وجل)

لوقام أهل الإسلام بالدعوة إلى الله في أي زمان وأي مكان لوجدت تغيرا ملحوظا تظهر آثاره في الناس:

١. تجد الناس قد تحولت وجهتهم من الدنيا إلى الآخرة، ومن الخلق إلى الخالق، ومن الأشياء إلى الأعمال.

٢. يأتي الفهم الصحيح لتصريف النفس والمال.

٣. يرسخ اليقين في سويداء القلب، والقلب له ثلاث أقسام:

أ _ القلب وهو محل الإيمان.

ب _ الفؤاد وهو محل اليقين.

ج _ السويداء وهي محل رسوخ اليقين.

الفرق الذي بيننا وبين الصحابة الكرام

مثل الفرق بين الذين مهدوا الطريق للقطار وبين ركاب القطار.. فالذين مهدوا الطريق أخذوا سنوات في الحفر ووضع القضيب الذي سيمشي عليه القطار يعملون في الحر وفي البرد.. هؤلاء هم الصحابة الكرام ضحوا بأعمارهم فقط كي نقول لا إله إلا الله.. ونحن مثل ركاب القطار نأخذ المسافة في ساعات مرتاحين نأكل ونشرب، ومع ذلك الله يعطينا الأجر لتشبهنا بالرجال.



الدعوة تناديكم أنا وظيفه أعماركم

يقول بعض الأحبة: بينما كنت أتابع الأخبار فرأيت الأمر قد ازداد سوءاً والصورة قد ازدادت قبحاً .. كثير من الحرمات ينتهك .. وكثير من حدود الله يتعدى عليها .. دماء تهراق .. وأنفس تزهق .. وأموال تغتصب .. فسرت في الشارع فوجدت ذلك واقعاً ومشاهداً، قتألت وتحسرت .. فأردت أن أعود إلى بيتي لأنام وأستريح .. فوجدت من يجذبني ويهزني ويعنفني ويلومني .. ويقول لي: لا تفعل .. لا تفعل .

فسألتها: من أنت؟ قالت: أنا الدعوة .. أنا هداية الخلائق . تذهب وتنام .. أي قلب لك .. وأين عقلك؟ .. وأي خير فيك .. وأي دين .. فيمن يرى محارم الله تنتهك .. ودينه يضيع .. وسنة نبيه يرغب عنها .. وهو بارد القلب، ساكت اللسان .. شيطان أخرس .

فهؤلاء مع سقوطهم من عين الله .. قد بلوا بأعظم بلية .. ألا وهي موت القلب .. فالقلب كلما كان حياً كان انتصاره لحرمات الله أقوى

اعلم : ما من حرمة تنتهك إلا بسبب تقصيركم في الدعوة .. وما من دم يهراق في غير محله .. وما من نفس تزهق إلا بسبب تقصيركم في الدعوة .. وما من ظلم يحدث .. وما من حق يضيع إلا بسبب تقصيركم في الدعوة . فرددت عليها ليس في جعبتي شيء أدعو به

قالت : اعلم أن الدعوة إلى الله هي دليل انتمالك للإسلام .

فقولك أنا مسلم.. هذه دعوى.. وكل دعوى تحتاج لدليل إثبات.. فأين دليل إثباتك؟

ها هو الطفيل بن عمرو الدوسي يلتقي برسول الله ﷺ، بعد صعوبة بالغة.. وبعد أن أعلن إسلامه علم أن الدعوة دليل الانتماء لهذا الدين.

يقول: فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنِّي أَرْجِعُ إِلَى دَوْسٍ ، وَأَنَا فِيهِمْ مُطَاعٌ ، وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ.

فذهب إليهم ودعاهم فلم يستجيبوا، فرجع إلى رسول الله فقال له: يا رسول الله إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا.

وفي رواية: ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبَتْ عَلَيَّ وَتَعَاَصَتْ ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : غَلَبَ عَلَى دَوْسٍ الزَّنَا وَالرِّبَا فَادْعُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا.. فأرسله إليهم.. وليس في جعبته شيء إلا الشهادة.. وأسلم على يديه ثمانون بيتاً من دوس.

فلا تقل ليس في جعبتي شيء أدعو به.

فقلت لها: حقيقة كم أنا مقصر.. وقد غاب عني هذا الفهم، ولقد بلغت من العمر عتياً وتعديت الخمسين سنة.. وأنى لي أن أعمل بعد هذا العمر؟ .

فهبت في قائلة: الدعوة إلى الله وظيفة العمر.. أي أن حياتك كلها لابد وأن تصرف في الدعوة إلى الله.. فعن عمر ك أنت مسئول، ففي الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: " لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ

عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ " . (١).

نوع عليه السلام: ألف سنة إلا خمسين عاما.. دعوة بالليل والنهار بالسر والإعلان.

يعقوب (عليه السلام): وهو على فراش الموت.. لم ينسى أنه داعي إلى الله (أُم كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ...) (٢).

يوسف (عليه السلام) في السجن: لم ينسى أنه داعي : (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٣).

خاتم الأنبياء محمد (ﷺ): وهو على فراش الموت.. نادي وقال: كما في سنن ابن ماجه عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ النَّبِيِّ (ﷺ) الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " (٤).

وفي روايات أخرى: عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ النَّبِيِّ (ﷺ): "

(١) صحيح : أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح في كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة رقم (٢٤١٦ - ٢٤١٧) ٤ / ٥٢٩ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٤١٦ - ٢٤١٧) ٤ / ٥٢٩ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٤٦) ٢ / ٦٢٩ ، وفي صحيح الجامع رقم (٧٣٠٠) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٢٦ - ١٢٧).

(٢) سورة البقرة _ الآية ١٣٣.

(٣) سورة يوسف _ الآية 39.

(٤) سنن ابن ماجه _ رقم الحديث (٢٦٩٠)

الصَّلَاة الصَّلَاة، اتَّقُوا اللَّهَ فِيَمَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " (١).

ومؤمن آل يس: بالرغم من وجود الرسل الثلاثة.. علم أنه مسئول ماذا قدم لدين الله فجاء مسرعاً ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ (٢).

وعمر بن الجموح: رجل أعذر الله إليه.. كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَعْرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَدْرٍ ، قَالَ لِبَنِيهِ : أَخْرِجُونِي ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَرَجُهُ وَحَالَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَقَامِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ خَرَجَ النَّاسُ ، فَقَالَ لِبَنِيهِ : أَخْرِجُونِي ، فَقَالُوا : قَدْ رَخَّصَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَذِنَ ، قَالَ : هِيَاهُ ، مَنَعْتُمُونِي الْجَنَّةَ بِبَدْرٍ وَتَمَنَعُونِيهَا بِأُحُدٍ ، فَخَرَجَ فَلَمَّا لَقِيَ النَّاسَ ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ الْيَوْمَ أَطَأُ بِعَرَجَتِي هَذِهِ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " ، قَالَ : فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَأَطَأَنَّ بِهَا الْجَنَّةَ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ لِعُلامٍ لَهُ كَانَ مَعَهُ ، يُقَالُ لَهُ : سُلَيْمٌ : ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ ، قَالَ : وَمَا عَلَيْكَ أَنْ أُصِيبَ الْيَوْمَ خَيْرًا مَعَكَ ؟ قَالَ : فَتَقَدَّمَ إِذَا ، قَالَ : فَتَقَدَّمَ الْعَبْدُ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ ، وَقَاتَلَ هُوَ حَتَّى قُتِلَ .

فسألتها: ربما لا تكون عليّ مسئولية.. وقد قام بالدعوة إلى الله عز وجل رجال الأزهر

(١) سنن أبي داود _ رقم الحديث (٤٤٩١)، السنن الكبرى للبيهقي _ رقم الحديث (١٥٥٢٤) : شعب الإيمان للبيهقي _ رقم الحديث (٨٠٤٧)، الآداب للبيهقي _ رقم الحديث (٤٦)، الأدب المفرد للبخاري _ رقم الحديث (١٤٨ ، ١٥٠)، مسند الإمام أحمد _ رقم الحديث (٥٧٢ ، ٥٧٥)، مسند أبي يعلى الموصلي _ رقم الحديث (٥٩٠)، تهذيب الآثار للطبري _ رقم الحديث (١٥٣٣).

(٢) سورة يس _ الآية ٢٠.

والأوقاف.. فهل هذا يعطيني؟ فاحمر وجهها وعلا صوتها، وقالت: اتق الله فالدعوة إلى الله مسئولية الجميع. واعلم.. أن الله سائلك: ألم أعطك مالا؟.. ألم أعطك ولداً؟.. فماذا قدمت لهذا الدين؟

فينظر العبد أيمن منه فلا يجد إلا ما قدم.. وينظر أشأم منه فلا يجد إلا ما قدم.. وينظر أمامه فلا يجد إلا النار.. فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

الهدهد: أبى أن يعيش على أرض الله ويستظل بسماء الله ويأكل من رزق الله ويُعبد غير الله.. فهب قائلاً ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (١). فأين أنت من الهدهد؟ فقلت لها: من اليوم سأجتهد في نشر رحمة محمد (ﷺ).. وعدل عمر.. وحياء عثمان.. وفقه علي رضي الله عنهم جميعاً.

فقلت لها قبل الوداع.. أنا مثقل بالذنوب والمعاصي.. وهذا يعوقني. فوضعت يدها على كتفي وطمأنتني وقالت: كل بني آدم خطاء.. وليس معصوم سوى من عصمه الله.. فلا تضيف إلى ذنوبك ذنباً آخر بقعودك وعدم تعليم الناس الخير.. يقول الغزالي: ولست أرى منكراً أكبر من الجلوس وعدم تعليم الناس الخير.. هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى:

١- (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (٢).

٢- " فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ " (٣).

(١) سورة النمل - الآية ٢٢.

(٢) سورة هود - الآية ١١٤.

(٣) صحيح البخاري « كتاب فضائل الصحابة » باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه (٣٤٩٨).

٣ _ " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " (١).

وها هو أَبُو مُحَجَّنٍ الثَّقَفِيُّ (٢): كان يشرب الخمر وخرج يجاهد في سبيل الله في القادسية.. وأبلى بلاءً حسناً.. وكانت سبباً في إقلاعه عن ذلك فلا تكن الذنوب حائلاً أمامك في الدعوة إلى الله.

فاقتنعت بكلامها.. وشكرت لها حسن صنيعها.. وعاهدتها أن أسعى جاهداً في تحقيق هتافها.

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٢) أَبُو مُحَجَّنٍ الثَّقَفِيُّ: فِي اسْمِهِ أَقْوَالٌ، قَدِيمٌ مَعَ وَقَدْ تَقَيَّفَ فَأُسْلِمَ، وَلَا رَوَايَةَ لَهُ، وَكَانَ فَارِسَ تَقَيَّفٍ فِي زَمَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَذْمُنُ الْخَمْرَ زَمَانًا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَعِينُ بِهِ، وَقَدْ جُلِدَ مَرَارًا، حَتَّى إِنَّ عُمَرَ نَفَاهُ إِلَى جَزِيرَةٍ، فَهَرَبَ وَلَحِقَ بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ فَحَبَسَهُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ قُسِّ النَّاطِفِ، وَالتَّحَمِّ الْقِتَالِ سَأَلَ أَبُو مُحَجَّنٍ مِنْ امْرَأَةٍ سَعْدٍ أَنْ تَحُلَّ قَيْدَهُ وَتُعْطِيَهُ فَرَسًا لِسَعْدٍ، وَعَاهِدَهَا أَنْ يَسْلِمَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْقَيْدِ، فَحَلَّتْهُ وَأَعْطَتْهُ فَرَسًا فَقَاتَلَ وَأَبْلَى بَلَاءً جَمِيلًا ثُمَّ عَادَ إِلَى قَيْدِهِ.
قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: بَلَغَنِي أَنَّهُ حَدَّثَ فِي الْخَمْرِ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

وَقَالَ أَيُّوبُ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: كَانَ أَبُو مُحَجَّنٍ لَا يَزَالُ يُجَلَّدُ فِي الْخَمْرِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ سَجْنُوهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقَادِسِيَّةِ رَأَاهُمْ فَكَلَّمَ أُمَّ وَلَدِ سَعْدٍ فَأَطْلَقَتْهُ وَأَعْطَتْهُ فَرَسًا وَسِلَاحًا، فَجَعَلَ لَا يَزَالُ يَحْمِلُ عَلَى رَجُلٍ فَيَقْتُلُهُ وَيَذُقُ صُلْبَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدٌ فَبَقِيَ يَتَعَجَّبُ وَيَقُولُ: مَنْ الْفَارِسُ؟ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ هَرَمَهُمْ وَرَجَعَ أَبُو مُحَجَّنٍ وَتَقَيَّدَ، فَجَاءَ سَعْدٌ وَجَعَلَ يُخْبِرُ الْمَرْأَةَ وَيَقُولُ: لَقِينَا وَلَقِينَا، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ لَوْ لَأَنِّي تَرَكْتُ أَبَا مُحَجَّنٍ فِي الْقَيْودِ لَظَنَنْتُ أَنَّهَا بَعْضُ شَمَائِلِهِ. قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَبُو مُحَجَّنٍ، وَحَكَتْ لَهُ، فَدَعَا بِهِ وَحَلَّ قَيْودَهُ، وَقَالَ: لَا نَجِدُكَ عَلَى خَمْرٍ أَبَدًا، فَقَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَشْرَبُهَا أَبَدًا، كُنْتُ أَنْفُ أَنْ أَدْعَهَا لَجَلْدِكُمْ، فَلَمْ يَشْرَبْهَا بَعْدُ (سير أعلام النبلاء).

من أقوال مشايخ التبليغ

في واجب الدعوة إلى الله (عز وجل)

(١) يقول الشيخ الأنصاري: ثبت في التاريخ أن أول عمل انتقل إلى الأمة المسلمة من رسولها الكريم صلوات الله عليه علماً وعملاً هو الجهد للدين، والذي هو بالقياس إلى باقي الأعمال يعتبر الأساس.

فإذا قام المسلمون في أي زمان ومكان على أعمال الدين بكل فروعها ولكن مع الغفلة عن منهاج وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام يكونوا ضالين.

لأن من يرى الدين الذي قام عليه الرسول أي الدعوة، واستمر على القيام بباقي أعمال الدين فهو ساقط من عين الله حتى إن دعاؤه لا يستجاب لحديث: عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفْسُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنَّ قَدْ حَفَزَهُ شَيْءٌ، فَمَا سَلَّمَ عَلَيَّ حَتَّى تَوَضَّأَ، فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ، فَصَعِدَ الْمُنْبَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرْكُمْ " (١).

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: " حسن لغيره "؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٢٣٢٥).

فالفريضة التي أعطاها النبي عليه الصلاة والسلام وحوّلها للأمة قبل فريضة الصلاة والصوم والحج والزكاة والتي بتركها لا يقبل دعاء المتقين والصالحين، كم تكون أهميتها؟.

وحيث أن الصلاة التي على غير الطريق النبوي باطلة، فكذلك إقامة الدين على غير طريق النبي، لذا ينبغي المحافظة على الطراز النبوي في إقامة الدين والدعوة إليه.

فالسعي لإقامة الدين والدعوة النبوية على المنهج الشائع في العالم كالذي يبني عمارة على أساس غير قوي، وهذه هي الخسارة الأساسية التي بسببها تفشل الحركات الدينية بسرعة وتنشر فيها الخلافات وتكون بسببها محرومة من النصر الإلهية.

كما يتضح من رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن القيام بالدعوة الاجتماعية هي سر قوة المسلمين: لا تغتروا بكثرة الفرس وسلاحهم ولا تخشوهم واستعينوا بالله وأرجوه وأرسل ممن معك وفداً إلى الفرس من ذوي الرأي يدعوهم إلى الإسلام فإن قبل فاقبلوا واعرضوا عنه وإلا فاستعينوا بالله وقاتلوهم). رواية سيف الدين بن عمر الطبري ج ٤ ص ٩٣.

إننا نسعى عن طريق هذا العمل (الخروج في سبيل الله) الإتيان بالخير في الأمة أولاً، لأن الإتيان بالخير يحتاج منا لجهود عديدة ومجاهدات كي يأتي هذا الخير في الناس ، ومتى أتى فيهم فعل الخيرات فمثله مثل النور والضوء متى

أشعل فتيله تبدد الظلام وزال ولسنا في حاجة لجهود لإزالة ذلك الظلام بحكم طيبة الأشياء لذا ورد في القرآن (إن الحسنات يذهبن السيئات).

يا خير أمة أخرجت للناس، ويا أمة نبيها خاتم الأنبياء ، ويا أمة ختمت بها الأمم، ويا أمة شاهدة على كل الأمم، ويا أمة جعلها الله رحمة على العالمين، ويا أمة داعية لكل الأمم، يا أمة الصبر، يا أمة التوكل ، يا أمة التوحيدالخ .
استجيبوا لمطلب نبيكم: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً " . (١).

(٢) ويقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة المتجهة إلي بلاد الحجاز: لقد أعطيت الأمة كلها جهد الدعوة إلى الله ببركة ختم نبوة الأنبياء بالرسول الأعظم محمد (ﷺ) حتى يتعلق الخلق بالله تعالى.

لذا على هذه الأمة القيام على طريق الأنبياء بإنفاق المال والنفس ولا نسأل أحدا من الناس شيئا، ونقوم بذلك بالهجرة والنصرة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " . (٢).

(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري ونصه: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

(٢) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَعْضِ تَصَانِيفِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشْرٍ . وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، عَنْ مُسَدَّدٍ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ

٣) ويقول الشيخ عبد الوهاب (أمير التبليغ بالباكستان) حفظه الله: إخواني وأحبائي في الله تعالى: الله سبحانه وتعالى رحمن رحيم، وهو أرحم من الوالدة بولدها، فإذا جاءت عاطفة إرضاء الله في القلب في كل حال، تكن معنا قوة الله ونصرته الغيبية.

وعلينا أن نفهم جميع الإنسانية كلها، كيف يغيروا عواطفهم من أجل عاطفة ما يريد الله تعالى، ونفهمهم أننا إذا امتثلنا لأوامر الله تعالى في كل حال فالله يرضي عنا، وإذا دخلت في قلوبنا عاطفة امتثال أوامر الله تعالى فالله سبحانه وتعالى يفتح علينا أبواب الرضا، ويفتح علينا مفاهيم القرآن وماذا يريد منا في كل آية .

الآن جهدنا ناقص جدا، فكل أهل لغة يريدون إحياء هذا الجهد في أهل لغتهم وهذا من النقص في هذا الجهد، فإذا ضحينا بشهواتنا ورغباتنا يفتح علينا الله سبحانه وتعالى خزائن الفلاح في الدنيا والآخرة فسيدينا إبراهيم وهاجر عليهما السلام لما تركوا ما تريد أنفسهم من أجل ما يريد الله عز وجل فتح الله عليهم خزائن الفلاح والنجاح والرزق فرزقهم الماء من حيث لا يحتسبوا.

الله جعل في الدعوة قوة عظيمة فلا بد أن لا نتأثر بالأشياء فكم في ترك الأم لطفلها الرضيع كم يكون من الخسارة.

ولكن بالنسبة لترك الدعوة فالحسارة تكون أكثر من ترك هذا الطفل الرضيع

أَبِي شَيْبَةَ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ، ثَلَاثَتُهُمْ، عَنْ سُفْيَانَ، بِهِ بَلَا تَسْلُسُلٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ .

بدون رضاعة. ولذا بترك الدعوة يموت الدين في الأمة.
وعند الدعوة والأعمال نستحضر الفضائل فأوامر الله مقصدها الوصول إلى الله تعالى وليس هي مقصودة في ذاتها، ولكن التقرب بها إلى الله تعالى.
فلا ننظر لعاطفة مناطقنا وماذا تريد منا ولكن ننظر لما يريد الله منا فلا نرفع أقدامنا من علي الأرض حسب رغبة نفوسنا ولكن حسب أوامر الله تعالى فقط.
وبالدعوة يتولد في نفوسنا الاستعداد والقوة للقيام بالأعمال نقيم كل مسلم علي هذا الجهد وعلي أن لا يمشي إلا حسب ما يريد الله منه.
أذهبوا إلي جميع الناس في أماكنهم أذهبوا إلي الزراع والصيادين والفقراء والأغنياء وجميع الناس وأقيموهم علي هذا الجهد.

طرق الحصول على الدعوة

- ١ - الخروج في سبيل الله للدعوة إلى الله، ونتجول ونتحرك علي الناس في البيوت والشوارع والأسواق والميادين ندعوهم إلى الله عز وجل.
- ٢ - نكثر من الجلوس في مجالس فضائل الدعوة إلى الله.
- ٣ - ندعو الناس إلى تحقيق الدعوة إلى الله في حياتهم.
- ٤ - ندعو الله عز وجل أن يرزقنا وجميع الأمة حقيقة الدعوة إلى الله.



مراعاة أحوال المدعوين

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): يجب أن يراعي الداعي أحوال المدعوين من علم وجهل وقرب عهد بالإسلام وأمين ومتكبرين ومحبين ونافرين ومقبلين وأن يتخولهم بالموعظة وأن يحدثهم بما يفهمون حتى لا يكذبوا الله ورسوله، وذلك أدعى لقبول الدعوة، وقال عليّ: " حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ". رواه البخاري (١)(٢).

(١) صحيح البخاري «كتاب العلم» باب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا.
(٢) قال الحافظ ابن حجر في [فتح الباري] لابن حجر (١ / ٢٠٣): " وفيه دليل على أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَ الْعَامَّةِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: " مَا أَنْتَ مُحَدِّثًا قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيثَ بِبَعْضِ دُونَ بَعْضٍ أَحْمَدُ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي ظَاهِرُهَا الْخُرُوجُ عَلَى السُّلْطَانِ، وَمَالِكٌ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَأَبُو يُوسُفَ فِي الْغَرَائِبِ، وَمِنْ قَبْلِهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُ فِي الْجَرَابِينِ وَأَنَّ الْمُرَادَ مَا يَقَعُ مِنَ الْفِتَنِ، وَتَحْوِهِ عَنْ حُذِيقَةٍ وَعَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيثَ أَنَسٍ لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْغُرَيَيْنِ لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا وَسِيلَةً إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَصَابِطٌ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ يُقْوِي الْبِدْعَةَ وَظَاهِرُهُ فِي الْأَصْلِ غَيْرُ مُرَادٍ، فَالْمُسَاكُ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذَ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوبٌ".

وقد كان السلف الصالح يمسكون عن الحديث والفتوى عند خشية اللبس أو عدم الفهم! قال ابن شبرمة: "إن من المسائل مسائل لا يجمل بالسائل أن يسأل عنها ولا بالمسئول أن يجيب". رواه الخطيب في [الفتاوى والمتفقه] (٩١/٢).

وانظر في هذا التعليق النفيس للحافظ الذهبي على حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "حَقَّظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَيَّنْتُه، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَيَّنْتُه قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ". في [سير أعلام النبلاء] (٢ / ٥٩٧) (١٠ / ٦٠٣).

فلا بد من كلام الناس على قدر عقولهم بالدعوة، وهي أخلاق وإنفاق، وبعد الجهد تخرج لآلى غير معروفه قبل جهد الدعوة .

مراعاة مقتضيات الدعوة

يقول الشيخ محمد عمر البالبوري (رحمه الله): على القدماء أن يتفكروا في مقتضيات الدعوة في كل بلد في العالم، وكذلك صلاحيات الدعوة في كل زمان ومكان، ومن يستطيع أن يقوم بالدعوة في هذا المكان؟. كذلك تتفكروا ما هي مقتضيات الدعوة في بيوتكم؟.. فالأولاد منهم من يحب اللعب، ومنهم من يحب القراءة، ومنهم من يفك الآلات، فلا بد أن نستثمر هذه الطاقات ونوجهها. . كذلك ننظر ما هو الشيء الناقص من الدين؟ فنجتهد كيف نكلمه باللين والرحمة، وحينما نقوم بالدعوة إلى الله تعالى يأتي لنا الأمن.

هل الجن مكلفون بعمل الدعوة مثل الإنس؟

نعم ، فعن سعيد بن جبير، قال: لما بعث النبي ﷺ حُرست السماء، فقال الشيطان: ما حُرست إلا لأمر قد حدث في الأرض، فبعث سراياه في الأرض، فوجدوا النبي ﷺ قائماً يصلي صلاة الفجر بأصحابه بنخلة، وهو يقرأ، فاستمعوا حتى إذا فرغ ولَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (١) .

(١) سورة الأحقاف _ الآية ٢٩ .

انتهاز الفرص للدعوة

— فالنبي ﷺ ينتهاز الفرصة في طريق الهجرة: أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ كَانَا رَجُلَيْنِ سُوءٍ قَدْ قَطَعَا الطَّرِيقَ، وَقَتَلَا، فَمَرَّ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّعَا، وَصَلَّيَا، ثُمَّ بَايَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيكَ، فَقَدْ قَصَرَ اللَّهُ خُطُونَا قَالَ: مَا اسْمُكُمَا؟ " قَالَا: الْمُهَانَانِ قَالَ: " بَلْ أَنْتُمَا الْمُكْرَمَانِ (١).

وأخرج أحمد: عَنْ فَائِدِ مَوْلَى عَبَادِلَ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَأَرْسَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْعَرَجِ أَتَى ابْنُ سَعْدٍ وَسَعْدٌ هُوَ الَّذِي دَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى طَرِيقِ رَكُوبِهِ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ أَخْبِرْنِي مَا حَدَّثَكَ أَبُوكَ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَاهُمْ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ عِنْدَنَا بِنْتُ مُسْتَرْضَعَةٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ الْإِخْتِصَارَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ هَذَا الْغَائِرُ مِنْ رَكُوبَةٍ وَبِهِ لِصَانٍ مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُمَا الْمُهَانَانِ فَإِنْ شِئْتَ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذْ بِنَا عَلَيْهِمَا قَالَ سَعْدٌ فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا إِذَا أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ هَذَا الْيَمَانِي فَدَعَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَا ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ أَسْمَائِهِمَا فَقَالَا نَحْنُ الْمُهَانَانِ فَقَالَ بَلْ أَنْتُمَا الْمُكْرَمَانِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَفْقِدَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا ظَاهِرَ قُبَاءَ فَتَلَقَّى بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ

(١) مصنف عبد الرزاق - كِتَابُ أَهْلِ الْكِتَابِ بَيَعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٩٨١٧).

النَّبِيُّ ﷺ أَيْنَ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ إِنَّهُ أَصَابَ قَيْلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُهُ لَكَ ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا طَلَعَ عَلَى النَّخْلِ فَإِذَا الشَّرْبُ مَمْلُوءٌ فَالْتَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا الْمَنْزِلُ رَأَيْتُنِي أَنْزِلُ عَلَى حِيَاضٍ كَحِيَاضِ بَنِي مُدَلِجٍ. (١).

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ مَكَّةَ، إِذَا لَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ: " يَا أَبَا الْحَكَمِ، هَلُمَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ أَنْتَ مُتْتِهِ عَنْ سَبِّ أَهْلِنَا؟ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ مَا اتَّبَعْتُكَ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقًّا، وَلَكِنَّ بَنِي قُصَيٍّ، قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللَّوَاءُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، قَالُوا: فِينَا السَّقَايَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكْبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ " (٢).

— والصديق يوسف (عليه السلام) انتهز فرصة تفسير الرؤيا بالكلام في الدعوة إلى الله ﷻ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾.

(١) مسند أحمد» أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين» حديث سعد الدليل رضي الله تعالى عنه (١٦٢٥٠).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي» المَدْخُلُ إِلَى دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ ... « حَدِيثُ هُنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ... « بَابُ: اعْتِرَافُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِمَا فِي كِتَابِ ... رقم الحديث: ٥٣٩.

(١) سورة يوسف - الآية ٣٩

الاستمرارية في جهد الدعوة إلى الله (وَعَزَّكَ)

فالله تبارك وتعالى قص علينا قصص الأنبياء وكيف استمراهم بالدعوة رغم المعاندين لهم وعدم استجابة الأقوام، فنوح عليه السلام كان مشغولاً بالدعوة ليلاً نهاراً وما سأم رغم قلة المستجيبين، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا...﴾ (١). وذلك مع طول المدة ولم يسأم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٢). وهكذا شأن الداعية الصادق المخلص المحب للدعوة، إذا وجد الفرصة سانحة للدعوة إلى الله دعا.

ولا يحق له أن يترك الدعوة بحجة أن الناس لا يستجيبون، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤). والله تبارك وتعالى أرسل موسى وهارون لدعوة فرعون مرات عديدة، مع أن الله يعلم أن فرعون لا يهتدي.

والدعوة واجب شرعي عليك القيام به سواء اهتدي الناس أم لم يهتدوا، قال

(١) سورة نوح - الآية ٥.

(٢) سورة العنكبوت - الآية ١٤.

(٣) سورة القصص - الآية ٥٦.

(٤) سورة الشورى - الآية ٥٢.

تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

فعلى من نصب نفسه لنشر الحق وتعليم الهدى لا بد أن يعتني بدينه أولاً بالتوبة الدائمة اقتداء بالنبي (ﷺ) إذ يقول: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ " رواه مسلم .

وقال ابن حبان رحمه الله: " عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ ، أَخْبَرَنِي ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بُرْدَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ يَقُولُ لَهُ : الْأَعْرُ ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ (ﷺ) ، يَقُولُ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ " .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ (ﷺ) : " تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ " يُرِيدُ بِهِ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : " فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ " .

وَكَانَ اسْتِغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لِتَقْصِيرِهِ فِي الطَّاعَاتِ الَّتِي وَظَّفَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ (ﷺ) كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ إِذَا عَمَلَ خَيْرًا أَنْ يُثَبِّتَهُ فَيَدُومَ عَلَيْهِ ، فَرُبَّمَا اشْتَغَلَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ عَنْ ذَلِكَ الْخَيْرِ الَّذِي كَانَ يُوَاطِبُ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ آخَرَ ، مِثْلُ اشْتَغَالِهِ بِوَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ وَالْقِسْمَةِ فِيهِمْ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ يُصَلِّيهِمَا بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَلَمَّا صَلَّى الْعَصْرَ أَعَادَهُمَا ، فَكَانَ اسْتِغْفَارُهُ (ﷺ) لِلتَّقْصِيرِ فِي خَيْرٍ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِخَيْرٍ ثَانٍ عَلَى حَسَبِ مَا وَصَفْنَا . " (١) .

(١) سورة البقرة - الآية ٥٢ .

(١) صحيح ابن حبان « كِتَابُ الرَّفَائِقِ » بَابُ الْأَدْعِيَةِ « ذِكْرُ الْأَمْرِ بِالْإِسْتِغْفَارِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا ... رقم الحديث : ٩٣٧ .

فيجب على العلماء والدعاة لزوم المحافظة على الصلوات والأذكار والسنن وتلاوة القرآن وطيب المأكَل وتطهير النفس من الحقد والحسد والكبر والغيبة والنميمة وغيرها من المهلكات ممثلين قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١).

وهذه الأمور يجمعها جميعاً لزوم الاستقامة، قال تعالى ﴿... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ * رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٢).

وفي الحديث عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: غَيْرُكَ، قَالَ: "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِم" (٣).

مقام الدعوة إلى الله (مقام المحبين)

قال ابن القيم (رحمه الله): فَإِنَّهُ يُعْفَى لِلْمُحِبِّ، وَلِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ، مَا لَا يُعْفَى لِغَيْرِهِ، وَيُسَامَحُ بِمَا لَا يُسَامَحُ بِهِ غَيْرُهُ .

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ : انْظُرْ إِلَى مُوسَى - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - رَمَى الْأَلْوَاحَ الَّتِي فِيهَا كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ فَكَسَرَهَا، وَجَرَّ بِلَحِيَّةِ نَبِيِّ مِثْلِهِ، وَهُوَ هَارُونَ، وَلَطَمَ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَفَقَّأَهَا، وَعَاتَبَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَفَعَهُ عَلَيْهِ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَحْتَمِلُ لَهُ

(١) سورة التغابن - الآية ١٦ .

(٢) سورة آل عمران - الآيتان ٧ ، ٨ .

(٣) صحيح مسلم « كِتَابُ الْإِيمَانِ » بَابُ جَامِعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ رقم الحديث: (٥٨).

ذَلِكَ كُلُّهُ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدُلُّهُ، لِأَنَّهُ قَامَ لِلَّهِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي مُقَابَلَةِ
أَعْدَى عَدُوِّ لَهُ، وَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَعَالَجَ أُمَّتِي الْقَبِطَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ،
فَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كَالشَّعْرَةِ فِي الْبَحْرِ .

وَانْظُرْ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لِمُوسَى، غَاظَبَ
رَبَّهُ مَرَّةً، فَأَخَذَهُ وَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ لَهُ مَا احْتَمَلَ مُوسَى، وَفَرَّقَ
بَيْنَ مَنْ إِذَا أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ مَا يَشْفَعُ لَهُ،
وَبَيْنَ مَنْ إِذَا أَتَى بِذَنْبٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِكُلِّ شَفِيعٍ، كَمَا قِيلَ :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ
فَالْأَعْمَالُ تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَتُذَكِّرُ بِهِ إِذَا وَقَعَ فِي الشَّدَائِدِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ
ذِي النُّونِ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، وَفِرْعَوْنُ لَمَّا
لَمْ تَكُنْ لَهُ سَابِقَةُ خَيْرٍ تَشْفَعُ لَهُ وَقَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو
إِسْرَائِيلَ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ .

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " إِنْ مَا تَذَكَّرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ - مِنَ التَّسْبِيحِ ،
وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ - يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهْنٌ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ ، يُذَكِّرُنَ
بِصَاحِبِهِنَّ ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ ؟ " وَلِهَذَا مَنْ رَجَحَتْ
حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ أَفْلَحَ وَلَمْ يُعَذَّبْ، وَوُهِبَتْ لَهُ سَيِّئَاتُهُ لِأَجْلِ حَسَنَاتِهِ، وَلِأَجْلِ
هَذَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِ التَّوْحِيدِ مَا لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِ الْإِشْرَاقِ، لِأَنَّهُ قَدْ قَامَ بِهِ مِمَّا يُحِبُّهُ
اللَّهُ مَا اقْتَضَى أَنْ يَغْفَرَ لَهُ، وَيُسَاحِجَهُ مَا لَا يُسَامِحُ بِهِ الْمُشْرِكُ، وَكَمَا كَانَ تَوْحِيدُ

الْعَبْدُ أَعْظَمَ ، كَانَتْ مَغْفِرَةُ اللَّهِ لَهُ أَتَمَّ ، فَمَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا الْبَتَّةَ غَفَرَ لَهُ
ذُنُوبَهُ كُلَّهَا، كَأَنَّهُ مَا كَانَتْ، وَلَمْ يُعَذِّبْ بِهَا. (١).

نتيجة العجب

البعض اجتهد في محله حتى فهم الناس العمل ثم ركبوا سيارة الدعوة فجاء
العجب من الركاب ثم غرزت السيارة فنزلوا ليدفعوا بالسيارة ولكن بعضهم
من الأمام والبعض من الخلف فهل تمشي السيارة ؟ ولكن عليهم أن يدفعوا
كلهم من الخلف، ولو الكل في الخلف وضع يده على السيارة ولم يدفع، فكذلك
لم تتحرك.

وهذا الحال أصبح كثير في الدعوة.. قام الأحباب للدعوة مع التواضع
وخفض الجناح فانتشرت الدعوة وأقبل عليها الناس، فجاء العجب عند
الأحباب، فغرزت عربة الدعوة وتوقفت حركة العربة (الدعوة)، وانقسم
الأحباب إلى فريقين: فريق من الخلف وفريق من الأمام، فأصبح التصادم
فتوقفت الدعوة، حتى ولو كان كلهم في الوضع الصحيح، فكثير من الأحباب
يضعون يدهم على الدعوة، مازال متمسك بلباس السنة وترك الأعمال
الانفرادية، والاجتماعية، إلا بعض الأعمال التي فيها حظوظ النفس وأمام
المشايع والأحباب أنا موجود، أما التي فيها الدفع فهو فقط يضع يده..

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» فصل في منازل إياك نعبد» فصل
منزلة التوبة» فصل الأحوال التي تكون معها الكبيرة صغيرة وبالعكس.

فتوقفت عربة الدعوة.. فلا بد للجميع من الاستغفار ويرجعون إلى أنفسهم فيلومونها على تقصيرها، ويطلبون من الله المسامحة، ويتكاتفون خلف الدعوة ويضعون أيديهم، ولا ينظر أحدهم لغيره، ومن الله القبول والتوفيق.

هل واجب الدعوة على الرجال دون النساء؟

ج: يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١). هذه الآية تفيد أن الدعوة واجبة على المؤمنين والمؤمنات، فلا يختص بهذا الواجب أحد دون أحد.

ما حكم من يهاجم الدعوة وأهلها؟

هناك أنواع من الناس، منهم الكفار الذين يهاجمون الدعوة وأهلها، وهؤلاء من مات منهم فهو في نار جهنم، ومن عاش منهم فهو كافر بالله العظيم في حياته يرجى له الإيمان ويُسعى من أجل هدايته، ويعادى على الكفر ما دام مصراً عليه.

ومنهم من هو فاسق ضال مضل، إذا مات لا يُحكم عليه بالنار، ولكن تُرجى له مغفرة الله تعالى، ويُدعى له بالمغفرة، ويُدعى في حياته للرجوع عن ضلاله وفسقه.

(١) سورة التوبة – الآية ٧١.

ومنهم من هو صالح الظاهر لكنه سقيم الفهم أو ضعيف العقل، أو قوّم الدعوة على أساس ما يراه، فيكون هذا من التعامل بين الأشخاص، وهذا يُلتَمَس له العذر ويُعلَّم وجه الخطأ عليه، فيُصحح له خطؤه إن استطيع إلى ذلك سبيل، وإلا فإنه يُعذر في هجومه، لأن هجومه في غير محله، هو ما أراد إلا الخير ولكنه غلط في التصور أو تعامل مع أشخاص لا يمثلون هذا الواقع الذي يريد.

فمهاجمة الدعوة بالإطلاق مهاجمة لدين الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى وصف نفسه بأنه داعي، فقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ (١)، وقال تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) (٢)، والرسول (ﷺ) وصفه الله بقوله: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (٣)، وأمره بذلك في قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤)، وكذلك في قوله: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)، وأمره أن يخبر عن نفسه وعن أتباعه بقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢)، والله سبحانه وتعالى

(١) سورة البقرة - الآية ٢٢١.

(٢) سورة يونس - الآية ٢٥.

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٤٦.

(٤) سورة النحل - الآية ١٢٥.

(١) سورة القصص - الآية ٨٧.

(٢) سورة يوسف - الآية ١٠٨.

أخبر أن أحسن الأقوال وأفضلها عنده سبحانه وتعالى هو الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١)، فلا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً بالله العظيم فيهاجم هذه الدعوة المقصودة في القرآن، لكن قد يهاجم دعوة إنسان بعينه لأن أسلوب هذا الإنسان غير موفق أو غير صالح له هو، أو بينه وبينه مشكلة دنيوية، أو لم يفهم هو دعوة هذا الإنسان، كل ذلك محتمل (٢).

كلمة للمثبطين عن الدعوة

وأخيراً أوجه هذه الكلمة إلى كل مثبط عن عمل الدعوة، إن لم تستطع أن تكون في ركب الدعوة ومكملاً للسلسلة الشريفة (سلسلة الدعاة إلى الله)، فلا تقف في وجه من يقوم بهذا الواجب بالثبيط، فإن الذي يقف أمام الدعاة مثبطاً فهو مكملاً لدور المنافقين الذين ذكرهم الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (١)، ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

(١) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

(٢) نقلاً عن موقع فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي على شبكة الإنترنت.

(١) سورة التوبة - الآية ٨١ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٦٨ .

وصية الشيخ إلياس (رحمه الله) لكل مجتهد

الخروج في سبيل الله هو طريق دعوتنا، فإذا لقينا معارضا في طريق دعوتنا، واتهمنا الناس بما ليس فينا، فلا نمل ولا نياس، بل نتذكر ما لاقاه الأنبياء في طريق دعوتهم إلى الله وعلى رأسهم سيد الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه سنته وإرثه، وإذا استقبلنا الناس بالتقدير والإكرام والشوق إلى ما نقول، فإنما هي منة من الله فالحمد والشكر له وحده، ولنحذر أن يأتي في قلوبنا العجب فنظن أن هذا الاستقبال بسبب أعمالنا وجهدنا، فإنما هي فتنة ونعوذ بالله من الفت ما ظهر منها وما بطن.

نصيحة

من فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) إلى العرب

اسمعوها مني صريحة أيها العرب بالإسلام أعزكم الله لو جمع لي العرب في صعيد واحد واستطعت أن أوجه إليهم خطاباً تسمعه آذانهم، وتعيه قلوبهم لقلت لهم: أيها السادة! إن الإسلام الذي جاء به محمد العربي ﷺ هو منبع حياتكم، ومن أفقه طلع صبحكم الصادق، وأن النبي ﷺ هو مصدر شرفكم وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم - بل وكل خير جاء العالم - فإنما هو عن طريقه وعلى يديه، أباي الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه وتمسككم بأذياله والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولا راد لقضاء الله ولا تبديل

لكلمات الله.

إن العالم العربي بحرٌ بلا ماءٍ كبحر العَرُوض حتى يتخذ محمد ﷺ إماماً وقائداً لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالمَ المظلوم من براثن مجانين أوروبا، الذين يأبون إلا أن يقبروا المدينة وقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم، ويوجه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب، إلى التقديم والانتظام، والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان، وإنه حق على العالم العربي سوف يُسأل عنه عند ربه فليُنظر بماذا يجيب ؟!.

الترغيب في الجهد

- الصحابة رضي الله عنهم لما قاموا بهذا الجهد الله سبحانه وتعالى غير حياتهم، وغير بهم وجه العالم.

_ قال الله تعالى مينا فضيلة بني إسرائيل في زمانهم { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } (١). ولكن لما تركت الجهد أصبحت من أرذل الأمم.

(١) سورة البقرة - الآية ٤٧ ، سورة البقرة - الآية ١٢٢.

أوامر الله عز وجل نوعان

١ - أوامر محبوبة للنفس: كالأمر بالأكل من الطيبات، ونكاح ما طاب من النساء إلى أربع، وصيد البر والبحر ونحو ذلك.

٢ - أوامر مكروهة للنفس: وهي نوعان:

أ- أوامر خفيفة كالأدعية والأذكار والآداب والنوافل والصلوات وتلاوة القرآن ونحوها.

ب- أوامر ثقيلة كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

والإيمان يزيد بامثال الأوامر الخفيفة والثقيلة معا، فإذا زاد الإيمان صار المبتغوض محبوبا، وصار الثقيل خفيفا، وتحقق مراد الله من العبد بالدعوة والعبادة، وتحركت بذلك جوارحه.

نتيقن بأننا لو قمنا بهذا الجهد تأتى لنا نفس النتائج.

سيدنا يوسف (عليه السلام) على أساس رؤيا تحمل جميع الأحوال (يُرمى في الحب ويعلم أن الله سينصره، وأن أهله سيسجدون له،، فتتقن أن الله سينصرنا، فحل مشاكل الداعي من السماء) (حلولنا سهاوية وليست أرضية).

نتحرك ونتيقن أن الله سينصر دينه، ونكون مطمئنين حتى ولو جاءت علينا المشاكل بسبب جهدنا، ونتيقن أن الله ظاهر دينه: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (١)، {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا } (٢).

النبي ﷺ خرج من المدينة في ٢٧ غزوة بنفسه، وأخرج الصحابة في ٥٧ سرية، ليكون مجموع الغزوات والسرايا ٨٤ غزوة وسرية، أي في كل سنة خروج ٨ مرات (٣)، فالذين يقومون بالدعوة الله سبحانه وتعالى يعطيهم من خصائص النبوة كما في كتب السيرة، إطاعة كل شيء لهم .

متى جاء الوعد بفتح فارس والروم؟

جاء عند اشتداد الأحوال في الخندق: فعن البراء بن عازب الأنصاري ، قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمُعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهَا أَخَذَ الْمُعْوَلَ وَقَالَ: " بِسْمِ اللَّهِ "، وَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، فَقَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَ الْمُدَائِنِ الْأَبْيَضِ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: " بِسْمِ اللَّهِ " ، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ ، فَقَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي

(١) سورة التوبة _ الآية ٣٣، سورة الصف _ الآية ٩ .

(٢) سورة الفتح _ الآية ٢٨ .

(٣) وقيل: أن السرايا فهي أكثر من الغزوات، وقال الحافظ في الفتح في آخر كتاب المغازي "وقرأت بخط مغلطاي أن مجموع الغزوات والسرايا مائة.

لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي السَّاعَةِ" (١) ، وقال تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٢).

الذي يقوم بالدعوة الله يعطيه نصرة كنصرة الأنبياء: قال تعالى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } (٣).

ويعطيه الله تأييدا من عنده قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } (٤).

تغيير نوااميس الكون للدعاة إلى الله كما فعل الله مع أنبيائه وصحابته:

(١) قصة يوشع بن نون عليه السلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ: لِقَوْمِهِ لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَّلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْبِيَّ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا، وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةً

(١) مسند أحمد بن حنبل « مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ (١٨٣١٣)، السنن الكبرى للنسائي (٨٥٣٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٦١٢١)، دلائل النبوة لأبي نعيم (٤٢٧)، مسند أبي يعلى الموصلي (١٦٧٣)، دلائل النبوة للبيهقي (١٣٣٥).

(٢) سورة الأنعام - الآية ١١٥.

(٣) سورة غافر - الآية ٥١.

(٤) سورة الصف - الآية ١٤.

الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لِلشَّمْسِ إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا فَحَبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتَكَ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا " متفق عليه (١).

(٢) عقبة في القيروان: عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْقُرَشِيُّ الْفَهْرِيُّ الْأَمِيرُ نَائِبُ إِفْرِيقِيَّةَ لِمُعَاوِيَةَ، وَلِيزِيدَ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْقَيْرَوَانَ، وَأَسْكَنَهَا النَّاسَ.. وَهُوَ ابْنُ أَخِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ لِأُمِّهِ.. وكلامه مع الدواب والأسود والحيات وسماهم لكلامه، قَالَ الْوَاقِدِيُّ: جَهَّزَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ، فَافْتَتَحَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَاخْتَطَّ قَيْرَوَانَهَا، وَكَانَ الْمَوْضِعُ غِيْضَةً لَا يُرَامُ مِنَ السَّبَاعِ وَالْأَفَاعِي، فَدَعَا عَلَيْهَا، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا شَيْءٌ، وَهَرَبُوا حَتَّى إِنَّ الْوُحُوشَ لَتَحْمِلُ أَوْلَادَهَا. وعن مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَادَى: إِنَّا نَارِلُونَ فَاطْعُنُوا، فَخَرَجْنَا مِنْ جِحْرَتِهِنَّ هَوَارِبَ.

وَرَوَى نَحْوَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ عُقْبَةُ إِفْرِيقِيَّةَ، قَالَ: يَا أَهْلَ الْوَادِي! إِنَّا حَالُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاطْعُنُوا، ثَلَاثَ

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر «حرف التاء» ذكر من اسمه تميم (٩١٦٥).

مَرَّاتٍ، فَمَا رَأَيْنَا حَجَرًا وَلَا شَجَرًا إِلَّا يُخْرِجُ مِنْ تَحْتِهِ دَابَّةً حَتَّى هَبْطَنَ بَطْنُ الْوَادِي. ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: انْزِلُوا بِسْمِ اللَّهِ (١).

(٣) **تميم الداري وإطاعة النيران له:** عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْمَلٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَبِثْتُ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثًا لَا أَطْعَمُ، قَالَ: فَاتَيْتُ عُمَرَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَائِبٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرَ عَلَيْهِ، قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْمَلٍ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى خَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاَنْزِلْ عَلَيْهِ، قَالَ: وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ إِذَا صَلَّى ضَرَبَ يَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَأَخَذَ رَجُلَيْنِ فَذَهَبَ بِهِمَا، فَصَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَضَرَبَ يَدَهُ وَأَخَذَ يَدَيَّ، فَذَهَبَ بِي فَاتَيْنَا بِطَعَامٍ، فَأَكَلْتُ أَكْلًا شَدِيدًا وَمَا شَبِعْتُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ (٢) إِذْ خَرَجَتْ نَارٌ بِالْحَرَّةِ، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى تَمِيمٍ، فَقَالَ: قُمْ إِلَى هَذِهِ النَّارِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ أَنَا وَمَنْ أَنَا؟ قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ مَعَهُ، قَالَ: وَتَبِعْتُهُمَا، فَانْطَلَقَا إِلَى النَّارِ، فَجَعَلَ تَمِيمٌ يَحُوشُهَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَتِ الشُّعْبَ، وَدَخَلَ تَمِيمٌ خَلْفَهَا، قَالَ: فَجَعَلَ عُمَرُ، يَقُولُ: لَيْسَ مَنْ رَأَى كَمَنْ لَمْ يَرَ. قَالَهَا ثَلَاثًا. (١).

(٤) **سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه):** لَمَّا فَتَحَ سَعْدُ بَهْرَسِيرَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا، وَذَلِكَ فِي صَفَرٍ، لَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا يُغْنِمُ، بَلْ قَدْ تَحَوَّلُوا بِكَمَالِهِمْ إِلَى الْمَدَائِنِ وَرَكِبُوا السُّفُنَ، وَضَمُّوا السُّفُنَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَجِدْ سَعْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَيْئًا مِنْ

(١) سير أعلام النبلاء» وممن أدرك زمان النبوة» عقبة بن نافع القرشي.

(٢) وفي رواية: فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ (سير أعلام النبلاء للذهبي).

(١) صحيح البخاري - (٢٩٠٨)، صحيح مسلم (٣٢٩٣).

السُّفْنِ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ تَحْصِيلُ شَيْءٍ مِنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَقَدْ زَادَتْ دِجْلَةً زِيَادَةً عَظِيمَةً،
وَأَسْوَدَ مَاؤُهَا، وَرَمَتْ بِالزَّبَدِ مِنْ كَثَرَةِ الْمَاءِ بِهَا، وَأُخْبِرَ سَعْدٌ، بِأَنْ كَسَرَى يَزْدَجِرْدَ
عَازِمٌ عَلَى أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتِعةِ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى حُلُوَانٍ وَأَنْتَكَ إِنَّمَا تُدْرِكُهُ قَبْلَ
ثَلَاثٍ، فَاتَّ عَلَيْكَ وَتَفَارَطَ الْأَمْرُ، فَحَطَبَ سَعْدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ،
فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ اعْتَصَمَ مِنْكُمْ بِهَذَا الْبَحْرِ؛ فَلَا
تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ مَعَهُ، وَهُمْ يَخْلُصُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا شَاءُوا فَيَنَاقِشُونَكُمْ فِي سُفْنِهِمْ،
وَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ شَيْءٌ تَخَافُونَ أَنْ تُوتُوا مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تُبَادِرُوا جِهَادَ الْعَدُوِّ
بَيْنَاتِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْضُرَكُمْ الدُّنْيَا، أَلَا إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى قَطْعِ هَذَا الْبَحْرِ إِلَيْهِمْ.
فَقَالُوا جَمِيعًا: عَزَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ عَلَى الرُّشْدِ، فَافْعَلْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ نَدَبَ سَعْدُ النَّاسَ
إِلَى الْعُبُورِ، وَيَقُولُ: مَنْ يَبْدَأُ فَيَحْمِي لَنَا الْفِرَاضَ - يَعْنِي ثَغْرَةَ الْمُخَاصَةِ مِنَ
النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى - لِيَجُوزَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ آمِنِينَ. فَانْتَدَبَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو وَذَوُو
الْبَأْسِ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنْ سِتِّائَةٍ، فَأَمَرَ سَعْدٌ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍو، فَوَقَّفُوا
عَلَى حَافَةِ دِجْلَةٍ، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَنْ يُنْتَدِبُ مَعِيَ لِنُكُونِ قَبْلَ النَّاسِ دُخُولًا فِي هَذَا
الْبَحْرِ، فَنَحْمِي الْفِرَاضَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ سِتُّونَ مِنَ الشُّجْعَانِ
الْمَذْكُورِينَ؛ وَالْأَعَاجِمُ وَقُوفٌ صُفُوفًا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَحْبَمَ النَّاسُ عَنِ الْخَوْضِ فِي دِجْلَةٍ، فَقَالَ: أَتَخَافُونَ مِنْ هَذِهِ

النُّطْفَةِ ؟ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا } (١).

٥) ثُمَّ أَقْحَمَ فَرَسَهُ فِيهَا وَاقْتَحَمَ النَّاسُ، وَقَدْ افْتَرَقَ السُّتُونَ فِرْقَتَيْنِ : أَصْحَابُ الْخَيْلِ الذُّكُورِ، وَأَصْحَابُ الْخَيْلِ الْإِنَاثِ، فَلَمَّا رَأَهُمُ الْفُرْسُ يَطْفُونَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ قَالُوا: دِيوَانَا دِيوَانَا. يَقُولُونَ: مَجَانِينُ مَجَانِينُ. ثُمَّ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا تُقَاتِلُونَ إِنْسًا بَلْ تُقَاتِلُونَ جِنًّا. ثُمَّ أَرْسَلُوا فُرْسَانًا مِنْهُمْ فِي الْمَاءِ يَلْتَقُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ لِيَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَاءِ، فَأَمَرَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو أَصْحَابَهُ أَنْ يَشْرَعُوا لَهُمُ الرِّمَاحَ وَيَتَوَخَّوْا الْأَعْيُنَ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِالْفُرْسِ فَقَلَعُوا عُيُونَ خُيُولِهِمْ، فَرَجَعُوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَمْلِكُونَ كَفَّ خُيُولِهِمْ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الْمَاءِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَاصِمُ وَأَصْحَابُهُ فَسَاقُوا وَرَاءَهُمْ حَتَّى طَرَدُوهُمْ عَنِ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَوَقَفُوا عَلَى حَافَةِ الدَّجَلَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَنَزَلَ بَقِيَّةُ أَصْحَابِ عَاصِمٍ مِنَ السُّتَمَانَةِ فِي دِجَلَةٍ، فَخَاضُوهَا، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقَاتَلُوا مَعَ أَصْحَابِهِمْ حَتَّى نَفَوْا الْفُرْسَ عَنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ. وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْكُتَيْبَةَ الْأُولَى كُتَيْبَةَ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِيرُهَا عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو، وَالْكَتَيْبَةَ الثَّانِيَةَ الْكُتَيْبَةَ الْخُرَسَاءِ، وَأَمِيرُهَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو. وَهَذَا كُلُّهُ وَسَعْدٌ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ بِالْفُرْسِ، وَسَعْدٌ وَقَفَّ عَلَى شَاطِئِ دِجَلَةٍ. ثُمَّ نَزَلَ سَعْدٌ بِبَقِيَّةِ الْجَيْشِ، وَذَلِكَ حِينَ نَظَرُوا إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وَقَدْ تَحَصَّنَ بِمَنْ حَصَلَ فِيهِ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ،

وَقَدْ أَمَرَ سَعْدُ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ دُخُولِ الْمَاءِ أَنْ يَقُولُوا: نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ،
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. ثُمَّ افْتَحَمَ
بِفَرَسِهِ دِجْلَةَ، وَافْتَحَمَ النَّاسُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ فَسَارُوا فِيهَا كَأَنَّمَا يَسِيرُونَ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ، فَلَا يَرَى وَجْهَ الْمَاءِ مِنَ الْفُرْسَانِ
وَالرَّجَالَةِ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَمَا يَتَحَدَّثُونَ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ؛ وَذَلِكَ لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ وَالْأَمْنِ، وَالْوُثُوقِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَوَعْدِهِ
وَنَصْرِهِ، وَتَأْيِيدِهِ، وَلَئِنْ أَمِيرُهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُشْهُودِ لَهُمْ
بِالْجَنَّةِ، وَقَدْ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَدَعَا لَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَجِبْ
دَعْوَتَهُ وَسَدِّدْ رَمِيَّتَهُ. وَالْمُقْطُوعُ بِهِ أَنَّ سَعْدًا دَعَا لَجَيْشِهِ هَذَا فِي هَذَا الْيَوْمِ بِالسَّلَامَةِ
وَالنَّصْرِ، وَقَدْ رَمَى بِهِمْ فِي هَذَا الْيَمِّ، فَسَدَّدَهُمُ اللَّهُ وَسَلَّمَهُمْ، فَلَمْ يُفَقَدْ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، غَيْرَ أَنَّ رَجُلًا وَاحِدًا يُقَالُ لَهُ: غَرْقَدَةُ الْبَارِقِيِّ، ذَلَّ عَنْ
فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ، فَأَخَذَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو بْنِ لُجَاجِمَهَا، وَأَخَذَ بِيَدِ الرَّجُلِ حَتَّى عَدَلَهُ
عَلَى فَرَسِهِ، وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ، فَقَالَ: عَجَزَ النِّسَاءُ أَنْ يَلْدَنَّ مِثْلَ الْقَعْقَاعِ بْنِ
عَمْرِو. وَلَمْ يُعْذَمِ لِلْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ مِنْ أُمْتِعَتِهِمْ غَيْرَ قَدَحٍ مِنْ خَشَبٍ لِرَجُلٍ يُقَالُ
لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَامِرٍ. كَانَتْ عِلَاقَتُهُ رَثَةً، فَأَخَذَهُ الْمَوْجُ، فَدَعَا صَاحِبَهُ اللَّهَ، عَزَّ
وَجَلَّ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِنْ بَيْنِهِمْ يَذْهَبُ مَتَاعِي. فَرَدَّهُ الْمَوْجُ إِلَى الْجَانِبِ
الَّذِي يَقْصِدُونَهُ، فَأَخَذَهُ النَّاسُ ثُمَّ رَدُّوهُ عَلَى صَاحِبِهِ بَعَيْنِهِ. وَكَانَ الْفَرَسُ إِذَا أَعْيَا
وَهُوَ فِي الْمَاءِ، يُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ النَّشْرِ الْمُرتَفِعِ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ فَيَسْتَرِيحُ، وَحَتَّى إِنَّ

بَعْضُ الْخَيْلِ لَيْسِيرٌ وَمَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَى حِزَامِهَا، وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا، وَأَمْرًا هَائِلًا، وَخَطْبًا جَلِيلًا، وَخَارِقًا بَاهِرًا، وَمُعْجِزَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَلَقَهَا اللَّهُ لِأَصْحَابِهِ، لَمْ يَرِ مِثْلُهَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَلَا فِي بُقْعَةٍ مِنَ الْبِقَاعِ سِوَى قَضِيَّةِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ الْمُتَقَدِّمَةِ، بَلْ هَذَا أَجَلٌ وَأَعْظَمُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْجَيْشَ كَانَ أَضْعَافَ ذَلِكَ. قَالُوا: وَكَانَ الَّذِي يُسَافِرُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْمَاءِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَاللَّهُ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ وَلِيَّهُ، وَلَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ دِينَهُ، وَلَيَهْزِمَنَّ اللَّهُ عَدُوَّهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَيْشِ بَغِيٌّ أَوْ ذُنُوبٌ تَغْلِبُ الْحَسَنَاتِ. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ الْإِسْلَامَ جَدِيدٌ، ذَلَّلْتُ لَهُمُ وَاللَّهُ الْبُحُورُ، كَمَا ذَلَّلَ لَهُمُ الْبَرُّ، أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ لَيَخْرُجَنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا أَفْوَاجًا. فَخَرَجُوا مِنْهُ كَمَا قَالَ سَلْمَانُ، لَمْ يَغْرُقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَفْقِدُوا شَيْئًا. وَلَمَّا اسْتَقَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، خَرَجَتِ الْخَيُْولُ تَنْفُضُ أَعْرَافَهَا صَاهِلَةً، فَسَاقُوا وَرَاءَ الْأَعَاجِمِ حَتَّى دَخَلُوا الْمَدَائِنَ فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَخَذَ كِسْرَى أَهْلَهُ وَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْحَوَاصِلِ، وَتَرَكُوا مَا عَجَزُوا عَنْهُ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَالثِّيَابِ، وَالْمَتَاعِ، وَالْأَنْيَةِ، وَالْأَلْطَافِ، وَالْأَذْهَانِ، مَا لَا يُدْرَى قِيمَتُهُ. وَكَانَ فِي خِزَانَةِ كِسْرَى ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَخَذُوا مِنْ ذَلِكَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَتَرَكُوا مَا عَجَزُوا عَنْهُ، وَهُوَ مِقْدَارُ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ الْمَدَائِنَ كَتِيبَةُ الْأَهْوَالِ، ثُمَّ الْكَتِيبَةُ الْخُرَسَاءُ، فَأَخَذُوا فِي سِكَكِهَا لَا يَلْقَوْنَ أَحَدًا وَلَا يَخْشَوْنَ، غَيْرَ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، فَفِيهِ مُقَاتِلَةٌ، وَهُوَ

مُحَصَّنٌ . فَلَمَّا جَاءَ سَعْدٌ بِالْجَيْشِ، دَعَا أَهْلَ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، عَلَى لِسَانِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ نَزَلُوا مِنْهُ، وَسَكَنَهُ سَعْدٌ وَاتَّخَذَ الْإِيوَانَ مُصَلًّى، وَحِينَ دَخَلَهُ ثَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى: { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ } (١) . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى صَدْرِهِ فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ صَلَاةَ الْفَتْحِ، وَذَكَرَ سَيْفٌ فِي رِوَايَتِهِ أَنَّهُ صَلَّاهَا بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّهُ جَمَعَ بِالْإِيوَانِ، فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ بِالْعِرَاقِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ سَعْدًا نَوَى الْإِقَامَةَ بِهَا، وَبَعَثَ إِلَى الْعِيَالِ فَانْزَلَهُمْ دُورَ الْمَدَائِنِ وَاسْتَوْطَنُوها، حَتَّى فَتَحُوا جُلُولَاءَ وَتَكَرَّيْتَ وَالْمُوصِلَ، ثُمَّ تَحَوَّلُوا إِلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ . طَائِفَةٌ فَقَتَلُوهُمْ وَشَرَّدُوهُمْ، وَاسْتَلَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، أَكْثَرَهَا مِنْ مَلَابِسٍ كِسْرَى وَتَاجِهِ وَحُلِيِّهِ . وَشَرَعَ سَعْدٌ فِي تَحْصِيلِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ وَالتَّحْفِ، بِمَا لَا يُقَوِّمُ وَلَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ؛ كَثْرَةً وَعَظَمَةً .

وَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ تَمَائِيلٌ مِنْ جِصٍّ ، فَنَظَرَ سَعْدٌ إِلَى أَحَدِهَا وَإِذَا هُوَ يُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ إِلَى مَكَانٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: إِنَّ هَذَا لَمْ يُوضَعْ هَكَذَا سُدىً . فَأَخَذُوا مَا يُسَامِتُ أَصْبُعَهُ، فَوَجَدُوا قُبَالَتَهَا كَنْزًا عَظِيمًا مِنْ كُنُوزِ الْأَكَاسِرَةِ الْأَوَائِلِ، فَأَخْرَجُوا مِنْهُ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جَزِيلَةً، وَحَوَاصِلَ بَاهِرَةٍ، وَتُحَفًا فَاخِرَةً . وَاسْتَحْوَذَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا هُنَالِكَ أَجْمَعٍ، بِمَا لَمْ يَرَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا أَعْجَبَ مِنْهُ . وَكَانَ فِي جُمْلَةِ ذَلِكَ تَاجُ

(١) سورة الدُّخَانِ: الآية ٢٨ .

كِسْرَى وَهُوَ مُكَلَّلٌ بِالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ الَّتِي تُخَيِّرُ الْأَبْصَارَ، وَمِنْطَقَتُهُ كَذَلِكَ، وَسَيْفُهُ وَسِوَارَاهُ وَقَبَاؤُهُ، وَبَسَاطُ إِيوَانِهِ، وَكَانَ مُرَبَّعًا، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي مِثْلِهَا، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالْبَسَاطُ مِثْلُهُ سَوَاءً، وَهُوَ مَنْسُوجٌ بِالذَّهَبِ وَاللَّالِئِ وَالْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ، وَفِيهِ مُصَوَّرٌ بِجَمِيعِ مَمَالِكِ كِسْرَى؛ بِلَادُهُ بِأَنْهَارِهَا وَقِلَاعِهَا وَأَقَالِيمِهَا وَكُورِهَا، وَصِفَةُ الزُّرُوعِ وَالْأَشْجَارِ الَّتِي فِي بِلَادِهِ. فَكَانَ إِذَا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، وَدَخَلَ تَحْتَ تَاجِهِ، وَتَاجُهُ مُعَلَّقٌ بِسَلَاسِلِ الذَّهَبِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْلَهُ عَلَى رَأْسِهِ لِثِقَلِهِ، بَلْ كَانَ يَجِيءُ فَيَجْلِسُ تَحْتَهُ، ثُمَّ يَدْخُلُ رَأْسُهُ تَحْتَ التَّاجِ، وَالسَّلَاسِلُ الذَّهَبُ تَحْمِلُهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَسْتُرُهُ حَالُ لُبْسِهِ، فَإِذَا رُفِعَ الْحِجَابُ عَنْهُ، خَرَّتْ لَهُ الْأُمَرَاءُ سُجُودًا، وَعَلَيْهِ الْمِنْطَقَةُ وَالسَّوَارَانِ وَالسَّيْفُ وَالْقَبَاءُ الْمُرْصَعُ بِالْجَوَاهِرِ، فَيَنْظُرُ فِي الْبُلْدَانِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَيَسْأَلُ عَنْهَا، وَمَنْ فِيهَا مِنَ النُّوَابِ، وَهَلْ حَدَثَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ؟ فَيُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَلِأَنَّ الْأُمُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْأُخْرَى، وَهَكَذَا حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَا يُهْمِلُ أَمْرَ الْمَمْلَكَةِ، وَقَدْ وَضَعُوا هَذَا الْبَسَاطَ بَيْنَ يَدَيْهِ، تَذَكُّارًا لَهُ بِشَأْنِ الْمَالِكِ، وَهُوَ اضْطِلَاحٌ جَيِّدٌ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ السِّيَاسَةِ. فَلَمَّا جَاءَ قَدْرُ اللَّهِ، زَالَتْ تِلْكَ الْأَيْدِي عَنْ تِلْكَ الْمَالِكِ وَالْأَرَاضِي، وَتَسَلَّمَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَيْدِيهِمْ قَسْرًا، وَكَسَرُوا شَوْكَتَهُمْ عَنْهَا، وَأَخَذُوهَا بِأَمْرِ اللَّهِ صَافِيَةً صَافِيَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَدْ جَعَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى الْأَقْبَاضِ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو بْنِ مُقَرَّرٍ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا حَصَلَ مَا كَانَ فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، وَمَنَازِلِ كِسْرَى، وَسَائِرِ دُورِ الْمَدَائِنِ

وَمَا كَانَ بِالْإِيوَانِ مِمَّا ذَكَرْنَا، وَمَا يَفِدُ مِنَ السَّرَايَا الَّذِينَ فِي صُحْبَةِ زُهْرَةَ بْنِ حَوِيَّةَ،
وَكَانَ فِيهَا رَدَّ زُهْرَةَ بَعْلُ كَانَ قَدْ أَدْرَكَهُ وَغَصَبَهُ مِنَ الْفُرْسِ، وَكَانَتْ تَحُوْطُهُ
بِالسُّيُوفِ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَشَأْنًا. فَرَدَّهُ إِلَى الْأَقْبَاضِ، وَإِذَا عَلَيْهِ
سَفَطَانِ فِيهِمَا ثِيَابُ كِسْرَى وَحُلِيَّةٌ، وَلُبْسُهُ الَّذِي كَانَ يَلْبَسُهُ عَلَى السَّرِيرِ كَمَا
ذَكَرْنَا، وَبَعْلُ آخَرُ عَلَيْهِ تَاجُهُ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي سَفَطَيْنِ أَيْضًا، رُدًّا مِنَ الطَّرِيقِ مِمَّا
اسْتَلَبَهُ أَصْحَابُ السَّرَايَا.

وَكَانَ فِيهَا رَدَّتِ السَّرَايَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ وَفِيهَا أَكْثَرُ أَثَاثِ كِسْرَى، وَأَمْتَعَتْهُ
وَالْأَشْيَاءُ النَّفِيسَةُ الَّتِي اسْتَصْحَبُوهَا مَعَهُمْ، فَلَحِقَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَاسْتَلَبُوهَا مِنْهُمْ
. وَلَمْ تَقْدِرِ الْفُرْسُ عَلَى حَمْلِ الْبَسَاطِ لِثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا حَمْلِ الْأَمْوَالِ لِكَثَرَتِهَا؛
فَإِنَّهُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجِئُونَ بَعْضُ تِلْكَ الدُّورِ فَيَجِدُونَ الْبَيْتَ مَلَانًا إِلَى أَعْلَاهُ مِنْ
أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَيَجِدُونَ مِنَ الْكَافُورِ شَيْئًا كَثِيرًا، فَيَحْسَبُونَهُ مِلْحًا،
وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْعَجِينَ فَوَجَدُوهُ مُرًّا، حَتَّى تَبَيَّنُوا أَمْرَهُ.

فَتَحَصَلَ الْفِيءُ عَلَى أَمْرِ عَظِيمٍ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَشَرَعَ سَعْدٌ فَخَمَسَهُ، وَأَمَرَ سَلْمَانَ
بْنَ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ فَقَسَمَ الْأَرْبَعَةَ الْأَخْمَاسَ بَيْنَ الْغَانِمِينَ، فَحَصَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ
الْفُرْسَانِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَكَانُوا كُلُّهُمْ فُرْسَانًا، وَمَعَ بَعْضِهِمْ جَنَائِبُ. وَاسْتَوْهَبَ
سَعْدٌ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْبَسَاطِ وَلُبْسَ كِسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَبْعَثَهُ إِلَى عُمَرَ
وَالْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ، وَيَتَعَجَّبُوا مِنْهُ، فَطَيَّبُوا لَهُ ذَلِكَ وَأَذْنُوا فِيهِ، فَبَعَثَهُ
سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ مَعَ الْخُمْسِ مَعَ بَشِيرِ بْنِ الْخُصَاصِيَّةِ، وَكَانَ الَّذِي بَشَّرَ بِالْفَتْحِ قَبْلَهُ

حُلَيْسُ بْنُ فُلَانٍ الْأَسَدِيُّ، فَرَوَيْنَا أَنَّ عُمَرَ لَمَّا نَظَرَ إِلَى ذَلِكَ قَالَ : إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا هَذَا لَأَمْنَاءَ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتْ رَعِيَّتُكَ ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعْتَ. ثُمَّ قَسَمَ عُمَرُ ذَلِكَ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَصَابَ عَلِيًّا قِطْعَةً مِنَ الْبَسَاطِ فَبَاعَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفًا (١).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي " الدَّلَائِلِ " - وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ أَيْضًا - مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: انْتَهَيْنَا إِلَى دِجْلَةٍ وَهِيَ مَادَّةٌ وَالْأَعَاجِمُ خَلْفَهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ فَارْتَفَعَ عَلَى الْمَاءِ. فَقَالَ النَّاسُ: بِسْمِ اللَّهِ. ثُمَّ اقْتَحَمُوا فَارْتَفَعُوا عَلَى الْمَاءِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَقَالُوا: دِيوَانٌ، دِيوَانٌ. أَيُّ مَجَانِينُ، ثُمَّ ذَهَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ. قَالَ: فَمَا فَقَدَ النَّاسُ إِلَّا قَدْحًا كَانَ مُعَلَّقًا بِعَذْبَةِ سَرَجٍ، فَلَمَّا خَرَجُوا أَصَابُوا الْغَنَائِمَ وَاقْتَسَمُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقُولُ: مَنْ يُبَادِلُ صَفْرَاءَ بَيْضَاءَ؟ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي " السَّيْرَةِ الْعُمَرِيَّةِ " وَأَيَّامَهَا، وَفِي " التَّفْسِيرِ " أَيْضًا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ اقْتَحَمَ دِجْلَةَ يَوْمَئِذٍ أَبُو عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ أَمِيرُ الْجِيُوشِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى دِجْلَةٍ فَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا } (١). ثُمَّ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى وَاقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ الْمَاءَ، وَاقْتَحَمَ الْجَيْشُ وَرَاءَهُ، وَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ

(١) البداية والنهاية» ثم دخلت سنة ست عشرة» ذَكَرُ فَتَحِ الْمَدَائِنِ الَّتِي هِيَ مُسْتَقَرُّ مُلْكِ كِسْرَى.

(١) سورة آلِ عِمْرَانَ : الآية ١٤٥.

يَفْعَلُونَ ذَلِكَ جَعَلُوا يَقُولُونَ: دِيَوَانُ دِيَوَانُ. أَيُّ مَجَانِينُ مَجَانِينُ. ثُمَّ وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَقَتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَغَنِمُوا مِنْهُمْ مَغَانِمَ كَثِيرَةً (١).

(٦) استجابة دعاء العلاء الحضرمي (رضي الله عنه): عَنْ قُدَامَةَ ابْنِ أُخْتِ سَهْمِ بْنِ مَنجَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَهْمًا، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ دَارِينَ، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِيهِنَّ كُلُّهُنَّ، قَالَ: سِرْنَا مَعَهُ، قَالَ: فَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَطَلَبْنَا الْوُضُوءَ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ " يَا عَلِيمُ، يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ، إِنَّا عَيْدُكَ، وَفِي سَبِيلِكَ نُقَاتِلُ عَدُوَّكَ، اسْقِنَا غَيْثًا نَشْرَبُ مِنْهَا وَنَتَوَضَّأُ، وَإِذَا تَرَكْنَاهُ فَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبًا غَيْرَنَا ". قَالَ: فَسِرْنَا، فَمَا جَاوَزْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَيْنٍ مِنْ مَاءٍ سَمَاءٍ، حِينَ انْقَلَعَتْ عَنْهُ السَّمَاءُ تَدْفَقُ، قَالَ: فَشَرِبْنَا، وَتَزَوَّدْنَا، وَمَلَأْتُ إِدَاوِيَّ، ثُمَّ تَرَكْنَاهَا، وَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ، هَلِ اسْتُجِيبَ لَهُ؟ قَالَ: فَسِرْنَا مِيلًا، وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: نَسِيتُ إِدَاوِيَّ، فَذَهَبْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَكَأَنَّمَا لَمْ يَكُنْ مَاءٌ قَطُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ إِدَاوِيَّ، وَجِئْتُهُمْ، فَلَمَّا أَتَيْنَا دَارِينَ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْبَحْرُ، فَدَعَا، فَقَالَ: " اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ، يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ، إِنَّا عِبَادُكَ، وَفِي سَبِيلِكَ، اجْعَلْ لَنَا سَبِيلًا إِلَى عَدُوِّكَ ".

(١) البداية والنهاية « سنة إحدى عشرة من الهجرة » فصل إيراد ما بقي علينا من متعلقات السيرة الشريفة « معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله » خبر أول من اقتحم دجلة.

ثُمَّ تَقَحَّم بِنَا فِي الْبَحْرِ، فَوَ اللَّهُ مَا ابْتَلَتْ سُرُجُنَا حَتَّى خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ ، وَمَا احْتَبَسَ مِنَّا رَجُلٌ، فَلَمَّا رَجَعْنَا اشْتَكَى الْبَطْنُ فَمَاتَ ، فَلَمْ نَجِدْ مَاءً نَغْسَلُهُ، فَلَفَقْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ، وَدَفَنَاهُ، فَمَا سِرْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ، فَإِذَا مَاءٌ كَثِيرٌ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: ارْجِعُوا بِنَا حَتَّى نَسْتَخْرِجَهُ، فَنُغْسَلُهُ، فَرَجَعْنَا فَطَلَبْنَا قَبْرَهُ، فَخَفِيَ عَلَيْنَا مَوْضِعُهُ، فَلَمَّا لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: ارْجِعُوا، لَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَدْعُو اللَّهَ يَقُولُ: " يَا عَلِيمُ، يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيٌّ، يَا عَظِيمُ، اخْفِ جَسَدِي، وَلَا تُطْلِعْ أَحَدًا عَلَى جَسَدِي، وَلَا تُرِ أَحَدًا عَوْرَتِي "، قَالَ: فَرَجَعْنَا وَتَرَكْنَاهُ (١).

(٧) الغلام النجراني (الذي ذكره الله قصته مجملة في سورة البروج، وفصلها رسول الله في حديث الغلام والساحر) وكيف سخر له البحر يمشي عليه.

(٨) الذي قتل مائة نفس، لما استجاب للعالم وغير البيئة فوراً، فغير الله له نواميس الكون نقداً بعد موته.

- لا بد من تغيير العواطف فالصحابة قطعوا حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام.

- مطلوب وجود الدين في حياتنا قبل الناس، ثم نقول للناس : كونوا مثلنا.

- النبي أقام نفسه ثم أقام الناس على الجهد.

- القرآن كله دعوة.

- اجعلوا كلامكم على قدر أعمالكم، حتى يكون الكلام له أثر.

(١) الدعاء لمحمد بن فضيل الضبي _ (رقم الحديث: ٧٩).

- كلام الدعوة مثل الأذان، وعمل الدعوة مثل الصلاة.
- الصحابة كانوا مثل الورد، ولكن المسلمون اليوم مثل الشوكة والكل يريد كسر هذه الشوكة.
- نجتهد على صفاتنا حتى تتحسن ولا نكون مثل أصحاب التيه.
- للإنسان ثروتان: (داخلية في القلب _ وخارجية في اليد).
- التي في القلب التقوى والخشية والإنابة والخوف والمحبة واليقين والتوكل والإخلاص.

والتي في اليد: الملك والمال والجاه والمنصب والعقار والأشياء المادية.

فَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَدَجٌ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ ، فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَرْتُهُ فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ: أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَرْتُهُ فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهِ ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْرًا فَيُمَضَى بِهِ إِلَى النَّارِ " رواه الترمذي (١).

لا تتأثر بأشياء الدنيا فقد أهدي لعائشة فراش، فأمرها أن ترده، فعن عائشة،
قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَبَاءَةً ثَنِيَّةً،
فَانْطَلَقَتْ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

(١) سنن الترمذي (٢٣٦٤).

فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فُلَانَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ عَلَيَّ، فَرَأَتْ فِرَاشَكَ، فَذَهَبَتْ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَذَا، فَقَالَ: «رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ» ، قَالَتْ: فَلَمْ أَرُدَّهُ، وَأَعْجَبَنِي أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِي، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتْ: فَقَالَ: «رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ فَوَ اللَّهُ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ» (١). فلم يتأثر النبي بأشياء الدنيا.

- الأنبياء بعثوا بشيء واحد لا بد أن نقف عليه: ألا وهو : لا إله إلا الله: (رصيد كل نبي) يقين الكلمة: فليس عندهم أي قوة مادية، بل عندهم اليقين على الكلمة ،وقد ذكر لنا ابن جرير الطبري عن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من قومه، قال: كان أهل حمص يتواصلون فيما بينهم ، ويقولون: تمسكوا فإنهم حفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون، فكانت الروم تراجع، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم، وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصبع أحد منهم ، حتى إذا انخنس الشتاء، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين ، قالوا : كيف والمملك في سلطانه وعزه ، ليس بيننا وبينهم شيء ؟ فتركهم، وقام فيهم آخر، فقال: ذهب الشتاء وانقطع الرجاء، فما تنتظرون ؟ فقالوا: البرسام، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف. فقال: إن هؤلاء قوم يعانون، ولأن تأتوهم بعهد

(١) ارواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٩٢) وفي دلائل النبوة (٣٢٩). المعجم الأوسط للطبراني(٦١٩٥) الزهد لأحمد بن حنبل(٧٦).

وميثاق خير من أن تؤخذوا عنوة، أجيبوني محمودين قبل أن تجيبوني مذمومين.
فقالوا: شيخ خرف، ولا علم له بالحرب.

وعن أشياخ من غسان، وبلقين: قالوا أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص، وذلك أن المسلمين ناهدوهم ، فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة، وتصدعت الحيطان، ففرعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة، فلم يجيبوهم وأذلّوهم بذلك ، ثم كبروا الثانية فتهافت منها دور كثيرة وحيطان، وفرعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله ؟ فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيركم، فأشرفوا فنادوا: الصلح الصلح، ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلونه عليهم، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار، وطعام على كل جريب أبداً أيسروا أو أعسروا ، وصالح بعضهم على قدر طاقته، إن زاد ماله زيد عليه، وإن نقص نقص، وكذلك كان صلح دمشق والأردن، بعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا، وبعضهم على قدر طاقته، وولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه(١).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الْأُمَوِيِّ قَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرْقُلَ صَاحِبِ الرُّومِ نَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا الْغَوَاطَةَ

(١) تاريخ الطبري « ثم دخلت سنة خمس عشرة » ذكر فتح حمص.

يَعْنِي غَوَاطَّةَ دِمَشْقَ فَنَزَلْنَا عَلَى جَبَلَةٍ بَيْنَ الْأَيْمَمِ الْعَسَانِي فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ لَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا بِرَسُولِهِ نُكَلِّمُهُ فَقُلْنَا وَاللَّهِ لَا نُكَلِّمُ رَسُولًا وَإِنَّمَا بَعْثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فَإِنْ أَذِنَ لَنَا كَلَّمْنَاهُ وَإِلَّا لَمْ نُكَلِّمِ الرَّسُولَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ فَأَذِنَ لَنَا فَقَالَ تَكَلَّمُوا فَكَلَّمَهُ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِذَا عَلَيْهِ ثِيَابٌ سُودٌ فَقَالَ لَهُ هِشَامُ وَمَا هَذِهِ الَّتِي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ لَبِسْتُهَا وَحَلَفْتُ أَنْ لَا أُزِعَهَا حَتَّى أُخْرِجَكُمْ مِنَ الشَّامِ قُلْنَا وَمَجْلِسُكَ هَذَا وَاللَّهِ لَا خُذْنَهُ مِنْكَ وَلَا خُذَنَّ مِنْكَ الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " لَسْتُ بِهَمٍّ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَصُومُونَ بِالنَّهَارِ وَيَقُومُونَ بِاللَّيْلِ فَكَيْفَ صَوْمُكُمْ ؟ " فَأَخْبَرْنَاهُ فَمُلِمِّي وَجْهَهُ سَوَادًا فَقَالَ قُومُوا وَبَعَثْ مَعَنَا رَسُولًا إِلَى الْمَلِكِ فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ لَنَا الَّذِي مَعَنَا إِنَّ دَوَابَّكُمْ هَذِهِ لَا تَدْخُلُ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَإِنْ شِئْتُمْ حَمَلْنَاكُمْ عَلَى بَرَادِيزٍ وَبِغَالٍ قُلْنَا وَاللَّهِ لَا نَدْخُلُ إِلَّا عَلَيْهَا فَأَرْسَلُوا إِلَى الْمَلِكِ أَنَّهُمْ يَأْبُونَ ذَلِكَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ نَدْخُلَ عَلَى رَوَاحِلِنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا مُتَقَلِّدِينَ سُيُوفَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى غُرْفَةٍ لَهُ فَأَنخَنَّا فِي أَصْلَافِهَا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا فَقُلْنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَاللَّهُ يَعْلَمُ لَقَدْ انْتَفَضَتِ الْغُرْفَةُ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا عِدْقٌ تَصْفِقُهُ الرِّيَّاحُ . قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَجْهَرُوا عَلَيْنَا بِدِينِكُمْ وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا أَنْ أَدْخُلُوا فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشٍ لَهُ وَعِنْدَهُ بَطَارِقَةٌ مِنَ الرُّومِ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي مَجْلِسِهِ أَحْمَرٌ وَمَا حَوْلَهُ مُحْمَرٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مِنَ الْحُمْرَةِ فَدَنَوْنَا مِنْهُ فَضَحِكَ فَقَالَ مَا عَلَيْكُمْ لَوْ جِئْتُمُونِي بِتَحِيَّاتِكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ ؟ وَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ فَصِيحٌ بِالْعَرَبِيَّةِ كَثِيرٌ

الْكَلَامَ فَقُلْنَا إِنَّ نَحْيَيْنَا فِيمَا بَيْنَنَا لَا تَحِلَّ لَكَ وَنَحْيَيْكَ الَّتِي نَحْيَا بِهَا لَا يَحِلَّ لَنَا أَنْ نَحْيَيْكَ بِهَا قَالَ كَيْفَ نَحْيَيْكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ ؟ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ قَالَ فَكَيْفَ نُحْيُونَ مَلِكَكُمْ ؟ قُلْنَا بِهَا قَالَ فَكَيْفَ يَرُدُّ عَلَيْكُمْ ؟ قُلْنَا بِهَا قَالَ فَمَا أَعْظَمَ كَلَامَكُمْ ؟ قُلْنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَلَمَّا تَكَلَّمْنَا بِهَا وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَقَدْ انْتَفَضَتْ الْغُرْفَةُ حَتَّى رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا قَالَ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي قُلْتُمُوهَا حَيْثُ انْتَفَضَتْ الْغُرْفَةُ أَكَلَمًا قُلْتُمُوهَا فِي بُيُوتِكُمْ انْتَفَضَتْ عَلَيْكُمْ غُرُفُكُمْ قُلْنَا لَا مَا رَأَيْنَاهَا فَعَلْتَ هَذَا قَطُّ إِلَّا عِنْدَكَ قَالَ لَوَدِدْتُ أَنَّكُمْ كُلَّكُمْ قُلْتُمْ انْتَفَضَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي قَدْ خَرَجْتُ مِنْ نِصْفِ مُلْكِي قُلْنَا لِمَ ؟ قَالَ لِأَنَّهُ كَانَ أَيْسَرُ لِسَانِهَا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا تَكُونَ مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَأَنَّهَا تَكُونُ مِنْ حِيلِ النَّاسِ (١).

وقال شرحبيل بن حسنة لملك الإسكندرية وهو يفاوضه: أن الله عبادا لو أقسموا على الله أن يدكدك لهم هذا السور لفعل وكانت إشارته إلى سور المدينة فغار السور في الأرض وبانت المنازل والدور قال فارتعدت فرائص الملك لما عاين ذلك من عظيم القدرة فلوى عنان جواده إلى عسكره وأفندتهم قد طارت وأفكار القبط قد حارت فلما جن الليل أخذ الملك خزائنه وأمواله وحرимه وعياله وركب في المراكب وسار يريد جزيرة أقيطش (١).

فالصحابة بهروا العالم بيقينهم وليس بكلامهم .. ففوة الفرس والروم جاءت تحت أقدامهم، لأن قوة إيمانهم كانت أكبر من أي قوة مادية.

(١) حياة الصحابة _ باب انتفاض غرفات الأعداء بالتهليل و التكبير ٣ / ٥٦٢ .

(١) فتوح الشام للواقدي .

- اليقين أكبر من قوة القبلة الذرية.
- ندعو الناس إلى النظام الغيبي.
- الأسباب خدعة وسراب وامتحان قال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (١).
- إذا سمعنا عن الله كثيراً، فتأثر بقدرته وفعاليته، وإذا سمعنا عن المخلوق وتكلمنا عن المخلوق نتأثر بالمخلوق.. أبو بكر الصديق تأثر من الأمر وما يتأثر من الحال عند موت النبي ﷺ، فعن عُمَرَ - رضى الله عنه - ذَكَرَ عِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ فَبَكَى وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ عَمَلِي كُلَّهُ مِثْلُ عَمَلِهِ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِهِ ، وَلَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ ، أَمَّا لَيْلَتُهُ فَلَيْلَةٌ سَارَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْغَارِ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهِ قَالَ : وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخَلَ قَبْلَكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ ، فَدَخَلَ فَكَسَحَهُ، وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ نُقْبًا ، فَشَقَّ إِزَارَهُ ، وَسَدَّهَا لَهُ ، وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهُمَا رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - : ادْخُلْ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَامَ فَلَدَغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ خَافَةَ أَنْ يُشْبِهَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: (مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟) قَالَ : لِدَغْتُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، فَتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ ، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ وَأَمَّا يَوْمُهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَقَالُوا : لَا نُؤَدِّي زَكَاةً فَقَالَ : لَوْ مَنَعُونِي

عِقَالًا لِّجَاهِدْتُهُمْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ! تَأَلَّفَ النَّاسَ وَارْفُقْ بِهِمْ فَقَالَ لِي : أَجَبَّارٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَخَوَّارٌ فِي الْإِسْلَامِ ؟ إِنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ أَيْنُقُصُ وَأَنَا حَيٌّ ؟ رَوَاهُ رَزِينٌ (١).

- يقول الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله): إذا اجتهدتم جرام، يكون مقابل له طن دعاء.
- كل آلة خطورتها على قدر قوتها، وعمل الرسول أي خطورة فيه تؤدي إلى جهنم (والعياذ بالله)، وأي اتقان فيه يؤدي إلى الجنة.

- لا بد أن نفهم أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى نفي وإثبات:

✓ لا خالق إلا الله.

✓ لا رازق إلا الله.

✓ لا محيي إلا الله.

✓ لا مميت إلا الله.

بنو إسرائيل عصوا ربنا ﷻ فسلط الله عليهم آل فرعون يسومونهم سوء العذاب كما أخبر ربنا في قرآنه: { وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذُلِّكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ } (١)، { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذُلِّكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ } (٢).

(١) مشكاة المصابيح « كتاب المناقب والفضائل (٦٠٣٤) .

(١) سورة البقرة - الآية ٤٩ .

(٢) سورة إبراهيم - الآية ٦ .

- وذلك مع أنهم أولاد أنبياء ولكن سكاكين آل فرعون عليهم.. وهذا مع أنه لا ضار إلا الله، {....} وَفِي ذُلِّكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ { (١) .
- فلماذا يصيبهم هذا الضرر من بني فرعون، حتى يرجعوا إلى دينهم، ويضحوا له ويخرجوا من حياتهم الحياة الفرعونية، ويدخلوا في حياتهم حياة موسى عليه السلام.
- والنصر من عند الله { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٢) . { وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٣) .
- ومتى؟ عندما يرجع المسلمون إلى الله ويستقيمون على أوامره.

عالمية الدعوة إلى الله

- أُعطي النبي وأُمَّته جهد العالم { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١) (٢) .
- ولم يُعطِ العمر الطويل، ولا الحركة الواسعة، بل لم يخرج من جزيرة العرب.
- فمن يؤدي عنه؟ ومن يبلغ عنه؟ ومن يقوم بدعوته؟ ومن يحمل أمانته؟ (أَلَا لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ) (٣) . وبدأ هذا الكلام في مكة قبل

(١) سورة إبراهيم - الآية ٦ .

(٢) سورة الأنفال - الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٦٠ .

(١) والعالمين تشمل حتى النملة في حجرها .

(٢) سورة الأنبياء - الآية ١٠٧ .

(٣) صحيح البخاري « كتاب العلم » باب لبيلغ العلم الشاهد الغائب (١٠٥) .

الهجرة، عندما جاء معاوية بن حيدة وقال له النبي: أَلَا إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ دَاعِيٌّ وَسَائِلِي: هَلْ بَلَغْتَ عِبَادِي؟ فَلْيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبُكُمْ. فهل من مبلغ؟!.

ونحن أمة الأذان، فما شُرِعَ الأذان لأمة قبلنا، وهو الدعوة التامة، كما في صحيح البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مُحَمَّدًا الَّذِي وَعَدْتُهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١).

وفي الدعوة التامة ((الأذان)) ينادي المؤذن للصلاة ، فعند قوله: (حي على الصلاة) .. يلتفت جهة اليمين، وعند قوله: (حي على الفلاح) .. يلتفت جهة اليسار، لتصل دعوته إلى أقصى الأماكن، فيسمع كلامه الإنس والجن فيلبون، فكذلك الداعي إلى الله، يجب أن تصل دعوته إلى أقصى مكان في العالم، وهذا الذي يضيف على الدعوة العالمية .

وكما أن المؤذن يبذل كل وسعه في رفع صوته لتصل دعوته لأكبر عدد من الإنس والجن، فكذلك الداعي يبذل وسع طاقته من المال والوقت والجهد لتصل دعوته إلى أكبر عدد في العالم.

فإن من الخسارة الفادحة أن ينفق السلم أوقاته وأمواله وفكره ونشاطه في سبيل الدنيا الفانية، غافلا عن إصلاح نفسه (١).

(١) صحيح البخاري « كتاب الأذان » بَاب الدُّعَاءِ عِنْدَ النِّدَاءِ (٥٨٩) .

(١) الدعوة التامة للشيخ محمد إبراهيم .

الحركة من خصائص الأمة المحمدية

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ " متفق عليه (١).

وهذا الحديث من أقوى الأدلة على عالمية الأمة، ودعوتها.

يقول الشيخ إحسان الحق (١): الله سبحانه وتعالى جعل أوامره في الفرائض حسب تقويم الهلال وليس حسب التقويم الشمسي، لأن الشهور الشمسية لا تتغير، ولكن الشهور القمرية تتغيرن فرمضان مرة يأتي في الشتاء ومرة يأتي في الصيف، ومرة في الربيع ومرة في الخريف، والحج كذلك مرة في الحر ومرة في البرد.. وبذلك يمثل أمر الله في كل حال.

فكما أن الأمة متحركة، فكذلك أعمالها متحركة. أ. هـ.

الشيخ يوسف (رحمه الله) يقول: الرسول (ﷺ) جعل هذه الأمة في صلاتها على ترتيب الشمس ليس لها قرار ولا تتوقف أبداً، وبحركتها يأتي الليل والنهار، فإذا كانت الأمة متحركة بالأعمال فالله تبارك وتعالى ينور الكون كله

(١) فقه القلوب للتوحيدي.

(١) من علماء مركز الدعوة برايوند باكستان.

بنور الإيمان، كما أن الكون يتنور بنور الشمس، فإذا توقفت الشمس أو خسفت ، فإن العالم يتوقف ويُظلم، ويصير فيه الخلل .

وبتوقف المسلم عن الحركة تنتشر في العالم المعاصي والمنكرات وتنتشر الظلمة بسبب توقف أهل الإيمان عن الحركة.

لذلك الأعداء وضعوا لنا السم في العسل ، لم يقولوا لنا اتركوا الدين، وتوقفوا عن الحركة، ولكن غيروا أساس الحركة، أي جعلوا حركة المسلم على اساس الدنيا مثل اليهود والنصارى ولا تختلف حركة المسلم عنهم، وبذلك زادت الظلمات في العالم.

يقول الشيخ محمد أحمد الأنصاري (البهاوليوري) (١): بذل الجهد لإعلاء كلمة الله له ثلاث مراحل: أول ما خرج من حياة الأمة: جهد الدعوة.. ثم التضحية.. ثم حياة البساطة، فاجتهد الأعداء على هذه الصفات حتى أخرجوها من حياة الأمة، فصار الجهد والتضحية للدنيا وصار الإنسان يسعى للرفاهية وصار المجتمع يستنكر المحرمات كالربا والخمر ولا يستنكر ترك الدعوة إلى الله وخروجها من حياة الأمة.

والله عزَّ وجلَّ خلقنا لعبادته، وتكميل الإيمان، والأعمال، والأخلاق، والسنن، والواجبات، ولم يخلقنا لتكميل الأموال والشهوات والأشياء. والدنيا دار الحاجات، والجنة دار الشهوات، فنأخذ من الدنيا بقدر

(١) من علماء الباكستان.

الحاجة، ونقوم بأداء أوامر الله حسب الطاقة، والله سبحانه يكمل شهواتنا يوم القيامة في الجنة دار كمال النعيم. أ.هـ.

ويقول الشيخ يوسف (رحمه الله): مطلوب من وراء هذا الخروج إنشاء عاطفة التضحية بالنفس كلها والمال كله، وأن يُضحى الإنسان بنفسه في سبيل الإيوان، حتى تأتي {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١) أ.هـ.

حال الأمة المسلمة

بعد توقف الحركة للدعوة إلى الله تعالى

شهد القرن السابع الهجري تحولات جذرية في الحياة السياسية. ففي عام ٦٥٦ هجرية ١٢٥٨ ميلادية، أغار "التتار" على "بغداد" وقتلوا مليوني نفس من مسلميها، فقد قاد "هولاكو" جد التتار مائتي ألف مقاتل واجتاح بهم البلاد حتى وصل "بغداد" التي لم تجد من يدافع عنها سوى عشرة آلاف فارس هم بقية الجيش بعد أن انصرف الجنود عن قطاعاتهم واستعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد.

أنهى "التتار" الخلافة العباسية في "بغداد" بقتلهم "المستعصم" آخر خلفاء بني العباس في "وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَجَدُوهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

(١) سورة الأنعام - الآية ١٦٢.

والمشايخ والكهول والشبان، وقد بلغ عدد قتلى بغداد وحدها مليوني نسمة ولم ينج من بغداد سوى القلة بالإضافة إلى أهل الذمة، استمر القتل أربعين يوماً وقتل مع الخليفة ابنه الأكبر "أبو العباس أحمد" والأوسط "أبو الفضل عبد الرحمن" وأسر ولده الأصغر "مبارك: بالإضافة إلى أخوته الثلاث وأسر من دار الخلافة من الأبنكار ما يقرب من ألف وكان يؤتى بالرجل من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة "الخلال" فيذبح كما تذبح الشاة وتسبى من تختار من بناته وجواريه، وخلت الخلافة مدة ثلاث سنوات .

المتأمل في هذه الأحداث يستنتج بما لا يدع مجالاً للشك أن المسلمين انصرفوا عن مقصدهم (نشر دين الله) إلى الانشغال بالحياة الدنيا وزينتها ونسوا قول سيدنا "ربيعي بن عامر" الصحابي الجليل أمام "رستم" عاهل الفرس: **إِنَّ اللَّهَ أَبْتَعْتُنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهِ ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَذْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ .**

من أجل هذا الهدف العظيم تحرك أكثر من مائة ألف صحابي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشارق والمغارب لنشر دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى بلغ الإسلام مبلغ الليل والنهار على هذه الأرض عند ذلك مكن الله تعالى لهم في الأرض وفتح بهم قلوباً غلفاً وأعينا عمياً وأذاناً صماً وكانت لهم نصرة الله أينما ذهبوا وأينما حلوا، في كل غدوة وروحة كانت معهم معية الله

تبارك وتعالى وحتى بلغوا رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم التي وصّاهم بها في حجة الوداع.

وأصبحت الأغلبية من سكان العالم يدينون بالإسلام (أربعة أخماس العالم).

ولكن ما هو الحال الآن بعد توقف جهد النبي صلى الله عليه وسلم وانشغال المسلمين بالحياة الدنيا وزينتها عن مقصد حياتهم؟؟

الآن أصبح تعداد المسلمين (خمس العالم) وهذا العدد المتواضع من المسلمين يهتم فقط بصورة الإسلام وليس بحقيقته ولكن المتواضع من المسلمين.

ولكن الله تبارك وتعالى الذي سبقت رحمته غضبه قد منّ على هذه الأمة مرة أخرى وأذن لطائفة من أبنائها أن تقوم بإحياء جهد النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت في سبيل الله بالنفس والمال. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١).

مما سبق يتضح أن الخروج في سبيل الله لنشر الدين أمر من أوامر الله تبارك وتعالى وسنة من سنن النبي (ﷺ) وهو واجب على كل المسلمين في العالم أجمع بشرط أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةُ الْحُسْنَى وَجَادِلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١).

وبالرحمة الشديدة ، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (٢).

وبالإكرام إن أمكن " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ " (رواه البخاري ومسلم).

هذا الجهد الذي أصبح نسياً منسياً لا بد لإحيائه مع إخلاص النوايا وشحذ الهمم لبذل الغالي والنفيس والتضحية بكل ما نملك من نفس ومال لإحياء هذا الجهد الذي هو السبيل الوحيد المفضي إلى الهداية لإحياء الدين الكامل ، الذي من أجله كان اصطفاء الأنبياء والمرسلين، فالله تبارك وتعالى عزيز حكيم ولا يرضى لدينه أن ينقص مهما كانت الأسباب.

فلا عذر للمسلمين جميعاً في ترك الدعوة إلى الله تعالى حتى أصبح الحال الذي عليه المسلمون الآن هو التمسك بصورة الدين فقط وليس بحقيقة الدين فما أوفوا بشرط الإستخلاف والتمكين في الأرض حتى يمكن الله لهم في الأرض . وقال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ

(١) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء - الآية ١٠٧ .

الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١).

ولقد كانت الفتوحات الإسلامية كلها والتي بلغت بالإسلام مبلغ الليل والنهار
على أيدي أولئك الرجال من صحابة النبي (ﷺ) الذين كتب الله لهم شهادات
الرضوان في حياتهم وأعزهم الله بصفات الخير والإيمان التي إن أتت فينا بالحقيقة
لسهلت علينا أمر الدين في أنفسنا وفي أهلينا وفي العالم أجمع إلى يوم الدين (٢).
وحتى تكون الأمة كما كانت من قبل، موضع هيبة فليس أمامها إلا إحياء
الدين الكامل في العالم أجمع.

ترك الدعوة إلى الله من أخطر الأمور التي ينتج عنها ذل ومهانة وبعد عن
الله.. فهبوا يا أبناء الإسلام إلى مجدكم وعزكم وانفروا في سبيل الله خفافا وثقالا
ودعوا الخلود إلى الأرض فقد مقت الله من كان ذلك وصفه وحاله .

الدعوة على حسب القدرة

إذ تبين أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم، فإن هذا الواجب يتحدد
بقدر حال الداعي وقدرته: قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (١). أي:
إلا طاقتها (١).

(١) سورة النور - الآية ٥٥.

(٢) الدليل البليغ في الدعوة والتبليغ لسعد بن إبراهيم شلبي.

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٦.

وقال تعالى: [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا]

(٢) فلا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني (٣).

فالآيتين تشمل التكاليف البدنية والمالية.. على حسب الوسع والطاقة.

لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره، فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر قدرته، ويدخل في مفهوم القدرة العلم والسلطان. فيجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على ذي السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين.

ولهذا فان الله سبحانه وتعالى خص بالإنذار والوعيد أهل العلم وحذرهم من كتمان الحق الذي عرفوه. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (١)، فأوجب الله تعالى على أهل العلم أن يبينوا للناس ما علموا من معاني الإسلام، وأن ينشروها بين الناس لينقذوهم من أضرار الشرك. وكل من عرف شيئاً من معاني الإسلام فهو عالم بهذا الشيء وعليه تبليغه إلى من يجهله فليس العلم شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو قابل للتجزئة، وكل

(١) كما في غريب القرآن للسجستاني، وتفسير القرطبي، ولسان العرب _ مادة و.س.ع (الوجوه والنظائر للدماغي ١/٢٩٤).

(٢) سورة الطلاق _ الآية ٧.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني _ سورة الطلاق ٣/٤٠٢ .

(١) سورة البقرة _ الآيتان: ١٥٩ ، ١٦٠ .

مسلم يعلم أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الحساب في يوم القيامة حق وأن القرآن كلام الله حق، وأن محمداً رسول الله (ﷺ)، وأن الصلاة والصيام والحج والزكاة من فرائض الاسلام، فعليه أن يبلغ ما علمه، أما يجمله فلا يكلف بتبليغه ولا تعليمه لأنه يجمله، وفاقده الشيء لا يعطيه.

والنوع الثاني من القدرة، وهو السلطان والتمكين في الأرض، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع ووجب على اصحابه أن يستعملوا ما وهبه الله لهم من تمكين وسلطان في نشر الدعوة إلى الله تعالى وإعمار الأرض بفضائل الاعمال وبعبادة الله تبارك وتعالى، قال عز وجل { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (١)، وقد قال أهل التفسير في المراد من أهل التمكين في الأرض: إنهم الولاة، ومنهم من أدخل فيهم العلماء (٢)، والأول أظهر، وعلى هذا فمن أتاه الله تعالى الملك والسلطان فعليه أن يعمر الأرض بعبادة الله وعلى رأسها الصلاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعلى رأس المعروف الدعوة إلى الله، وعلى رأس النهي عن المنكر النهي عن الشرك بجميع أنواعه وأشكاله، وهذا هو مقصود الولاية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَوَلِيُّ الْأَمْرِ إِنَّمَا نُصِّبَ لِإِطْرَافِ الْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهَذَا هُوَ مَقْصُودُ الْوِلَايَةِ . فَإِذَا كَانَ الْوَالِي يُمَكِّنُ مِنَ الْمُنْكَرِ بِمَالٍ يَأْخُذُهُ كَانَ قَدْ أَتَى بِضِدِّ الْمَقْصُودِ مِثْلَ مَنْ نَصَّبْتَهُ لِإِعِينِكَ عَلَى عَدُوِّكَ فَأَعَانَ

(١) سورة الحج - الآية: ٤١.

(٢) القرطبي.

عَدُوَّكَ عَلَيْكَ . وَبِمَنْزِلَةٍ مَنْ أَخَذَ مَالًا لِيُجَاهِدَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتَلَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ،
يُوضِّحُ ذَلِكَ أَنَّ صَلَاحَ الْعِبَادِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ
الْمُعَاشِ وَالْعِبَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَبِهِ صَارَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (١) وقد فقه هذا
المعنى ولادة الأمر في الماضي، فاستعملوا سلطانهم في إقامة دين الله والدعوة إليه.
كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله في الأقاليم كتاباً جاء فيه " وإن من طاعة الله
التي أنزل في كتابه أن يدعو الناس إلى الإسلام كافة.. فادع إلى الإسلام وأمر به،
فإن الله تعالى قال: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (١) . والحقيقة أن قيام ولي الأمر بواجب الدعوة إلى الله يؤدي إلى
نتائج كبيرة جداً ومؤثرة جداً لأنه يملك القوة والسلطان وبيده الأمر والنهي مما
يجعله قادراً على التنفيذ أكثر من أي واحد من آحاد الرعية، ولهذا جاء في
الأثر المشهور " أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " . وبقدر قدرة المسلم
على الدعوة والتنفيذ يكون واجبة في الدعوة إلى الله ومسؤوليته عن ذلك. (٢).



(١) مجموع فتاوى ابن تيمية « الفقه » الجهاد « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي
والرعية.

(١) سورة فصلت _ الآية: ٣٣.

(٢) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان.

الشعور بالمسئولية

إن الشعور بمسئولية الدين كان في حياة الجيل الأول من هذه الأمة _ أي الذي كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه _ حيثُ كان الاستعداد الكامل عند جميع طبقات الأمة للقيام بمتطلبات الدين في جميع الأحوال في اليسر والعسر، في المنشط والمكره، في الليل والنهار، في الحر والبرد، في الفقر والغنى، في الصحة والمرض، حيثُ كان كل فرد من هذه الأمة يشعر شعورا كاملا أنه مسئول عن دينه.

عاطفة النبوة: تأتي عاطفة النبوة عندما نتجول من قطر إلى قطر، ومن قرية إلى قرية ومن حارة إلى حارة، ومن مسجد إلى مسجد، ونرى أحوال الناس فيأتي في قلوبنا المشاعر والعواطف التي كانت في قلوب الأنبياء من أجل هداية الناس.

فموسى (عليه السلام) أخبره الله بحال بني إسرائيل وعبادة العجل، ولكن لما شاهد بنفسه ألقى الألواح وأخذ بلحية أخيه هارون، ولذلك جاء: ليس الخبر كالعيان.



العالم بأسره ينتظر رسل المسلمين

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) : وأن الرسالة الإسلامية لتأتى بالمعجزات اليوم وتقهّر الأمم طوعاً لا كرهاً بسلطانها الروحي ونفوذها العجيب. إن آبائكم أيها السادة المسلمون قد انتشروا في عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبرى يقولون: " الله ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهِ ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَبْلَ ذَلِكَ قَبَلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ . قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالٍ مِنْ أَبِي ، وَالظُّفْرُ لِمَنْ بَقِيَ " (١).

وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح والصليب والأخبار والرهبان والملوك وخلصوا الأمة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني، والأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض والأمة الهندية من عبادة البقر إلى عبادة الله وحده وأخرجوها فعلاً من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، والعيون تنتظر منذ زمان رسل المسلمين ينتشرون في عواصم الجاهلية الثانية يهتفون الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة المادة والبطن إلى عبادة الله وحده ومن ضيق عالم التنافس والأثرة وجشع المادة إلى سعة عالم القناعة والإيثار

(١) البداية والنهاية « سنة أربع عشرة من الهجرة.

والزهد ونعيم الروح وطمأنينة القلب، ومن جور النظم السياسية والاجتماعية إلى عدل الإسلام (١).

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): كما أن أهل الهند ضحوا في الأول وتحملوا المشقة ، الله أيد بهم الدين بهذه الدعوة المباركة ، فهكذا نحن وأنتم نجتهد ونخرج للناس وندعوهم إلى الله ، ليكون عندهم المجاهدة والإنابة فالله يهديهم .

ويقول الشيخ (رحمه الله) في أدب جم _ مخاطبا العرب: أنتم تاج رؤوسنا، وقرة أعينا، دمائكم دماء أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم أنتم الأصل ونحن الفرع، أنتم الإمام ونحن المأموم، أنتم الأستاذ ونحن التلميذ. أجدادكم الصحابة جاؤوا إلى أجدادنا، وأجدادنا بصفاتهم البهيمية ظنوا أن أجدادكم يريدون الدنيا والنساء.

وأجدادكم بصفاتهم الإنسانية صبروا على أجدادنا ولم يتأثروا بدنيا بني الأصفر ولا نسائهم.

أجدادكم أقاموا البساتين الإيمانية في العالم ومن أجل البساتين الإيمانية ربطوا الحجارة على بطونهم، وهذه البساتين أتت عليها المشكلة، لا نقول لكم اربطوا الحجارة كأجدادكم بل اربطوا الدجاجة على بطونكم أنا أستحي أتكلم أمامكم

(١) التبليغ بين يديك (روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله) بقلم المؤلف.

لأربعة أمور: الكعبة عندكم، لغة القرآن لغتكم، لغة أهل الجنة لغتكم، لغة النبي ﷺ لغتكم.

وفي ميدان عرفة ما كان هندي موجود ولا بنغالي ولا باكستاني أنتم موجودون في الميدان.

ما كان تشكيلكم لسنة أو لأربعة أشهر أو لأربعين يوما بل كان تشكيل أجدادكم الصحابة من رسول الله ﷺ والشاهد يبلغ الغائب.

أنتم تقولون المدة انتهت وأجدادكم يقولون الأرض انتهت.. انتهت الأرض من تحت أقدامهم ولم تنتهي عواطفهم لنشر دين الله: فقد عيّن يزيد بن معاوية عقبة بن نافع واليا على المغرب.. وكان عقبة قد فتح شمال أفريقيا على فترتين - تجاوز في الثانية جبال الأطلسي ليجد نفسه فجأة في مواجهة المحيط فدخله بفرسه وقال: والله الذي لا إله إلا هو، لو أعلم أن وراءك، يا بحر، أرضا لحُضْتُكَ بفرسي هذا حتى أصل إليها، لأرفع لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ولكنه.. بالطبع.. لم يكن يعلم!!..

نحنُ في هذا العمل مثل المسافر لا ينظر كم قطع بل ينظر كم بقي أمامه.

لا ننظر إلى كثرة الخارجين، بل ننظر كم واحد لم يخرج إلى الآن.

قال الشيخ إلياس [رحمه الله]: أضرف ما أضاف على الأصحاب من خُطرين: أن يظنوا أنهم مجتهدين وهم غير مجتهدين.. وأصل الجهد تحصيل الصفات سواء الناس خرجوا أو لم يخرجوا.

الآن هم قليل فيكون يقينهم على الله وأخاف أن يكثرون فيكون يقينهم على بعض .
وقال الشيخ يوسف (رحمه الله) : إن لم يزد إيماننا ويقيننا يوماً يصبح هذا
الجهد خدعة.

وبعث الشيخ عبد الوهاب إلى الشيخ إنعام (رحمه الله) وقال له: الجهد كثير
والصفات قليل.

فقال الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله): اشكر الله على الموجود، ومن اجتهد
فشجعه، وما بقي فاجعله فوق رأسك وقل هذا تقصيري مني .
لذا منهجنا أن نخرج في سبيل الله وننتشر في العالم لدعوة الخلق إلى الله
ولإحياء الدين كله فينا وفي العالم إلى يوم القيامة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الاستعداد للحركة من أجل الدعوة ونشر
الدين في العالم (اللهم آمين).

أخي القارئ الحبيب: لقد اجتهدت في إخراج هذه الكتاب عن صفات
الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ما تيسر لي، وإني التمس منك صادقاً ألا تحرمني
من ملاحظة أو توجيه أو اقتراح، فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه:

إذا رأيت عيباً فسد الخلا *** جلّ من لا عيب فيه وعلا

بسم الله

الجزء الرابع والأخير

مصادر الكتاب

□ القرآن الكريم.

□ كتب التفسير :

- (١) مختصر تفسير ابن كثير – دار التراث العربي للطباعة والنشر.
- (٢) مفاتيح الغيب للرازي المسمى بالتفسير الكبير _ دار الغد العربي بالقاهرة.
- (٣) تفسير القرطبي.
- (٤) تفسير الطبري.
- (٥) زاد المسير في علم التفسير _ لابن الجوزي _ المكتبة الشاملة.
- (٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي.
- (٧) روح المعاني الألوسي _ دار ابن الجوزي.
- (٨) تفسير البغوي الحسين بن مسعود البغوي.
- (٩) صفوة التفاسير للصابوني.
- (١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي _ دار ابن الجوزي.
- (١١) أيسر التفاسير للجزائري.
- (١٢) خواطر حول القرآن الشيخ الشعراوي.

□ الحديث الشريف:

- (١) رياض الصالحين للنووي - طبعة المكتب الاسلامي - بيروت - لبنان.
- (٢) مشكاة المصابيح - الخطيب التبريزي - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان .
- (٣) صحيح البخاري.
- (٤) صحيح مسلم بشرح النووي - طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة .
- (٥) سنن الترمذي _ دار ابن الهيثم بالقاهرة.
- (٦) سنن النسائي _ بشرح السيوطي والسندي _ مطبعة دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٩ م.
- (٧) سنن أبي داود.
- (٨) سنن ابن ماجه.
- (٩) المستدرک على الصحيحين للحاكم _ طبعة دار الفكر بيروت لبنان.
- (١٠) مسند الإمام أحمد.
- (١١) الأدب المفرد للإمام البخاري.
- (١٢) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للحافظ الدميّاطي _ دار الحديث القاهرة.
- (١٣) موطأ الإمام مالك _ مطبعة دار الشعب.

- (١٤) صحيح ابن حبان.
- (١٥) مصنف ابن أبي شيبة.
- (١٦) مصنف عبد الرازق الصنعاني.
- (١٧) سنن البيهقي.
- (١٨) المعجم الكبير والصغير للطبراني.
- (١٩) كنز العمال _ المتقي الهندي.
- (٢٠) شعب الإيمان للبيهقي.
- (٢١) السلسلة الصحيحة للألباني.
- (٢٢) كتب ابن أبي الدنيا.
- (٢٣) كتاب الزهد للإمام أحمد.
- (٢٤) الزهد والرقائق لابن المبارك.
- (٢٥) النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير.
- (٢٦) مكارم الأخلاق للخرائطي .
- (٢٧) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا.

□ كتب شروح الحديث النبوي:

- (١) فتح الباري شرح صحيح البخاري _ دار الفكر العربي بيروت لبنان.
- (٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي الملا.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي _ المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري

(٤) شرح خمسين حديثاً لابن رجب الحنبلي.

(٥) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

□ كتب السيرة النبوية:

(١) حياة الصحابة - للشيخ محمد يوسف الكندهلوي - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير _ دار الغد الحديث بالمنصورة.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - الشيخ محمد يوسف الصالحي الشامي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية المسمي بالسيرة الشامية.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٥) أسد الغابة لابن الأثير.

(٦) سيرة ابن هشام.

(٧) زاد المعاد لابن القيم.

(٨) صفة الصفوة لابن الجوزي .

(٩) السيرة النبوية للندوي _ دار الفكر بيروت لبنان.

(١٠) دلائل النبوة للبيهقي طبعة بغداد.

- (١١) دلائل النبوة لأبي نعيم.
- (١٢) الرحيق المختوم للمباركفوري.
- (١٣) جوامع السير لابن حزم _ هدية مجلة الأزهر.
- (١٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر .
- (١٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
- (١٦) صفوة السيرة النبوية لابن كثير _ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(١٧) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(١٨) حلية الأولياء لأبي نعيم.

(١٩) معرفة الصحابة لأبي نعيم.

□ كتب التاريخ الإسلامي:

- (١) تاريخ دمشق لابن عساكر.
- (٢) تاريخ الإسلام – للذهبي – طبعة دار الغد العربي بالقاهرة .
- (٣) تاريخ المدينة لابن شبة.
- (٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- (٥) تاريخ الطبري.
- (٦) الكامل في التاريخ – ابن الأثير.
- (٧) المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي

□ كتب اللغة:

- (١) تهذيب اللغة للأزهري.
- (٢) القاموس المحيط .
- (٣) ولسان العرب لابن منظور.
- (٤) معجم مقاييس اللغة _ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا.

□ كتب في الدعوة إلى الله:

- (١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للشيخ محمد الثاني الحسيني ت ١٤٠٢ هـ قدم له سماحة السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي وعربه جعفر مسعود الحسيني الندوي _ طبع بمطبعة دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان _ الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٢) الشيخ محمد إلياس (حياته ومنهجه) للندوي _ طبعة الهند.
- (٣) الشيخ محمد إلياس (حياته ومنهجه) للدكتور عبد الخالق بيرزاده ط مكتبة الإيمان بالقاهرة.
- (٤) كتاب كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ للدكتور عبد الخالق بيرزاده ط مكتبة الإيمان بالقاهرة.
- (٥) منهج الدعوة إلى الله لمن يخرج في سبيل الله للدكتور عبد الخالق بيرزاده ط مكتبة الإيمان بالقاهرة.
- (٦) انجازات دعوة الشيخ إلياس _ مكتبة الإيمان ٤ شارع أحمد سوكارنو -

بالعجوزة القاهرة.

٧) الدين الكامل للمفكر الإسلامي وحيد الدين خان _ الناشر الرسالة للإعلام الدولي _ ٧ ش الشيخ محمد النادي _ مكرم عبيد _ مدينة نصر - القاهرة _ ج . م . ع .

٨) حكمة الدين للمفكر الإسلامي وحيد الدين خان.

٩) التفسير السياسي للمفكر الإسلامي وحيد الدين خان.

١٠) ردة وليس لها أبو بكر للندوي.

١١) ملفوظات الشيخ / محمد الياس الكاندهلوي : للشيخ / محمد منظور

نعماني ترجمه واعتنى به عبد الواحد ملك عبد الحق.

١٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.

١٣) دعوة غير المسلمين لسعيد صيني.

١٤) قواعد الدعوة إلى الله د. همام عبد الرحيم سعيد .

١٥) بصائر دعوية للشيخ علي الغفري.

١٦) أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان _ طبع دار عمر بن الخطاب.

□ كتب المؤلف في الدعوة إلى الله:

١) الفهم العميق في بيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ

الأنصاري) بقلم المؤلف _ مطبعة آيات طموه جيزه مصر.

٢) المتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة بقلم المؤلف _ مطبعة السعادة بميت

غمر _ دقهلية _ مصر .

٣) التبليغ بين يديك (روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله) بقلم المؤلف .

٤) بصائر دعوية في أخلاق الداعية (من كلام الشيخ الأنصاري بقلم المؤلف) .

٥) كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم / محمد علي محمد إمام _ طبع بمطبعة

السلام بميت غمر ٢٠٠٥ .

٦) الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية من كلام الدكتور نعمان أبو الليل _ بقلم

المؤلف _ مطبعة السعادة بميت غمر دقهلية مصر .

٧) البيان الواضح في بيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله _ من كلام الشيخ محمد

الملا _ بقلم المؤلف .

٨) مشكاة الأحباب أهل التبليغ والدعوة بقلم المؤلف _ مطبعة آيات طموه

جيزة مصر .

٩) الباعث على الاستقامة في جهد التبليغ والدعوة بقلم المؤلف _ مطبعة دار

الأساس بالقاهرة .

١٠) فرضية الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ عبد الوهاب أمير الدعوة

بباكستان) بقلم المؤلف _ مطبعة السعادة ميت غمر دقهلية مصر .

١١) صلاح البيوت في جهد الرسول بقلم المؤلف _ مطبعة آيات طموه جيزة

مصر .

١٢) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف .

- (١٣) الشيخ فريد العراقي وبيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.
- (١٤) الأمراء الثلاثة لجهد الدعوة والتبليغ بقلم المؤلف.
- (١٥) التاج الجامع للأصول في جهد الرسول.
- (١٦) البحث القيم لابن القيم في نصرة الله الغيبية لأهل الإيمان على الدين الكامل لابن القيم بقلم المؤلف.

□ كتب أخرى:

- (١) الفوائد لابن القيم.
- (٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» الشيخ محمد جمال الدين القاسمي دار الكتب العلمية.
- (٣) منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي الحنبلي.
- (٤) منهاج المسلم للجزائري.
- (٥) الموافقات للإمام الشاطبي _ المكتبة الشاملة بالكمبيوتر .
- (٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحكيمي.
- (٧) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ « لابن أبي العزِّ الحنفي.



الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
	إهداء.....	٣
	تقديم السادة العلماء الفضلاء الأجلاء:	
١	تقديم فضيلة الدكتور / رمضان خميس الغريب المصري...	٤
٢	تقديم فضيلة الدكتور / عبد الغني القاسمي الجزائري.....	٧
٣	تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد سليمان البشائرة الأردني	٩
٤	تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور / بسام علي العموش الأردني	١٣
٥	تقديم فضيلة الدكتور / يحيى بن محمد عوض الخلايلة الأردني	١٥
٦	تقديم فضيلة الدكتور / عبد الله بن عمر الخطيب الأردني..	١٨
٧	تقديم فضيلة الدكتور / فضل بن يسلم صنبور اليمني.....	٢٤
٨	تقديم فضيلة الدكتور / محمود زاهي القضاة الأردني.....	٢٧
٩	تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور / خليل أحمد صالح الباكستاني...	٣٢
١٠	تقديم فضيلة الشيخ / توفيق محمد فيضال المغربي.....	٣٥
١١	فضيلة الشيخ / محمد شعيب البنجلاديشي.....	٣٩
١٢	مقدمة المؤلف.....	٤١

<p>فهرس الجزء الأول</p> <p>يقين الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)</p>		
تمهيد قبل الدخول في الصفات:		
١	الصفات الطيبة.....	٥٦
٢	مدخل إلى الصفات.....	٥٧
٣	الصفات الست في منهج الدعوة إلى الله تعالى.....	٦٠
٤	أقوال العلماء في الصفات الست.....	٦٩
٥	الصفات بين الحقيقة والصورة.....	١١١
٦	التخلية قبل التحلية.....	١١٤
الصفة الأولى: اليقين بالله تعالى (لا إله إلا الله محمد رسول الله):		
١	بعض الآيات القرآنية التي ذكر فيها الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).....	١٣٦
٢	فضائل الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).....	١٤١
٣	العظمة الإلهية.....	١٥٦
٤	كلام بعض السلف في فضل كلمة التوحيد.....	١٧٣
البيانات في اليقين بالله تعالى:		
١	البيان الأول: اليقين في معرفة رب العالمين.....	١٨٠

٢	البيان الثاني: في صفة اليقين بالله تعالى.....	٢١٠
٣	البيان الثالث: في صفة اليقين بالله تعالى.....	٢١٤
٤	البيان الرابع: في صفة اليقين بالله تعالى.....	٢١٧
٥	البيان الخامس: يقين الكلمة الطيبة.....	٢١٩
٦	البيان السادس: في صفة اليقين بالله.....	٢٢٧
٧	البيان السابع: في دعوة الإيما واليقين.....	٢٣٤
٨	البيان الثامن: في اليقين والتوكل.....	٢٣٩
٩	البيان التاسع: في دعوة الإيما واليقين.....	٢٤٢
١٠	البيان العاشر: في دعوة الإيما واليقين.....	٢٤٩
١١	البيان الحادي عشر: في دعوة الإيما واليقين.....	٢٥٨
١٢	البيان الثاني عشر في دعوة الإيما واليقين.....	٢٥٩
١٣	البيان الثالث عشر في دعوة الإيما واليقين.....	٢٦٤
١٤	البيان الرابع عشر في نبذ الشرك والاعتماد على غير الله	٢٨٤
١٥	البيان الخامس عشر في دعوة الإيما واليقين.....	٢٨٥
١٦	البيان السادس عشر في دعوة الإيما واليقين.....	٢٩٣
١٧	البيان السابع عشر في مقصد وجود الخلق.....	٢٩٥
١٨	البيان الثامن عشر: رسالة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي يبين فيها حال العالم اليوم.....	٣١٨

١٩	البيان التاسع عشر: من أقوال الشيخ يوسف الكاندهلوي في الإيمان واليقين.....	٣٢٠
٢٠	البيان العشرون: من أقوال الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي في الإيمان واليقين.....	٣٢٥
٢١	البيان الحادي والعشرون: في الإيمان واليقين (حيثة الإنسان لا تبني على ما يملكه من الأشياء الظاهرية..	٣٢٧
٢٢	قصص واقعية في الإيمان واليقين والتوكل على الله.....	٣٣٠
٢٣	شروط لا إله إلا الله.....	٣٦١
٢٤	مفهوم الإيمان.....	٣٦٨
٢٥	كلمة التوحيد ومقتضياتها في منهج التبليغ والدعوة...	٣٧٢
٢٦	يقين الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).....	٣٩٩
٢٧	طريق الوصول إلى حقيقة كلمة التوحيد.....	٤٠٤
٢٨	من كلام الشيخ راشد جدوع (في التوحيد).....	٤٠٧
٢٩	من كلام الداعية العالم الشيخ نذر الرحمن (في التوحيد)	٤١٢
٣٠	توحيد الربوبية والألوهية.....	٤١٨
٣١	عطاء الربوبية والألوهية.....	٤٢٥
٣٢	أصول الإيمان الثلاثة.....	٤٣٠
٣٣	النفاق أسبابه وعلاجه.....	٤٤١

٤٥٦	أنواع الشرك.....	٣٤
٤٦٥	شروط قبول الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).....	٣٥
٤٦٩	أقوال علماء التبليغ في مسألة التوحيد.....	٣٦
٤٧٩	الأسماء الثلاثة (الله .. الرب .. الرحمن).....	٣٧
٤٨٤	دلائل قدرة الله.....	٣٨
٤٩٥	قصيدة مع الله والذر.....	٣٩
<p style="text-align: center;">فهرس الجزء الثاني</p> <p style="text-align: center;">الشر الثاني من الكلمة الطيبة</p> <p style="text-align: center;">[محمد رسول الله]</p> <p style="text-align: center;">حسن الاتباع لسيد الخلق محمد رسول الله</p>		
٥٠٠	صفة الاتباع (لسيد الخلق محمد رسول الله).....	١
٥٠١	الأحاديث في الاتباع.....	٢
٥١٢	قول العقاد (في كتابه مطلع النور).....	٣
٥١٢	طريق الرسول (هو المحجة البيضاء).....	٤
٥١٥	يشترط لقبول الأعمال شرطين.....	٥
٥٢٠	في كل عمل لا بد من ثلاثة أشياء.....	٦

٥٢١	معنى شهادة أن محمد رسول الله.....	٧
٥٢٢	المقصد من : محمد رسول الله.....	٨
٥٢٣	ثلاثة مقاصد لبعثة النبي.....	٩
٥٢٦	مقتضيات: محمد رسول الله.....	١٠
٥٢٨	مراتب اتباع النبي.....	٩
٥٢٨	أنواع الاتباع.....	١٠
٥٣١	ومن سيرته في دعوة الخلق إلى الله.....	١١
٥٣٥	الاتباع في الجهد.....	١٢
٥٣٧	قول الشيخ / مفتي زين العابدين – موضحاً إمامة النبي ليست في الدعوة والصلاة فقط بل في جميع الحياة.....	١٣
٥٣٩	قوة الأعمال النبوية الصادرة من النبي (صلى الله عليه وسلم)	١٤
٥٤٠	كلام الشيخ يوسف الكاندهلوي في بيان الثقافة الإسلامية المأخوذة من منهج النبوة، والثقافة المأخوذة من غير المسلمين	١٥
٥٤١	كلام الشيخ يوسف في بيان عظمة السنة ومكانتها....	١٦
٥٤٢	حياة الرسول هي النجاة من الفساد.....	١٧
٥٤٩	من نفحات ختم النبوة.....	١٨
٥٥١	وجوب محبته.....	١٩

٢٠	فوائد محبة النبي صلى الله عليه وسلم.....	٥٥٣
٢١	بعض الآثار في محبة الصحابة لرسول الله.....	٥٥٥
٢٢	دليل محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....	٥٨٨
٢٣	وَجُوبُ مُنَاصَحَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....	٥٨٩
٢٤	صور من تعظيم الصَّحَابَةِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوْقِيرِهِ، وَإِجْلَالِهِ.....	٥٩٠
٢٥	أما الناس بعد صحابة رسول الله فقد انقسموا في محبته إلى ثلاثة أقسام.....	٥٩٨
٢٦	توحيد الطاعة والاتباع.....	٥٩٨
٢٧	ما الفرق بين طاعة النبي واتباع النبي والتأسي بالنبي...	٥٩٩
٢٨	برهان (محمد رسول الله).....	٦٠٤
٢٩	تارك السنة يعاقب.....	٦٠٥
٣٠	الاتباع الكامل دليل الحب الكامل.....	٦٠٥
٣١	تارك السنة ملعون.....	٦٠٦
٣٢	تارك السنة ضال.....	٦٠٧
٣٣	التحذير من ترك السنة.....	٦٠٧

الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة – مجلد ٤

٣٤	معنى السنن.....	٦٠٨
٣٥	علامة اتباع السنة.....	٦١٧
٣٦	قصص في الإتيان.....	٦١٧
٣٧	ثمار اتباع السنة.....	٦٣٥
٣٨	شدة حرص الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) على السنة	٦٣٧
٣٩	حرص الإمام مالك على اتباع السنة.....	٦٤٥
٤٠	حرص الإمام الشافعي على السنة.....	٦٤٦
٤١	حرص الإمام أبو حنيفة على السنة.....	٦٤٨
٤٢	حرص بعض الأئمة على السنة.....	٦٤٩
٤٣	حرص الشيخ إلياس علي إتيان السنة.....	٦٥١
٤٤	حرص الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله) على اتباع السنة...	٦٥٣
٤٥	حرص الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله) علي اتباع السنة	٦٥٦
٤٦	حرص الشيخ ابن باز علي اتباع السنة.....	٦٥٧
٤٧	حرص الشيخ محمد صالح العثيمين على السنة.....	٦٥٨
٤٨	طريقة الحصول على حسن الاتباع للنبي ﷺ.....	٦٥٨
الصفة الثانية: الصلاة ذات الخشوع والخضوع		
١	الصلاة ذات الخشوع والخضوع.....	٦٦١

٢	الدعوة التامة لإقامة أعظم فريضة.....	٦٦١
٣	أمة الأذان (لم يعط الأذان للأمم السابقة، ففضلت هذه الأمة بسبب الدعوة).....	٦٦٢
٤	لماذا شرع الأذان عن طريق الأمة؟.....	٦٦٥
٥	لماذا يضع المؤذن أصبعيه في أذنيه؟.....	٦٦٦
٦	نتعلم الدعوة من الأذان.....	٦٧٠
٧	فضل الوضوء.....	٦٨٥
٨	أنوار ولطائف في الوضوء.....	٦٨٦
٩	الصلاة الركن الثاني.....	٦٨٨
١٠	الصلاة مناجاة.....	٦٨٨
١١	أمر الله عز وجل بها الرسل.....	٦٨٩
١٢	لأهمية الصلاة فرضت في السماء.....	٦٩١
١٣	قول الشيخ ولي الله الدهلوي في الصلاة.....	٦٩٢
١٤	أصل الصلاة ثلاثة أشياء.....	٦٩٣
١٥	كلام الشيخ يوسف الكاندهلوي في بيان أهمية الصلاة	٦٩٤
١٦	كلام الشيخ إلياس في بيان أهمية الصلاة.....	٦٩٥
١٧	صلاة المسلمين دليل قاطعاً على ختم الرسالات السماوية	٧٠١

الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة – مجلد ٤

١٨	الصلاة دورة تدريبية مركزة.....	٧٠٦
١٩	فساد أحوال الناس في حياتهم العامة والخاصة ناشئ عن فساد صلاتهم.....	٧٠٧
٢٠	أثر الصلاة على القلب.....	٧٠٨
٢١	قول الإمام ابو الحسن الندوي في أهمية التوحيد والصلاة	٧٠٩
٢٢	حال النبي إذا سمع المؤذن.....	٧٠٩
٢٣	حال النبي في الصلاة.....	٧١٠
٢٤	حال الصحابة مع الصلاة.....	٧١١
٢٥	شوق الصحابة للصلاة.....	٧١١
٢٦	الصلاة سلاح الأمة لأنهم يتحركون في الأرض للدعوة.	٧٢١
٢٧	مسائل لا تحل إلا بالصلاة.....	٧٢١
٢٨	كيف نُصلي.....	٧٢٢
٢٨	كلام الشيخ طارق جميل في الصلاة.....	٧٢٤
٢٩	كلام الشيخ راشد جدوع في الصلاة.....	٧٢٤
٣٠	بعض معاني سورة الفاتحة.....	٧٢٥
٣١	أسماء سورة الفاتحة.....	٧٢٨
٣٢	نحسن الصلاة حتى تكون مقبولة عند الله.....	٧٣٥

٧٣٦	صلاح الأعمال مرتبط بصلاح الصلاة.....	٣٣
٧٣٧	ارتباط الصلاة بالدعوة.....	٣٤
٧٣٨	الإشارة في الصلاة بالسبابة.....	٣٥
٧٤٠	الصلاة تحكم حركة الأمة في الحياة.....	٣٦
٧٤١	الصلاة لإصلاح الكل وليس الجزء.....	٣٧
٧٤٥	بالصلاة والدعاء كانوا يمشون على الماء.....	٣٨
٧٤٧	الصلاة ليست للثواب فقط بل للمنافع.....	٣٩
٧٤٨	الصلاة نور.....	٤٠
٧٤٩	الصلاة عمود الإسلام.....	٤١
٧٥٠	الصلاة بها تغفر الذنوب.....	٤٢
٧٥٣	مقصد الصلاة.....	٤٣
٧٥٦	رسالة للشيخ يوسف الكاندهلوي: يتكلم فيها عن أهمية الصلاة.....	٤٤
٧٦٤	نُصلي بخمس صفات.....	٤٥
٧٦٦	أثر الصلاة في حياة المسلم.....	٤٦
٧٦٩	أقوال الأئمة الأعلام في الخشوع.....	٤٧

٧٧١	علامة قبول الصلاة.....	٤٨
٧٧٨	كلام ابن القيم في الالتفات في الصلاة.....	٤٩
٧٨٣	والمقبول من العمل قسمان.....	٥٠
٧٨٣	والناس في الصلاة على مراتب خمسة.....	٥١
٧٨٦	قول الشيخ عمر البالمبوري فيما إذا صلحت الصلاة	٥٢
٧٨٧	الشيخ وحيد الدين خان يبين مقتضيات العبادة.....	٥٣
٧٨٩	الخشوع في الصلاة.....	٥٤
٧٩٠	علامة الصلاة ذات الخشوع والخضوع.....	٥٥
٧٩١	الفرق بين صلاتنا وصلاة النبي والصحابة.....	٥٦
٧٩١	كلام الشيخ مفتي زين العابدين في دعوة الناس للصلاة	٥٧
٧٩٣	فوائد السواك.....	٥٨
٧٩٦	من علامات عدم الخشوع في الصلاة.....	٥٩
٧٩٦	قصص في أحوال الخاشعين في الصلاة.....	٦٠
٨٠٨	حرص الشيخ إلياس (رحمه الله) على الصلاة.....	٦١
٨١٥	طريقة الحصول على الصلاة ذات الخشوع والخضوع...	٦٢

فهرس المجلد الثالث		
الصفة الثالثة: العلم والذكر		
٨٢٠	فضل العلم والذكر.....	١
٨٢٢	الباعث على امتثال الأمر.....	٢
٨٢٦	الآثار في فضل العلم.....	٣
٨٢٨	تمهيد.....	٤
٨٣٩	النية في طلب العلم.....	٥
٨٤٢	أشرف العلوم.....	٦
٨٤٢	العلم النافع.....	٧
٨٤٣	مقصد العلم.....	٨
٨٤٨	يقول الشيخ التويجري مبينا مقصد العمل.....	٩
٨٤٨	الشيخ يوسف بين مقصد العلم في رسالة له.....	١٠
٨٤٩	أعلى مراتب العلوم وأنفعها.....	١١
٨٥١	فائدة.....	١٢
٨٥٢	أنواع العلم.....	١٣
٨٥٣	نوعين من التعليم (خصوصي ، عمومي).....	١٤
٨٥٤	من أقوال العلامة / محمد فاروق.....	١٥

١٦	بركة العلم.....	٨٦٤
١٧	تعليم الوفود والتحدث معهم بما يؤلف قلوبهم.....	٨٧٢
١٨	منهج التعليم في العهد النبوي.....	٨٧٣
١٩	أمارات العالم المتحقق بالعلم.....	٨٧٦
٢٠	فضيلة الشيخ محمد عمر البالمبوري يرغب في القيام بحلقات التعليم.....	٨٨٣
٢١	فضيلة العالم الرباني الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي يفرق بين العلم والفن.....	٨٨٤
٢٢	الدعوة تكريم.....	٨٨٧
٢٣	فضيلة الشيخ العلامة / محمد بن صالح العثيمين يرغب في نشر العلم.....	٨٨٨
٢٤	أقسام العلوم التي يجب تعلمها.....	٨٨٨
٢٥	العلوم الشرعية أربعة أقسام.....	٨٩٠
٢٦	قاعدة مفيدة ذكرها الإمام النووي في مقدمة كتابه الأذكار	٨٩٣
٢٧	العلم علان.. والجهل نوعان.....	٨٩٦
٢٨	العلم الإلهي.....	٨٩٩
٢٩	أهمية تحصيل العلم الإلهي.....	٩٠١
٣٠	الفروق التي بيننا وبين الصحابة تجاه العلم الإلهي.....	٩٠٢

٣١	حقيقة العلوم الإلهية وثمارها.....	٩٠٤
٣٢	الباعث على امتثال الأمر.....	٩٠٧
٣٣	بصائر في آية (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات).....	٩٠٩
٣٤	الطريقة النبوية للتعليم.....	٩١٦
٣٧	الذي يجتهد على نهج النبوة الله يفتح عليه أربعة علوم (الشريعة، الحقيقة، الروحانيات، السياسيات).....	٩١٧
٣٨	كلام للشيخ طارق جميل في بيان رسوخ الصحابة في العلم	٩١٧
٣٩	كلام العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله) في مدى فرضية العلم على كل مسلم ومسلمة	٩٢٤
٤٠	مصادر العلم الشرعي.....	٩٢٥
٤١	أهل العلوم الإلهية فيهم ثلاثة أشياء.....	٩٢٨
٤٢	الفرق بين الدعوة والتعليم.....	٩٣١
٤٣	عمومية التعليم وبيان كيفية تحصيل العلوم الشرعية.....	٩٣١
٤٤	في الخروج في سبيل الله تعالى ينقسم العلم إلى قسمين...	٩٤٣
٤٥	العلم نوعان.....	٩٤٥
٤٦	وجوب الجمع بين العلم والدعوة.....	٩٤٥
٤٧	الحذر من الوقوع في الترف.....	٩٦٠

٤٨	هل لطلب العلم نهاية.....	٩٦٢
٤٩	الفرق بين التعليم والتبليغ.....	٩٦٣
٥٠	الفرق بين النظر والخبر.....	٩٦٤
٥١	الفرق بين الداعي والعالم.....	٩٦٤
٥٢	مقارنة بين طالب العلم والمثقف.....	٩٦٥
٥٣	نتائج الاستخدام الصحيح أو السيء للعلم الصحيح	٩٦٨
٥٤	شبهة والرد عليها.....	٩٦٨
٥٥	اقتران العلم بالذكر.....	٩٦٩
٥٦	العلم المطلوب.....	٩٧٠
٥٧	تعلم الإيمان والعلم والعمل.....	٩٧٠
٥٨	التحذير من الانشغال بكتب العلم وترك القرآن.....	٩٧٣
٥٩	واجب العلماء.....	٩٧٤
٦٠	أقسام العلم.....	٩٧٥
٦١	من علامات العلم النافع.....	٩٧٧
٦٢	الفرق بين المعلمين والمرسلين.....	٩٨٠
٦٣	مقارنة بين فقه الدعوة وفقه التعليم.....	٩٨١
٦٤	الفرق بين مؤمن يسن ومؤمن آل فرعون.....	٩٩٠
٦٥	أهمية علم الفضائل.....	٩٩٥

٦٦	كلمة العلامة الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوي في حفل ختم صحيح البخاري.....	٩٩٩
٦٧	أهمية العلم والذكر.....	١٠٠٠
٦٨	نصائح لطلبة العلم	١٠١٥
ذكر الله (تعالى)		
١	فضل ذكر الله.....	١٠٥٣
٢	الذكر لغة.....	١٠٥٨
٣	وللذكر في الشرع معنيان.....	١٠٥٩
٤	مقصد الذكر.....	١٠٦٠
٥	أهمية ذكر الله وحقيقته في منهج أهل الدعوة والتبليغ ...	١٠٦٨
٦	قوة ذكر الله تعالى.....	١٠٧٠
٧	الذكر وأقسامه عند العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله).....	١٠٧١
٨	أنواع الذكر.....	١٠٨٣
٩	ذَكَرَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ ((الْوَابِلُ الصَّيْبُ)) كَثِيرًا مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ	١٠٨٦
١٠	حقيقة الذكر.....	١٠٩٦

١١	أهمية الذكر.....	١١٠٢
١٢	آداب الذكر.....	١١٠٢
١٣	فائدة.....	١١٠٣
١٤	من أقوال الشيخ إلياس في باب العلم والذكر.....	١١٠٦
<p style="text-align: center;">فهرس الجزء الرابع صفة الإكرام وحسن الخلق</p>		
١	تمهيد.....	١١١٥
٢	الإكرام وحسن الخلق.....	١١٢٠
٣	مقصد لإكرام.....	١١٢٤
٤	علامة الإكرام.....	١١٢٥
٥	مراتب الإكرام.....	١١٢٦
٦	وبذل النفس والمال يكون على أربع أشياء بالتوازن....	١١٣٢
٧	طرق تحصيل الإكرام.....	١١٣٣
٨	الفرق بين الإيثار والسخاء والجود.....	١١٣٦
٩	ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى شروطاً للإيثار.....	١١٣٧
١٠	الباعث على الإيثار.....	١١٣٨
١١	موانع الإيثار.....	١١٣٨

الإكرام وحسن الخلق | الإخلاص وتصحيح النية | الدعوة إلى الله

١٢	الوسائل المعينة على الإيثار.....	١١٣٩
١٣	قوام الحياة الإنسانية.....	١١٤٠
١٤	أسباب فساد الأحوال وعلاجها.....	١١٤٤
١٥	كلام الشيخ عمر البالمبوري (رحمه الله) في صفة الإكرام:	١١٦١
١٦	كلام الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله) في صفة الإكرام والأخلاق.....	١١٦٥
١٧	طريقة الحصول على حسن الخلق.....	١١٧٥
١٨	قصص في الإكرام.....	١١٨٠
١٩	من أقوال العلماء والمشايخ في الإكرام.....	١٢٠٧
صفحة الإخلاص		
وتصحيح النية في جميع الأقوال والأعمال والأحوال		
١	تصحيح النية في كل عمل.....	١٢٢٥
٢	معاني الإخلاص.....	١٢٣٤
٣	من أجل ما قيل في الإخلاص.....	١٢٣٩
٤	مقصد الإخلاص.....	١٢٣٩
٥	والعمل الخالص: (لا بد أن يكون خالصا من ثلاثة أشياء) ..	١٢٤٠
٦	الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلْمُخْلِصِينَ.....	١٢٤٢

الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة – مجلد ٤

٧	الإخلاص يظهر عند الشدائد.....	١٢٤٣
٨	من المستفيد من الإخلاص.....	١٢٤٧
٩	دليل إخلاص الصحابة (رضي الله عنهم).....	١٢٤٧
١٠	علامات الإخلاص.....	١٢٤٧
١١	الأعمال التي يجب تركها خوف الشهرة.....	١٢٦٢
١٢	قصص في الإخلاص.....	١٢٦٨
١٣	فوائد من كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا.....	١٢٩٦
١٤	فوائد من كتاب الفوائد لابن القيم (رحمه الله).....	١٢٩٩
١٥	فوائد من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.....	١٣٠١
١٦	فوائد من كتاب الزهد لابن المبارك في الإخلاص.....	١٣٠١
١٧	درر من أقوال العلماء في الإخلاص.....	١٣٠٣
١٨	ثمرات الإخلاص.....	١٣٠٦
١٩	وصايا المشايخ للأحباب بالإخلاص في العمل	١٣١٢
	- وصية الشيخ إلياس (رحمه الله).....	١٣١٢
	- وصية الشيخ يوسف (رحمه الله) : لجماعة الحج والعمرة المتجهة إلى بلاد الحجاز.....	١٣٢٠
	- وصية الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله).....	١٣٢١

٢٠	يجب أن نعمل الأعمال بنية.....	١٣٢١
٢١	بخمسة أشياء في أعمالنا تكون أعمالنا قوية	١٣٢٢
	صفة الدعوة إلى الله	
١	تمهيد.....	١٣٢٩
٢	الآيات التي تحث على الدعوة.....	١٣٤١
٣	تعريف الدعوة إلى الله (عز وجل).....	١٣٤٢
٤	الدعوة إلى الله (عز وجل) تنقسم إلى قسمين.....	١٣٤٢
٥	مقصد جهد الدعوة إلى الله (عز وجل).....	١٣٤٣
٦	الأمر بالدعوة إلى الله (عز وجل).....	١٣٤٧
٧	الدعوة والإيمان.....	١٣٥٢
٨	حكم الدعوة إلى الله.....	١٣٥٣
٩	الدعوة إلى الله وظيفه الرسول والأمة.....	١٣٥٨
١٠	شروط يجب أن تتوفر في الداعي.....	١٣٥٩
١١	ثمرة القيام بعمل الدعوة إلى الله.....	١٣٦٦
١٢	يقول المفكر الإسلامي الشيخ / وحيد الدين خان .. عن مسئولية الدين.....	١٣٨٩
١٣	من أفواه الدعاة إلى الله (عز وجل)	١٣٩٣

١٤	التوفيق في الدعوة علي الله.....	١٣٩٤
١٥	عقوبة ترك الدعوة.....	١٣٩٥
١٦	نواقض الدعوة.....	١٤٠٣
١٧	عقوبة من لم يطابق قوله فعله.....	١٤٠٤
١٨	علامة وجود الدعوة إلى الله:.....	١٤٠٥
١٩	ما الفرق الذي بيننا وبين الصحابة الكرام.....	١٤٠٥
٢٠	الدعوة تناديكم أنا وظيفة أعماركم.....	١٤٠٦
٢١	من أقوال مشايخ التبليغ في واجب الدعوة إلى الله (عز وجل).....	١٤١٢
٢٢	طرق الحصول على الدعوة.....	١٤١٦
٢٣	مراعاة أحوال المدعوين.....	١٤١٧
٢٤	مراعاة مقتضيات الدعوة.....	١٤١٨
٢٥	هل الجن مكلفون بالدعوة مثل الإنس؟.....	١٤١٨
٢٦	انتهاز الفرص للدعوة.....	١٤١٩
٢٧	الاستمرارية في جهد الدعوة.....	١٤٢١
٢٨	مقام الدعوة مقام المحبين.....	١٤٢٣
٢٩	نتيجة العجب.....	١٤٢٥
٣٠	هل واجب الدعوة على الرجال دون النساء.....	١٤٢٦

الإكرام وحسن الخلق | الإخلاص وتصحيح النية | الدعوة إلى الله

٣١	ما حكم من يهاجم الدعوة وأهلها.....	١٤٢٦
٣٢	كلمة للمبشرين عن جهد الدعوة.....	١٤٢٨
٣٣	وصية الشيخ إلياس لكل مجتهد.....	١٤٢٩
٣٤	نصيحة من فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي لكل مجتهد	١٤٢٩
٣٥	الترغيب في الجهد.....	١٤٣٠
٣٦	أوامر الله عز وجل نوعان.....	١٤٣١
٣٧	متى جاء الوعد بفتح فارس والروم.....	١٤٣٢
٣٨	تغيير نوااميس الكون للدعاة إلى الله كما فعل الله مع أنبيائه وصحابته.....	١٤٣٣
٣٩	الأنبياء بعثوا بشيء واحد لا بد أن نقف عليه.....	١٤٤٧
٤٠	لا بد أن نفهم أن لكل اسم من أسماء الله الحسن نفى وإثبات.....	١٤٥٢
٤١	عالمية الجهد.....	١٤٥٣
٤٢	الحركة من خصائص الأمة المحمدية.....	١٤٥٥
٤٣	حال الأمة المسلمة بعد توقف الحركة للدعوة إلى الله تعالى..	١٤٥٧
٤٤	الدعوة على حسب القدرة.....	١٤٦١
٤٥	الشعور بالمسؤولية.....	١٤٦٥
٤٦	عاطفة النبوة.....	١٤٦٥

٤٧	التشكيل : العالم بأسره ينتظر رسل المسلمين	١٤٦٦
٤٨	المراجع.....	١٤٧٠
٤٩	الفهرس.....	١٤٧٩

تم بحمد الله تعالى

كتاب الصفات الست بأجزائه الأربعة

كل الحقوق محفوظة

تليفون المؤلف

٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦